جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

المتغيرات الاقتصادية

لسواحل بلاد الشام ابان الحروب الصليبية

أطروحة

تقدمت بها الطالبة (هناء خضير حسين الشمري)

الى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة كربلاء

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التأريخ الإسلامي

بأشراف الاستاذ الدكتور

حسين كاظم حسون القطب

1445هـ

2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ"

صدق الله العلي العظيم

سورة الانبياء : الآية 105

اقرار المشرف

شهادة إقرار المشرف

أشهد بأن أعداد هذه الاطروحة الموسومة ب(**المتغيرات الاقتصادية لسواحل بلاد الشام ابان الحروب الصليبية)** للطالبة (**هناء خضير حسين الشمري)** قد جرت تحت إشرافي في كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة كربلاء ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في اختصاص التأريخ الإسلامي.

التوقيع

المشرف : أ. د . حسين كاظم حسون

التاريخ : ٢٢/١٠/ ٢٠٢٣م

توصية رئيس قسم التاريخ

بناء على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع :

أ . م . محمد مهدي علي

رئيس قسم التاريخ

التاريخ :٢٢/١٠/ ٢٠٢٣م

إقرار المقوم اللغوي

أشهد أن هذه الأطروحة الموسومة "**المتغيرات الاقتصادية لسواحل بلاد الشام ابان الحروب الصليبية** " للطالبة " **هناء خضير حسين** " قد قمت بمراجعتها وتصحيح ما ورد فيها من أخطاء لغوية وتعبيرية، وبذلك أصبحت الأطروحة مؤهلة للمناقشة بقدر تعلق الأمر بصحة الأسلوب وصحة التعبير.

التوقيع:

الاسم: د. محمد عبد الرسول

التاريخ: ٧ / ١٠ / ٢٠٢٣م

اقرار لجنة المناقشة

نشهد اننا رئيس واعضاء لجنة المناقشة قد اطلعنا على الاطروحة الموسومة ب (المتغيرات الاقتصادية لسواحل بلاد الشام ابان الحروب الصليبية) وقد ناقشنا الطالبة (هناء خضير حسين) في محتوياتها وفي ما له علاقة بها وقد وجدناها جديرة بالقبول لنيل شهادة الدكتوراه في فلسفة التاريخ الاسلامي وبتقدير ( ) .

التوقيع

الاسم : أ.د. زمان عبيد وناس

رئيسا

التاريخ : ١٩/ ٢/ ٢٠٢٤

التوقيع

الاسم :أ.م.د. حسين كريم حميدي

عضوا

التاريخ : ١٢/ ٢/ ٢٠٢٤

التوقيع :

الاسم :أ.د. حيدر محمد عبد الله

عضوا

التاريخ : ١٢/ ٢/ ٢٠٢٤

التوقيع :

الاسم : أ.م.د. محمد مهدي علي

عضوا

التاريخ : ١٢/ ٢/ ٢٠٢٤

التوقيع :

الاسم : أ.م.د. وسن سمين محمد

عضوا

التاريخ : ١٧/ ٢/ ٢٠٢٤

التوقيع :

الاسم : أ.د. حسين كاظم حسون

عضوا ومشرفا

التاريخ : ١٢/ ٢/ ٢٠٢٤

صّدقت من مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة كربلاء

التوقيع :

الاسم : أ.د. صباح واجد علي

عميد كلية التربية للعلوم الانسانية

التاريخ : 27/ 3/ ٢٠٢٤

الاهداء

الى : الرسول الاكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام)

الى : كل من خاض في بحار العلم يلتمس فيه طريقا ينفع الناس به

الى :الباحثين الكرام .

شكر وعرفان

بعد توفيق الله تعالى واتمام نعمته تم انجاز الاطروحة وانهائها ، فكان لزاما علي ومن قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : " لا يشكر الله من لا يشكر الناس " الّا ان أتقدم بخالص الشكر والتقدير وعظيم الامتنان لمن اسهم بتقديم هذا العمل ، واخص بالذكر المشرف على هذا العمل الاستاذ الدكتور حسين كاظم قطب لما بذله من جهود مضنية طيلة مراحل الاطروحة ، ولما أبداه من ارشادات علمية وتوجيهات سديدة نابعة من حرصه وامانته العلمية ، فجزاه الله مني خير جزاء ، كما لا يفوتني في هذا الحال الّا ان اتوجه بالشكر الى عمادة كلية التربية والى رئاسة قسم التاريخ والى اساتذتي بالمرحلة التحضيرية الذين كان لهم الدور الكبير في التوجيه والارشاد على طريق البحث وإغناء الفكر بالمعلومات القيّمة والنصائح السديدة .

واخيراً أقدم شكري وعرفاني للأساتذة الاجلاء أعضاء لجنة المناقشة لتكرمهم بمناقشة هذه الاطروحة وتحمل عناء قراءتها ، كما اشكر مكتبة العتبة الحسينية والقائمين عليها ، والشكر موصول الى كل من ساهم بترجمة النصوص الانكليزية الى اللغة العربية ، فجزى الله الجميع عني خير الجزاء .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	4-1
الفصل الاول : سواحل بلاد الشام منذ الفتح الاسلامي وحتى العهد الصليبي	50-5
المبحث الاول : جغرافية سواحل بلاد الشام وأهم المدن فيه	25-6
المبحث الثاني: احوال السواحل الشامية في العصر الاسلامي	36-26
المبحث الثالث : اوضاع سواحل بلاد الشام قبيل الحروب الصليبية	50-37
الفصل الثاني: العوامل المؤثرة في المتغيرات الاقتصادية لسواحل بلاد الشام ابان الحروب الصليبية	101-51
المبحث الاول : الصراع الاسلامي الصليبي على سواحل بلاد الشام	71-52
المبحث الثاني : الاقطاع الصليبي في سواحل بلاد الشام	80-72
المبحث الثالث: النشاط التجاري للمدن الايطالية ودورها في تأسيس المملكة الصليبية	93-81

المبحث الرابع : الكنيسة والتنظيمات الدينية المسيحية	101-94
الفصل الثالث : المتغيرات الاقتصادية في سواحل سواحل بلاد الشام ابان الحروب الصليبية	179-102
المبحث الاول: المتغيرات الزراعية والصناعية اولاً : النظم الزراعية وأحوال الفلاحين	116-103
ثانياً: الصناعات	125 -117
المبحث الثاني : النشاط التجاري في سواحل بلاد الشام	157-126
اولاً : حركة التجارة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط عشية الحروب الصليبية	131-126
ثانياً : انتقال السيادة التجارية الى الصليبيين	139-132
ثالثاً: ازدهار موانئ سواحل بلاد الشام	148-140
رابعاً : السلع التجارية الرائجة في سواحل بلاد الشام	157-148
المبحث الثالث : المؤسسات التجارية والنظم المالية في سواحل بلاد الشام ابان الحروب الصليبية	179 -158
اولاً : الاسواق	168-158

ثانياً: العملات	175-168
ثالثاً: النظام الائتماني	179-176
الفصل الرابع : الآثار الناجمة عن المتغيرات الاقتصادية لسواحل الشام ابان الحروب الصليبية	227 -180
المبحث الاول: اثر المتغيرات الاقتصادية على البنية الاستيطانية للصليبيين في سواحل بلاد الشام	192-181
المبحث الثاني : اثر المتغيرات الاقتصادية على الملاحة البحرية	200-193
المبحث الثالث: اثر المتغيرات الاقتصادية على العلاقات التجارية بين المسلمين والصليبيين	212-201
المبحث الرابع : اثر المتغيرات الاقتصادية في ضعف الكيان الصليبي وانهائه	227-213
الخاتمة	231-228
الخرائط	239-232
قائمة المصادر والمراجع	272-240

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف خلق الله الرسول الامين محمد صلى عليه وآله اجمعين وبعد:

شهدت بلاد الشام خلال القرن الخامس الهجري حروب شرسة استطاع فيها الصليبون تأسيس مملكتهم مدة قرنين من الزمان (491-690هـ/1097- 1291م) ، وكانت هذه الحروب حافلة بالأحداث التاريخية المتشابكة وتعدد القوى السياسية مما ادى الى انهيار معظم مدنه ، لذا فلا غرابة في انها اخذت جانبا كبيرا من الاهتمام عند الباحثين في العالم الغربي والاسلامي ، فأخذ كلٌ منهم يدلوا بدلوه ويعبر عن وجهة نظره في كتابة التاريخ وعرض احداثه في صفحات مطولة ، فانتجوا كتباً عديدة تدور اغلب احداثها حول النواحي السياسية والعسكرية خاصة ما يتعلق منها بالحملات وتكوين الامارات ، متوصلين بنتيجة مفادها ان تلك الحروب ما هي الّا صراع ديني بين المسيحية والاسلام ومتخذين من الخطاب الذي اطلقه البابا والمتضمن اغتصاب القدس من قبل المسلمين ذريعة يستندون عليها في تحليل موقفهم وتثبيت آرائهم ، وهذا خطأ كبير وقعوا فيه فاصبحت صورة التاريخ عندهم مشوهة ، أذ تناسى هؤلاء بأن هذه الدعوات الدينية ما هي الّا ستار يخفي وراءه اطماع وغايات ، فحينما جاءت الشعوب الاوروبية الى ديار المسلمين كان قصدهم هو استغلال خيراتها ونهبها ، فاختاروا احسن المواقع ذات الميزة الاستراتيجية في الارض الشامية محدثين خلالها تغييرات اقتصادية كبيرة استدعت منا نحن الباحثين دراستها ومعرفة نتائجها .

عندما اقترح الاستاذ المشرف عنوان الاطروحة " المتغيرات الاقتصادية" لم يعين الميدان الجغرافي الذي حدثت فيه، إذ ترك لي حرية الاختيار في الاقليم الذي تقصده

الدراسة ، فرأيت ان انسب شئ لهكذا عنوان هو "الساحل الشامي" والمتضمن مدن عديدة وهي السويدية ، اللاذقية ، جبلة ، طرسوس ، عرقة ، طرابلس ، جبيل ، بيروت ، صيدا ، صور ، عكا ، حيفا ، قيسارية ، ارسوف ، يافا ، عسقلان ، غزة ؛ والسبب في ذلك تمتع هذا الاقليم بميزات مهمة جعلت قادة الفرنج يمدون نفوذهم إليه ، ففضلاً عن موقعه الاستراتيجي وارتباطه عبر البحر بمواطنهم الغربية كان يتمتع بخيرات كثيرة من ثروات زراعية ومواد خام اولية اضافة الى تحكمه بالطرق التجارية ، كل هذه الميزات جعل الغزاة يتخذون هذا الاقليم موطناً و لمملكتهم داراً خاصة باتخاذهم عكا عاصمة لهم بعد ان بان الضعف في صفوفهم نتيجة حروب صلاح الدين وقيام معركة حطين 583هـ/1187م ، اما بخصوص المتغيرات فتشمل دراسة التبدلات والتحولات في الجوانب الاقتصادية في كل زواياها التجارية والزراعية والصناعية ونظمها المالية ومعرفة آثارها المتعددة في الجوانب الاجتماعية والسياسية.

نطاق البحث

وللخوض في تلك التفاصيل قسمت بحثي الى اربعة فصول سبقتها مقدمة وذيلناه بخاتمة تعد خلاصة نتائج الدراسة ، فالفصل الاول تضمن " **سواحل بلاد الشام منذ الفتح الاسلامي وحتى العهد الصليبي**" ، وجعلته في ثلاث مباحث ، المبحث الاول بينت فيه وصفاً جغرافياً عاما لمدن الساحل الشامي واحواله الزراعية وانهاره وبيان حدوده ومعرفة مدنه في ضوء دراسات الجغرافيين المسلمين ، اما المبحث الثاني فقد تم عرض الاحوال السياسية التي مر بها الساحل الشامي منذ الفتح الاسلامي وحتى دخول الفاطميين اليها ، في حين ان المبحث الثالث قدمت فيه وصفا كاملا لحالة التشرذم السياسي الذي لازم الساحة الشامية قبيل الاحتلال الصليبي خاصة بعد الصراع السلجوقي الفاطمي وما انبثق عنه من ضعف المسلمين وانشغال حكامهم في اتون النزاعات مما هيأ للمحتل فرصة كبيرة الانقضاض عليهم.

وجاء الفصل الثاني تحت عنوان " **العوامل المؤثرة في المتغيرات الاقتصادية لسواحل بلاد الشام ابان الحروب الصليبية** " والذي خصص في المبحث الاول منه

الصراع الاسلامي الصليبي على السواحل الشامية واهمية امتلاكها من قبل الصليبيين وآثاره على النشاط الاقتصادي لهذه المدن ومنها عكا ، وتناولنا في المبحث الثاني الاقطاع الصليبي ومعرفة نظمه وتطبيقه على ارض السواحل ومدنه ، وتضمن المبحث الثالث بيان حركة النشاط التجاري للمدن الايطالية ومنها جنوة والبندقية وبيزا ودورها في تسيير الحملات الصليبية وامتلاك زمام التجارة في شرق البحر المتوسط وغربه ، ولم ننس اثر الكنيسة والتنظيمات الدينية مثل الاسبتارية والداوية والتي ادت دورا كبيرا في صناعة المتغيرات عبر سيطرتها على الاراضي والممتلكات والتي تم منحها من قبل الملوك كمنح وهدايا في سبيل ارضاءها والحصول على دعمها وكان ذلك في المبحث الثالث.

اما الفصل الثالث وهو الاهم والاضخم بين الفصول ، وكان بعنوان " **المتغيرات الاقتصادية في سواحل بلاد الشام ابان الحروب الصليبية** " ، فقد اجتهدت فيه لدراسة التغييرات الاقتصادية والتي جاءت انسجاماً مع التطورات الجديدة خلال تلك الحروب ، فشمل المبحث الاول الأحوال الزراعية والصناعية في الساحل الشامي ابان الحروب الصليبية وبحثنا فيه المتغيرات التي لاحت هذين القطاعين وما قام به الفرنج من بناء القرى الزراعية والاهتمام بالمحاصيل النقدية والتي توفر لهم الارباح ومنها قصب السكر ، والزيتون ، والكروم ، والقطن ، كما لا نغفل ذكر الصناعات التي قامت عليها ومنها السكر ، الحديد ، والحرير ، والنبيذ ، والمنسوجات.
اما المبحث الثاني فتطرقنا فيه الى النشاط التجاري في سواحل بلاد الشام وبيان حركة التجارة في حوض البحر المتوسط عشية الحروب الصليبية ، كما تم معرفة احوال الموانئ الشامية والفعاليات الاقتصادية التي كانت تعيشها وكيفية انتقال السيادة التجارية اليها ، كذلك امكنا في التعرف على السلع التجارية الرائجة في اسواق الغرب ومدى تقبل الشعوب الاوربية اليها ابان الحروب الصليبية ، وخصصت الباحثة في المبحث الثالث معرفة اهم المؤسسات التجارية والنظم المالية مثل الاسواق والتغيرات الطارئة عليها ، والتعريف بالنظم المالية ومنها العملات الصليبية

ووصف شكلها ومحتواها وبيان اثرها ، ولم ننس كذلك تطور الاعمال المصرفية مثل تصريف النقود وعمليات الائتمان والقروض والتي قامت بها اكبر الهيئات الدينية .
أما مادة الفصل الرابع فقد حمل "**الآثار الناجمة عن المتغيرات الاقتصادية لسواحل بلاد الشام ابان الحروب الصليبية** " فالمعروف ان الاقتصاد يؤثر في سياسة الدولة واتجاهاتها واحوالها الاجتماعية ومنها الناحية العمرانية ، ومن هنا استعرضت في المبحث الاول منه اثر هذه المتغيرات على الجانب الحضاري خاصة الاستيطاني وتقديم وصف دقيق للقومونات الايطالية والتي كانت شبيه بالمدن الاوروبية ، اما المبحث الثاني فتناولت فيه الاثر الواضح في الملاحة البحرية وضبط قوانينها وسير السفن فيها ، اما اثر هذه المتغيرات على العلاقات بين المسلمين والصليبيين واستئناف القوافل لحركتها التجارية فقد خصصناه في المبحث الثالث، في حين كان المبحث الرابع يضم دور المتغيرات الاقتصادية في ضعف الكيان الصليبي وانهائه عبر استعراض الحروب التي قامت بين المدن التجارية واثرها في استعادة المسلمين للسواحل الشامية.

ومن **الصعوبات** التي واجهت البحث تمثلت في ان كتب التراث الاسلامية فيما عدا كتب الرحالة قد ركزت على الاحداث السياسية لبلاد الشام واغفلت الجانب الاقتصادي الخاص بتلك المدة رغم اهميته ولم تورد الّا اشارت بسيطة لا تتعدى اسطر قليلة مما ادى ذلك الى اعتمادنا على المراجع الغربية والتي تطلب البحث فيها ترجمتها ومعرفة ما تضمنته من المعاني والمصطلحات الاجنبية وهذا ما طول عمر الكتابة وضاعف الجهد فيها ، وامام هذه التحديات ولرفد المكتب الصليبية بهكذا نوع من الدراسات ارتأيت ان أخوض غمارها واتحمل صعوباتها لما فيه خدمة للباحثين والدارسين في هذه الموضوعات .

الفصل الاول

سواحل بلاد الشام منذ الفتح الاسلامي

وحتى العهد الصليبي

المبحث الاول : جغرافية سواحل بلاد الشام وأهم المدن فيه

عرف الشام قديما بإسم "سورية" ، وهي تسمية يونانية جاءت نسبة الى (صور[1])[2] ، او الى "آشور" الذين تولوا امرها في القرن الثامن قبل الميلاد فنسبوا سورية اليها[3] ، ثم اعطى العرب في العصر الاسلامي لبلاد سورية منذ افتتاحها اسماً آخر لها وهو "الشام" ، قال البكري[4] :" سورية بضمّ أوّله ، وكسر الراء المهملة، وتخفيف الياء أخت الواو وفتحها اسم للشام" ، وبذلك فأن اسم " سورية "يطلق على اقليم الشام كله وقد يضيق احيانٍ اخرى فيقتصر على قسم واحد منه ، كما كان يضاف في بعض العصور الى كلمة اخرى فيدل على ولاية معينة بالذات ، فسورية الكبرى الحالية تضم ضمن حدودها ولايات متعددة مثل لبنان وفلسطين والاردن[5] ، وفي أخبار الفتوح ما يدل على أن سورية عرفت عند العرب بالشام ،

---

[1] صور : مدينة حصينة على شاطئ البحر ، وهي اقدم بلد بالساحل ، وقد بنيت على جزيرة تبعد عدة اميال من البر قبل حوالي 450 قبل الميلاد . ينظر: ابن حوقل ، ابو القاسم محمد (ت 367هـ) ، صورة الارض ، دار صادر ، بيروت ، 1938م ، ج1 ، ص174 ؛ مهران ، محمد بيومي ، المدن الفينيقية القديمة ، دار النهضة ، بيروت ، 1994م ، ص161.

[2] كرد علي ، محمد بن عبد الرزاق ، خطط الشام ، ط3 ، دمشق ، 1403هـ/ 1983م ، ج1 ، ص7 ؛ علي ، احمد اسماعيل ، تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الاموي ، ط3 ، جوهرة الشام ، دمشق ، 1994م ، ص28.

[3] كرد علي ، خطط الشام ، ج1 ، ص7 ؛ الدبس، يوسف ، تاريخ سوريا الدنيوي والديني ، دار نظير عبود ، 1994م ، ج1 ، ص32 ؛ كفافي ، زيدان عبد الكافي ، بلاد الشام في العصور القديمة، دار الشروق ، الاردن ، 2011م ، ص370.

[4] ابو عبيد البكري ، عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ) ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، ط3 ، 1403هـ ، ج3 ، ص766.

[5] الصوري ، وليم ، الحروب الصليبية ، ترجمة : حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1991 ، ج3 ، ص18؛ وينظر: البهنسي ، عفيف ، الشام الحضارة ، ط1 ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 1986م ، ص26.

ففي رواية للبلاذري[1] عند فتح الشام سنة 15هـ/636م يقول فيها :" ولما بلغ هرقل خبر أهل اليرموك وإيقاع المسلمين بجنده هرب منَ انطاكية إِلَى قسطنطينية، فلما جاوز الدرب قَالَ: عليك يا سورية السلام ونعم البلد هَذَا للعدو يعني أرض الشام " ، وقد علل ياقوت الحموي[2] سبب تسميتها بهذه الاسم والذي نسبه الى : " كثرة قُراها وتداني بعضها من بعض فشبّهت بالشامات" ، أو لأن قوما من كنعان بن حام خرجوا عند التفريق فتشاءموا إليها أي أخذوا ذات الشمال فسميت بالشام كذلك[3] ، والظاهر ان العرب استعملت كلمة الشام للدلالة على الشمال لأنّها عن شأمة البيت أي شماله[4]، وهو رأي قد غُلب على الاقوال السابقة، حيث كان العرب القدماء في الحجاز يميزون بين مواطنهم الشمالية ويسمونها الشامية ومواطنهم الجنوبية ويسمونها اليمنية[5].

أما حدّ الشام فنرى الجغرافيين يختلفون في رسمه وتعيين نهاياته ، فلم توجد حدود ثابتة عندهم لهذا الاقليم ومنهم اليعقوبي[6] الذي اقتصر على ذكر حدٍّ واحدا فقط دون بقية الحدود وتمثل ذلك مع مصر بجعل رفح[7] آخر أعمال الشام والى موضع

---

[1] احمد بن يحيى (ت279هـ) ، فتوح البلدان ، ط1 ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1988م ، ج1 ، ص138.

[2] شهاب الدين ابو عبد الله (ت626هـ) ، معجم البلدان ، ط2 ، دار صادر ، بيروت ، 1995م ، ج3 ، ص312.

[3] ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل (ت732هـ) ، تقويم البلدان ، ط1، دار صادر ، بيروت ، ص15.

[4] ابن شداد ، عز الدين ابو عبد الله (ت684هـ) ، الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تح : يحيى زكريا ، ط1، 1991م ، ج1 ، ص2.

[5] الحلو ، تحقيقات تاريخية لغوية في الاسماء الجغرافية السورية ، ص28؛ اسماعيل ، عادل ، ، لبنان في تاريخه وآثاره ، ط1 ، بيروت ، 1993م، ص134.

[6] احمد بن اسحق (بعد 292هـ) ، البلدان ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1422هـ ، ج1 ، ص168.

[7] رفح : ارض بين فلسطين ومصر. ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص145.

يقال له الشجرتين[1] ، وكان وصف ابن الفقيه[2] لحدود الشام عاما غير دقيق وبأطرٍ غير متساوية وذلك بقوله : " الشام من الكوفة إلى الرملة[3]، ومن بالس[4] إلى أيلة[5]" .

أما الصورة عند الاصطخري[6] فمختلفة تماما عما سبق ، وذلك بتقديمه وصفا شاملا لحدود بلاد الشام وبجهاتها الاربع ، كما انه اول من اعطى للشام طبوغرافية واحدة وبعنوان " ارض الشام " فنراه يقول :" وأما الشام فإنّ غربيها بحر الروم[7]، وشرقيها البادية من أيلة إلى الفرات ثم من الفرات إلى حدّ الروم، وشماليها بلاد الروم

---

[1] الشجرتين : وهي أول حد مصر بين رفح والعريش. ينظر: ابن الفقيه ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (365هـ) ، البلدان ، تح : يوسف الهادي ، ط1 ، بيروت ، 1416هـ / 1996م ، ج1 ، ص115.

[2] البلدان ، ج1 ، ص143.

[3] الرملة : قصبة فلسطين بينها وبين بيت المقدس مسيرة يوم ، بناها سليمان بن عبد الملك خلال خلافته (96-99هـ) . ينظر:العزيزي ، الحسن بن احمد (ت380هـ) ، المسالك والممالك ، ط1 ، دمشق ، 2006 ، ج1 ، ص93.

[4] بالس : مدينة على شط الفرات صغيرة ، وهى أول مدن الشام من العراق، بين حلب والرقة . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص328.

[5] أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص292.

[6] ابو اسحاق ابراهيم (ت346هـ) ، المسالك والممالك ، دار صادر ، بيروت ، 2004م ، ج1 ، ص46 .

[7] بحر الروم : ويسمى البحر المتوسط وبحر الشام وبحر القسطنطينية. مخرجه من المحيط، يأخذ مشرقاً فيمر بشمال الأندلس ثم ببلاد الفرنج إلى القسطنطينية ويمتد ببلاد الجنوب إلى سبتة، إلى طرابلس الغرب، إلى الإسكندرية، ثم إلى سواحل الشام، إلى أنطاكية. ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص263؛ ابن الوردي ، سراج الدين عمر بن المظفر (ت852هـ) ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، تح: انور محمود ، ط1 ، 1428هـ/ 2008م ، ج1 ، ص237.

، وجنوبيها حدّ مصر وتيهة بنى إسرائيل[1] وآخر حدودها ممّا يلى مصر رفح" .

ونظراً للموقع الخطير الذي تمتعت به بلاد الشام حيث انه مثل العمق الامني للدولة الاسلامية الفتية المجاورة للدولة البيزنطية وما يشكله ذلك من تهديدٍ خطيرٍ من جانب البر والبحر، ادى الى ان يقسم المسلمون بلاد الشام الى اجناد عدة[2]، فجعلوها في البداية اربعة اجناد ، وهي حمص ودمشق وفلسطين والاردن[3] ، ثم زادوا عليها قنسرين[4] فأصبحت اجنادا خمسة اضافةٍ الى العواصم و(الثغور[5])[6] ، ،

---

[1] تيهة بني اسرائيل : أرض فيها رمال وبعضه جلد وبه عيون ونخيل مفترشة قليلة ويتّصل حدّ له بالجفار وحدّ له بجبل طور سيناء وما اتّصل به وحدّ له بأراضى بيت المقدس وما اتّصل بها من فلسطين وحدّ له ينتهى الى ظهر حوف مصر الى حدّ القلزم. ينظر: ابن حوقل ، صورة الارض، ج1 ، ص158 .

[2] الاجناد : ذكر البلاذري معاني عدة للفظة الاجناد ، فقال انها تعني الكور مثل كورة دمشق وكورة الاردن ، او انها المحل الذي يقبض بها الجند اعطياتهم. ينظر: فتوح البلدان ، ج1 ، ص134.

[3] اليعقوبي ، البلدان ، ج1 ، ص166.

[4] قنسرين : مدينة بالشام وتسمى الجابية ، بينها وبين حلب اثنا عشر ميلا . ينظر : الحميري ، ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت900هـ) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط2 ، دار السراج ، بيروت ، 1980م ، ج1 ، ص473.

[5] الثغور : هو كل موقع قريب من ارض العدو ، والفرق بينه وبين العواصم ، ان المسلمين حينما يخرجون من الثغر عند حروبهم مع الاعداء يعتصمون في العواصم التي تتمتع بحصانة كبيرة فيأمنوا بها. ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص79؛ ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج1 ، ص4.

[6] ينظر: الاصطخري ، المسالك والممالك ، ج1 ، ص56؛ ابن حوقل ، صورة الارض ، ج1 ، ، ص168؛ وينظر: خماش ، نجدت ، الشام في صدر الاسلام ، ط1 ، دار طلاس ، دمشق ، 1987م ، ص215 . وهذا النظام في ادارة بلاد الشام كان سائدا في العهد البيزنطي سابقا . ينظر: العدوي ، ابراهيم احمد ، الامويون والبيزنطيون، مكتبة الانجلو ، القاهرة ، ص235. وللتعرف على اجناد الشام ينظر: خريطة رقم (1) ص232.

وهو نظام اقتصر على الشام وحده دون غيره من البلدان. قال ياقوت الحموي[1] :" ولم يبلغني أنهم استعملوا ذلك في غير أرض الشام" ، وكانت لهذه الاجناد سواحل تتبعها تسمى في الاسلام الثغور البحرية[2] ، وهذه السواحل وما اشتملت عليها من مدن وموانئ تمثل المحور الذي تدور عليه دراستنا، والتي تضم تخوما تؤلفها سورية ولبنان وفلسطين والتي جعلها ابن حوقل[3] الحد الغربي لإقليم الشام ، وتغيرت هذه التقسيمات الادارية العسكرية في العهود اللاحقة بعد عصر الفتوح لتستقر في بداية العهد الاموي(41-132هـ/ 643-749م) وتحديداً بعد مرج راهط[4] على قسمين هما شمالي بلاد الشام وجنوبي بلاد الشام ، ومنذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي كان اسم الشام يطلق احيانا على القسم الجنوبي منه وهو منقسم على قسمين قسم فلسطيني ومركزه الرملة والنفوذ فيه لقبيلة طيء[5] ، والآخر دمشق

---

[1] معجم البلدان ، ج3 ، ص312.

[2] الثغور البحرية : مراكز قتالية اقامها المسلمين بسواحل الشام ومصر طوال عصر الخلافة الراشدية والاموية للسيطرة على البحر المتوسط. ينظر : ابن قدامة ، ابو الفرج قدامة بن جعفر(ت337هـ) ، الخراج وصناعة الكتابة ، ط1 ، دار الرشيد ، بغداد، 1981م ، ج1 ، ص185 ؛ وينظر: العبادي ، احمد مختار وعبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ، ط1، بيروت ، 1972م ، ص4.

[3] صورة الارض ، ج1 ، ص165.

[4] مرج راهط : موقعة جرت بين القيسيين انصار عبد الله بن الزبير يتزعمهم الضحاك بين القيس وبين الامويون بقيادة مروان سنة 64هـ، انتهت بهزيمة الضحاك ومقتله وثبت مروان السلطة له . ينظر: ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت630هـ) ، الكامل في التاريخ ، تح : عمر عبد السلام ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1417هـ/ 1997م ، ج3 ، ص241.

[5] قبيلة طيء : احدى قبائل العرب ينتهي نسبها الى أدد بن زيد بن عريب بن يشجب بن عريب بن أدد بن زيد ابن كهلان سكنت في الحجاز والعراق والشام. ينظر: القلقشندي ، ابو العباس أحمد بن علي (ت821هـ) ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تح: إبراهيم الإبياري ، ط2 ، دار الكتاب المصري ، 1402هـ / 1982م ، ج1 ، ص72.

والنفوذ فيه لقبيلة كلب[1] ، أما الشام الاعلى فيطلق على القسم الشمالي من بلاد الشام وقصبته حلب واعمالها[2].

والساحل الشامي عبارة عن شريط يمتد من ساحل شبه جزيرة سيناء حتى خليج (الاسكندرونة[3])، ويلي هذا الساحل سهول تقع شرق البحر المتوسط وغرب الجبل[4] ، جعلها المقدسي[5] في الصف الاول من هذا الاقليم بقوله :" فالصف الأول يلي

---

[1] قبيلة كلب : احدى بطون قضاعة ينتهي نسبها الى وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف ، وكان لقضاعة هؤلاء ملك ما بين الشام والحجاز إلى العراق في أيلة وجبال الكرك إلى مشارف الشام واستعملهم الروم على بادية العرب هنالك . ينظر: النويري ، أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ) ، نهاية الارب في فنون الادب ، ط1 ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ، 1423هـ ، ج2 ، ص295 ؛ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد(ت808هـ) ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح : خليل شحادة ، ط2 ، دار الفكر، بيروت ، 1408 هـ / 1988 م ، ج2 ، ص298.

[2] ابن العديم ، كمال الدين عمر بن احمد (ت660هـ) ، زبدة الحلب في تاريخ من حلب ، ط1 ، تح : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1417هـ/ 1996م ، ج1 ، ص10؛ زكار ، سهيل ، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، دار الفكر ، دمشق ، 1415هـ/ 1995م ، ج1 ، ص63-65.

[3] الاسكندرونة : من احسن موانئ حلب لأن جبل اللكام يرسل هناك بعض شعابه فتنعطف ويتكون منها شكل حوض كأنه من عمل الصناعة ، ويقال ان الاسكندر الكبير قد بناها اثناء حصاره لصور. ينظر: ابن حوقل ، صورة الارض ، ج1 ، ص182 ؛ بورتشارد(المتوفي السادس الهجري) ، وصف بورتشارد راهب جبل صهيون للارض المقدسة من خلال موسوعة الحروب الصليبية لسهيل زكار، ج37 ، ص149؛ وينظر: الغزي ، كامل بن حسين ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، ط2 ، دار القلم ، حلب ، 1419هـ ، ج1 ، ص40 .

[4] عبد المنعم ، صلاح ، طبوغرافية مملكة القدس الصليبية وعلاقتها بنشأة القلاع ضمن كتاب بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى لمحمد مؤنس ، ط1 ، دار العالم العربي ، القاهرة ، 2013م ، ص62.

[5] ابو عبد الله محمد (ت 380هـ) ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط3 ، دار صادر ، بيروت ، 1411هـ/ 1991م ، ص186.

بحر الروم وهو السهل رمال منعقدة ممتزجة يقع فيه من البلدان الرملة وجميع مدن السواحل " وتبدأ هذه السهول من الشمال وتضم سهل الاسكندرونة ثم سهول اللاذقية وجبلة وبانياس[1] والتي تمتاز بثروتها الزراعية ؛ وذلك لتوفر الظروف الملائمة من خصوبة التربة ووفرة المياه ، ومع وفرة الاراضي الزراعية الّا انها لا تكاد تكفي لسد احتياجات سكانها الزراعية ، لذا فإنها تضطر الى الاعتماد على مدن الداخل من اجل اشباع تلك الحاجات[2] ، وتحيط بهذه السهول سلسلة من الجبال والهضاب تبدأ بالامانوس في الشمال ، وتمتد الى جوار اللاذقية حيث تعرف بجبال النصيرية ثم تتابع سيرها الى نهر الكبير الجنوبي والذي يشكل الحدود السياسية بين لبنان وسورية[3] ، ثم تأتي بعد ذلك سهول لبنان الساحلية والتي يبلغ طولها 225كم ويكون امتدادها عند مصب نهر الكبير الجنوبي شمالا ، وحتى رأس الناقورة[4] جنوبا ، وتكثر النتوءات الطبيعية والصخور الضارية في هذا السهل مما ادى الى قيام العديد من الموانئ كميناء صيدا وصور وطرابلس وبيروت[5] .

اما السهول الساحلية في فلسطين فتمتد من رأس الناقورة شمالاً الى رفح جنوباً وتقسمها جبال الكرمل الممتدة من حيفا الى قسمين غير متساويين ، أحدهما شمالي ويسمى بسهل عكا والآخر جنوبي وله اسماء عدة يبلغ طولها 120 ميلاً ، اما عرضها فيتراوح ما بين بضعة امتار عند حيفا الى عشرين ميلاً في النهاية الجنوبية

---

[1] بانياس : ولها اسم آخر وهو بلنياس وتعد مدينة ساحلية تابعة الى حمص. ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص489.

[2] خماش ، نجدت ، الشام في صدر الاسلام ، ط1 ، دار طلاس ، دمشق ، 1987م ، ص42.

[3] حتي ، فيليب ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة : جورج حداد ، ط1 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1950م ، ج1 ، ص33.

[4] رأس الناقورة : احدى موانئ البحر المتوسط . ينظر : كرد علي ، خطط الشام ، ج3 ، ص241.

[5]حتي ، تاريخ سوريا وفلسطين ولبنان ، ص31؛ الجوهري، يسرى ، جغرافية البحر المتوسط، دار المعارف ، الاسكندرية ، 1984م ، ص215؛ مهران، المدن الفينيقية ، ص20.

، في حين تبلغ مساحتها 1200ميل مربع ، ومتوسط ارتفاعها حوالي 200م فوق سطح البحر ، وشواطئها غير صالحة لأقامة الموانئ ورسو السفن فيما عدا ميناء حيفا[1] .

اما اهم الانهار التي تجري في منطقة الساحل الشامي فهي كالآتي :

نهر العاصي : هو نهر حماه وحمص، مخرجه من بحيرة قدس ومصبه في البحر بأرض السويدية من أنطاكية[2] ، ويعد اطول انهار الساحل الشامي ، وبما يزيد على حوالي 600كم ، تجري 40كم منه في الاراضي اللبنانية والباقي في سورية[3] ، وسمي العاصي؛ لأن جريانه على عكس اتجاه اغلب الانهار يسير من الجنوب الى الشمال[4].

النهر الكبير الشمالي : منبعه جبال النصيرية ، ويكون جريانه باتجاه الجنوب الغربي ويكون مصبه في البحر المتوسط جنوب اللاذقية[5].

النهر الكبير الجنوبي : احد انهار لبنان ، يبلغ طوله نحو 58كم ، وينبع من مرتفعات جبل عكار وهضاب الاكروم ويصب في البحر المتوسط[6].

نهر قاديشا : ينبع هذا النهر من مرتفعات الارز ، ويكون مجراه على شكل قوس يجري من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي حتى يصب في البحر المتوسط عند طرابلس[7].

---

[1] مجلي ، يوسف ، فلسطيين والمظهر الجغرافي لمشكلتها ، ط1 ، 1948، ص11-12.

[2] ابن الوردي ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، ج1 ، ص251.

[3] ابو العينين ، حسن احمد ، لبنان دراسة في الجغرافية الطبيعية ، ط1 ، دار النهضة ، بيروت ، 1980م ، ص499.

[4] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص68.

[5] الدبس ، تاريخ سورية الديني والدنيوي، ج1 ، ص27.

[6] ابو العينين ، لبنان دراسة في الجغرافية الطبيعية ، ص490.

[7] ابو العينين ، لبنان دراسة في الجغرافية الطبيعية ، ص493.

نهر الليطاني : ينبع من قصبة بعلبك ، ويجري من الشمال الى الجنوب ، يبلغ طوله 360كم ، ويسمى بالقاسمية قبل مصبه بين صور وصيدا[1] .

نهر المقطع : من انهار فلسطين ، يعرف ايضا بإسم نهر حيفا ، يبلغ طوله 13كم ، وبذلك يعد ثالث انهار فلسطين ، وتكون مياهها بطيئة ومتقطعة الى ان يصب في خليج عكا[2].

نهر العوجاء : من انهار فلسطين بين ارسوف والرملة ، ويصب في البحر[3].

يسود المناخ المتوسطي الساحل الشامي ، ويتميز بكونه مناخاً معتدلا صيفاً دافئ ممطراً شتاءً، وتبعا لذلك فأن درجات الحرارة تعتدل في الساحل بتأثير البحر حيث تكون متوسط الحرارة حوالي 26 درجة مئوية ، كما ترتفع الرطوبة فيه ايضا الى ان تصل الى 72% صيفا[4]، وتهب على الساحل الرياح الغربية الممطرة شتاء ، وهذه وهذه الرياح عادة ما تكون محملة بالرطوبة وحين تصطدم بالجبال تسبب سقوط الامطار ، ونتيجة لذلك تكون المنطقة الساحلية المقابلة للسفوح الغربية منطقة ممطرة وتتناقص بالاتجاه من الغرب نحو الشرق ومن الشمال الى الجنوب ، اما الرياح الحارة الآتية من الشرق الى الساحل فأنها تؤدي الى سقوط المطر خاصة في الربيع والخريف ،

---

[1] حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص41 ؛ رفيق ، محمد ومحمد بهجت ، ولاية بيروت ، ط3 ، دار لحد خاطر ، بيروت ، 1987م ، ص40.

[2] الدباغ ، مصطفى مراد ، بلادنا فلسطين ، ط1 ، دار الهدى ، بيروت، 1991م ،ج1، ص30.

[3] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص167.

[4] الشامي ، صلاح الدين علي ومحمد الصقار ، جغرافية الوطن العربي الكبير ، ط1 ، دار المعارف ، الاسكندرية ، 1970م ، ص208 ؛ فايد ، يوسف عبد المجيد ، مناخ لبنان بين البحر والجبل ، ط1 ، دار الاحد ، بيروت ، 1972م ، ص33 ؛ رفلة ، فيليب واحمد سامي ، جغرافية الوطن العربي ، ط4 ، القاهرة ، 1970م ، ص56.

وتكاد تنعدم الامطار صيفا حيث هبوب الرياح الجافة الشرقية[1] .

اهم المدن التي ضمّها الساحل الشامي من الشمال الى الجنوب فهي كما يلي:

السويدية: تقع الى غرب انطاكية[2] ، وقد عرفت هذه المدينة قديما بإسم سلوقية ، وبها يصب نهر العاصي ، اشتملت على ما لا يحصى كثرة من العيون العذبة والبساتين الحاوية من كل ثمرة وفاكهة وهي من انزه نواحي انطاكية[3] ، وأهمية هذه المدينة في العصر الصليبي تأتي من كونها مثلت محور ارتباط بين مدن الظهير الاسلامي[4] والسواحل الشامية لذا حرص الصليبيون على الاستيلاء عليها بداية حملاتهم[5] .

---

[1] حتي ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ج1 ، ص50 ؛ فايد ، مناخ لبنان بين البحر والجبل ، ص35؛ غانم ، محمد الصغير ، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط ، ط1 ، ديوان المطبوعات ، الجزائر ، 1979م ، ص16.

[2] انطاكية : قصبة العواصم من الثغور الشامية ، في الاقليم الرابع وهي من أعيان البلاد وأمهاتها ، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير. ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص266.

[3] الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص330 ؛ وينظر: الغزي ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، ج1 ، ص314.

[4] الظهير الشامي : الظهير او الحوز جغرافيا هو المنطقة الممتدة بعد الساحل التي تقع خلف الميناء او الساحل البحري ، وبمعنى آخر هو المنطقة شمالا من حلب الى أيلة جنوباً على بحر الاحمر في الضفة الغربية لخليج العقبة. ينظر: مارس ، كمال ، الظهير الشامي في عصر الحروب الصليبية ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى جامعة الامير عبد القادر ، الجزائر ، 1424هـ / 2003م ، ص3.

[5] احمد ، اسامة سيد علي ، الساحل الشامي في القرن الثاني عشر / السادس الهجري ودوره في الصراع الاسلامي الصليبي ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب / جامعة عين شمس ، 1992م ، ص78.

اللاذقية: وهي مدينة عتيقة ولها قلعتان متصلتان[1] ، كان اسمها قديما في العهد الفينيقي "راميثا" ، بناها الملك سلوقس نيكاتور(312-281ق.م)[2] وسماها بإسم امه لاوديق ، وبعد السلوقيين اكمل الروم عمرانها[3] ، وصفها الادريسي[4] بأنها " مدينة عامرة آهلة كثيرة الخصب والخيرات" ، وهي ميناء لمدينة انطاكية تبعد عنها حوالي ثمان واربعين ميلا[5] ، والاستيلاء عليها يؤدي الى طريق الامداد والتجارة بين بين وادي نهر العاصي وبين الساحل[6].

جبلة: وهي مدينة صغيرة حسنة عامرة كثيرة الخير على واد جار ، ذات نخل وفواكه

---

[1] ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص5-6؛ صفي الدين ، ابن شمائل القطيعي(ت739هـ) ، مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1412هـ ، ج3 ، ص1194.

[2] سلوقس نيكاتور : يرجع نسبه الى احد العائلات المقدونية ، ولد سنة 358هـ وتولى الحكم بعد بعد ممات الاسكندر المقدوني عام 323م ، وكان مهتماً ببناء المدن ، بنى اثناء فترة حكمه بالاضافة الى اللاذقية سلوقية ، أفامية ، حلب ، الرها وكمل بناء انطاكية . ينظر: عثمان ، هاشم ، الابنية والاماكن الاثرية في اللاذقية ، ط1، دمشق ، 1996م ، ص9؛ جواد ، حسن حمزة ، نشوء الدولة السلوقية وقيامها ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب / جامعة بغداد ، 1429هـ/2008م ، ص39.

[3] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص282 ؛ شريف، حكمت بك ، تاريخ طرابلس الشام ، ط1 ، دار الايمان ، لبنان ، 1407هـ/ 1987م ، ص88.

[4] محمد بن محمد (ت560هـ) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ط1 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1409هـ، ج2 ، ص645.

[5] الميل يساوي 609 ،1 كيلو متر. ينظر: محمدين ، محمد محمود وطه عثمان ، المدخل الى الى علم الجغرافيا والبيئة ، ط4 ، دار المريخ ، ج1، ص493.

[6] ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص257 ؛ وينظر: الجنابي ، طلب صبار ، امارة انطاكية دراسة دراسة في علاقاتها السياسية بالقوى الاسلامية ، دار نينوى ، 2013م ، ص49؛ احمد ، الساحل الشامي في القرن الثاني عشر / السادس الهجري ودوره في الصراع الاسلامي الصليبي ، ص101.

وأنهار ، بينها وبين اللاذقية مسافة تبلغ اثني عشر ميلاً [1] ، من أعمال حلب قرب اللاذقية ، بناها (جبلة بن الايهم الغساني[2])[3] ، وتسمى عند الباحثين الغربيين بإسم " جبلين"[4] .

طرسوس : مدينة بثغور الشام بينها وبين الروم جبال ، تقع في الاقليم الخامس ، عرضها ست وثلاثون درجة[5] ، تقع جنوبي اللاذقية وفيها ميناء سوري مهم ، واسمها عند الفرنج تورتوزا " Tortosa " ايام الحروب الصليبية كانت مسورة بأسوار خارجية وداخلية مع قلعة في الجهة الشمالية الغربية[6]، وبها قبر الخليفة العباسي المأمون[7].

---

[1] الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج2 ، ص644؛ ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص255 ؛ ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله (ت779هـ) ، رحلة ابن بطوطة المعروفة بتحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، دار الشرق العربي ، ج2 ، ص107.

[2] جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن أبي شمر، واسمه: المنذر بن الحارث ، آخر ملوك غسان ، ادرك النبي (ص) وأسلم ثم تنصر ولحق ببلاد الروم. ينظر: ابن عساكر ، ابو القاسم بن الحسن (ت571هـ) ، تاريخ دمشق ، تح: عمرو بن غرامة ، ط1 ، دار الفكر ، بيروت ، 1415هـ / 1995م ، ج72 ، ص28.

[3] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص105 ؛ وينظر : القرماني ، احمد بن يوسف ، اخبار الدول وآثار الاول في التاريخ ، تح : فهمي سعيد ، ط1 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1412هـ/ 1992م ، ص445.

[4] الصوري ، الحروب الصليبية ، ج2 ، ص51.

[5] ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص249.

[6] مولر ، فولفغانغ ، القلاع ايام الحروب الصليبية ، ترجمة : محمد وليد ، ط2 ، دار الفكر ، دمشق ، 1404هـ / 1984م ، ص61.

[7] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص28. أذ توفى المأمون فيها عام ثمان عشرة ومائتين للهجرة بعد قيادته لأحدى الحملات المتوجهه لمقارعة الروم الذين قاموا بمهاجمة هذه المدينة وقتلهم عدد كبير من اهلها . ينظر: الطبري ، محمد بن جرير (ت310هـ) ، تاريخ =

عرقة : وهي آخر اعمال دمشق من جهة الشمال على ساحل البحر، وتبلغ المسافة بينها وبين طرابلس اثني عشر ميلا ، تقع في سفح جبل، بينها وبين البحر مسافة ميل، وعلى جبلها قلعة لها[1] .

طرابلس[2]: مدينة تقع في منتصف المسافة على البحر ، تتألف من قسمين رئيسين هما المدينة والبناء[3] ، حدودها طبيعية ، فمن الغرب يحدها البحر المتوسط ، ومن الشرق الجبال النصيرية ، ومن الشمال نهر بانياس ويمثل حدا فاصلا بين طرابلس وانطاكية ، تتميز ارضها بكونها سهلية يجري فيها غالبية انهار لبنان[4]، ويحدها جنوباً نهر المعاملتين الذي يمر بشمالي بيروت ، وهذه الموانع الطبيعية جعل الاتصال بها من قبل مدن الظهير صعباً للغاية فيما عدا منفذ حمص يقع بين جبال لبنان وجبال النصيرية[5] ، وحول المدينة المزارع والبساتين وكثير من قصب السكر وأشجار النارنج والترنج والموز والليمون والتمر[6] ، كما اشتهرت بمنتجاتها الصناعية

= الرسل والملوك ، ط2 ، دار التراث ، بيروت ، 1387هـ ، ج8 ، ص650؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج5 ، ص567.

[1] المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ج1 ، ص100؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص109.

[2] كتبها ياقوت الحموي بأضافة الفا في بدايتها لتكون صورة اسمها " اطرابلس" . ينظر: معجم البلدان ، ج1 ، ص216 . وهناك مدينة اخرى بهذا الاسم وهي طرابلس الغرب وهذه من عمل افريقية على ساحل بحر الروم. ينظر: الاصطخري ، المسالك والممالك ، ج1 ، ص38.

[3] سالم ، عبد العزيز ، طرابلس الشام تاريخها وآثارها في العصر الاسلامي ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، 1963م ، ص44.

[4] الجوهري ، نهى فتحي ، امارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري، ط1 ، دار العالم العربي ، القاهرة ، 1429هـ/ 2008 م ، ص37-39.

[5] سالم ، طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي ، مؤسسة الناشر ، الاسكندرية ، 1966م ، ص136-139.

[6] خسرو ، أبو معين الدين (ت 481هـ) ، سفر نامة ، تح : يحيى الخشاب ، ط3 ، 1983م ،ج1 ، ص47.

ومنها الحرير والزيت والصابون[1] ، وقد استفادت اهلها كثيراً من قرب غابات الارز من المدينة واستعمال اخشابها في صناعة السفن ، ونتيجة لهذه الخصائص الاقتصادية ان اصبحت هذه المدينة من المدن الحربية والصناعية المهمة خلال الحكم العربي والصليبي معاً[2].

جبيل : مدينة حسنة على البحر، لها سور من حجر حصين وليس بها ماء جار وإنما يشرب أهلها من الآبار ، بينها وبين بيروت ثمانية عشر ميلاً[3] ، وكلمة " جبيل " ترجع اساساً الى كلمتين هما " جب – ايل " ، أي بيت الله في اليونانية[4] ، وصفها ناصر خسرو[5] بالقول: " وهي مثلثة تطل زاوية منها على البحر ويحيطها سور حصين شاهق الارتفاع وحولها النخيل والاشجار"

بيروت : تقع في الاقليم الرابع ، طولها ثمان وستون ، وعرضها ثلاثة وثلاثون درجة[6]، تبعد عن دمشق يومان[7] ، اسمها مشتق من كلمة بيروتا الآرامية ومعناها ومعناها الصنوبرة[8]، وهي مدينة جليلة لها بساتين ، وبقربها جبل فيه معدن الحديد، ولها غابة أشجار صنوبر تصل جنوبها إلى جبال لبنان[9]، يحدها شمالا ولاية حلب

---

[1] سالم ، طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي ، ص17.

[2] قطب ، حسين كاظم ، أمارة طرابلس ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى جامعة بغداد ، تربية ابن رشد ، 1425هـ / 2004م ، ص11.

[3] العزيزي ، المسالك والممالك ، ج1 ، ص83 ؛ ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج1 ، ص78.

[4]عامر ، سامية ، الصليبيون في فلسطين ، ط1 ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، 2002م 2002م ، ص4.

[5] سفر نامة، ج1 ، ص48.

[6] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص525.

[7] الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج1 ، ص370.

[8] شبارو ، عصام محمد ، تاريخ بيروت ، دار صباح الفكر ، بيروت ، 1987م ، ص14.

[9] ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص247 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ج1 ، ص123.

، ومن الشرق حماة ، وجنوبا القدس ، وغربا البحر[1]، وصفها شيخو[2] وصفاً جميلاً جميلاً وذلك بقوله :" ولبيروت رأس يدخل في البحر الى نحو تسعة كيلو مترات فيجعلها كما بعض القدماء كملكة ترتفق الى الجبال وتغسل قدميها في البحر".

صيدا: تقع مدينة صيدا الى الجنوب من مدينة بيروت ، بينها وبين هذه المدينة يومان ، متصلة بجبل لبنان[3] ، وهي قديمة بل موغلة في القدم وتاريخا يدل على انها اقدم من مدينة صور[4] ، محدقة بالبساتين والأشجار، غزيرة المياه، ولها أربعة أقاليم، وهي متصلة بجبل لبنان[5] وتقع في سهل ساحلي يتميز بالخصوبة ؛ بسبب وفرة المياه يضيق في المسافة المحصورة بين السفوح الغربية لجبال لبنان الجنوبية وبين البحر لتصل الى ميلين، اسمها باللاتينية "صيدون" وهو اسم مشتق من اسم الابن الاكبر لكنعان بن حام ، وقد يكون مشتق من كون اهلها يشتغلون بمهنة صيد السمك[6]، وارضها عبارة عن مثلث قاعدته الى الداخل ورأسه شبه جزيرة او نتوء بارز في البحر ، قال عنها عماد الدين الاصفهاني:"وهي مدينة لطيفة على الساحل مورودة المناهل ذات بساتين وازهار ورياحين وأشجار النارنج والاترنج تعرب مسراتها لجناتها عن أشجان الفرنج"[7].

---

[1] رفيق ، ولاية بيروت ، ص7.

[2] بيروت تاريخها وآثارها ، مطبعة الآباء ، بيروت ، 1925م، ص8.

[3] الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، ج1 ، ص373؛ الخوري ، منير ، صيدا عبر حقب التاريخ ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ، 1966م ، ص18.

[4] عارف الزين ، احمد عارف ، تاريخ صيدا ، مطبعة العرفان ، 1331هـ / 1913م ، ص36.

[5] الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، ج1 ، ص373.

[6] زيد ، اسامة زكي ، صيدا ودورها في الصراع الصليبي الاسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، 1980م ، ص13.

[7] محمد بن محمد (ت597هـ)، الفتح القسي في الفتح القدسي ، المطبعة الخيرية ، مصر، ص31.

صور: احدى مدن ساحل الشام المشهورة ، تقع في الإقليم الرابع، طولها تسع وخمسون درجة وربع، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلثان[1] ، وهي مبنية على جزيرة والجزيرة متصلة بسد طوله نصف ميل بناه الاسكندر المقدوني 356-323ق.م[2] سنة 332ق.م[3] ، شبهها ياقوت الحموي[4] بمثل " الكفّ على الساعد" الساعد" ، وكان لصور في البداية اسمان أحدهما عبري وهو " سير" والآخر " تير " وهو اسمٌ يوناني ويعني به " انجوسينا " او " المضايق"[5] ، وقد اعجب ابن جبير[6] جبير[6] بحصانتها حينما قال عنها :" مدينة يضرب بها المثل في الحصانة لا تلقى لطالبها بيد طاعة ولا استكانة قد اعدها الإفرنج مفزعا لحادثة زمانهم وجعلوها مثابة لامانهم " ، اغلب من سكنها من الفرنج خلال الحروب الصليبية هم من التجار وعلية القوم الذين كانوا يمتلكون الجاه والثروة بفضل الرحلات التجارية الى معظم السواحل الشامية[7].

---

[1] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص433.

[2] الاسكندر المقدوني : احد الاباطرة اليونان الذي ملك الارض ، انتصر على الفرس في معركة ايسوس عام 333ق . م ومنها اتجه عبر الساحل الشامي الى مصر، وهلك في العراق وله من العمر اثنان وثلاثين عاماً . ينظر: ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ج2 ، ص136-137.

[3] حتي ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ج1 ، ص91؛ زهيراتي ، متوديوس ، الاسكندر الكبير ، ط1 ، دار طلاس ، دمشق ، 1999م ، ص65.

[4] معجم البلدان ، ج3 ، ص433.

[5] الصوري ، الحروب الصليبية ، ج3 ، ص15.

[6] محمد بن أحمد أبو الحسين (ت 614هـ) ، رحلة ابن جبير ، ط3 ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1907م ، ج1 ، ص277.

[7] الصوري ، الحروب الصليبية ، ج3 ، ص27.

عكا: مدينة كبيرة، من ثغور الشام الواسعة ، والمسافة بينها وبين طبرية[1] يومان ، وتعد من اعمال الأردن[2] ، وبين عكّا وصور شبه خليج ولذلك اطلق على عكا حذاء صور[3]، وهي مدينة قديمة ، واسمها يعني الرملة التي حميت عليها الشمس[4] الشمس[4] ، ساعد موقعها بين الجبال والبحر على اعطائها حصانة كبيرة ، كما تميزت بغناها وثروتها الكبيرة ؛ وذلك بفضل أراضيها الشاسعة وخصوبة حقولها[5] ، وكانت خلال حكم الصليبيين من المدن الغنية واحسن مكان لإقامتهم[6] ، وهذا ما جعل ياقوت الحموي[7] يصفها بقوله :" وهي من أحسن بلاد الساحل في أيامنا هذه وأعمرها"، كذلك بلغت في عظمتها مرحلة شبهها المسلمين فيها بالقسطنطينية وهي كذلك والدليل على ذلك قول الرحالة ابن جبير[8] حينما زارها خلال السيطرة الصليبية الصليبية لها سنة 578هـ/1182م:" هي قاعدة مدن الافرنج بالشام، ومحط الجواري المنشآت في البحر كالأعلام، مرفأ كل سفينة، والمشبهة في عظمها بالقسطنطينية، مجمع السفن والرفاق، وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الآفاق، سككها وشوارعها تغص بالزحام، وتضيق فيها مواطئ الأقدام "

---

(1) طبرية : مدينة بقرب دمشق بينهما ثلاثة أيام، مطلة على بحيرة معروفة ببحيرة طبرية، وجبل الطور مطل عليها. ينظر: القزويني ، زكريا بن محمد (ت682هـ) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ج1 ، ص217.

(2) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص143 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ج1 ، ص410.

(3) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ج1 ، ص164.

(4) شامي ، يحيى ، موسوعة المدن العربية ، ط1 ، دار الفكر ، بيروت ، 1993م ، ص102.

(5) الصوري ، الحروب الصليبية ، ج2 ، ص243.

(6) رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ، ص60.

(7) معجم البلدان ، ج4 ، ص143.

(8) رحلة ابن جبير ، ج1 ، ص249.

حيفا: مدينة تقع تحت طرف جبل الكرمل وهو طرف خارج في البحر وبه مرسى حسن لإرساء الأساطيل وغيرها ، وهي بين عكا وقيسارية[1]، أصل اسمها من حف بمعنى شاطئ[2] ، وتعد هذه المدينة فرضة لطبرية اي منفذها الى البحر وبينهما ثلاث مراحل خفاف[3] .

قيسارية: مدينة ساحلية لها حصن منيع، والمسافة بينها وبين يافا ثلاثون ميلاً[4] وكانت قديما من أعيان أمهات المدن ويبلغ طولها سبعاً وخمسين درجة ونصف، أما عرضها فيبلغ ثلاثاً وثلاثين درجة وربع[5] ، حازت على اعجاب الرحالة ناصر خسرو[6] عند زيارته للمدينة بقوله :" وهي مدينة جميلة بها ماء جار ونخيل وأشجار النارنج والترنج ولها سور حصين له باب حديدي وبها عيون ماء جارية" ، وكان لموقعها الجغرافي اثراً كبيراً في التجارة الدولية، حيث تقع على طرق القوافل التجارية بين مصر وصور، وقد ادرك البيزنطيون ذلك فجعلوها عاصمة لمقاطعة فلسطين حينما طبقوا التقسيم الاداري لبلاد الشام[7].

ارسوف: مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا ، تقع في الإقليم الثالث، ويبلغ طولها ستاً وخمسين درجة وخمسون دقيقة، اما عرضها فيبلغ اثنتين وثلاثون

---

(1) ابي شامة ، ابو القاسم شهاب الدين(ت665هـ) ، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تح : ابراهيم الزيبق ، ط1 ، بيروت ، 1418هـ/ 1997م ، ج3 ، ص315.

(2) ابو عون ، عبد الرحيم حسين ، اقطاعية حيفا ودورها في الصراع الاسلامي الفرنجي ، رسالة رسالة ماجستير منشورة مقدمة الى جامعة النجاح ، فلسطين ، 2004م ، ص23.

(3) الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج1 ، ص365.

(4) الحميري ، الروض المعطار، ج1 ، ص486.

(5) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص421.

(6) سفر نامة ، ج1 ، ص54.

(7) حسين ، حسن عبد الوهاب ، تاريخ قيسارية الشام في العصر الاسلامي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1990 م، ص56-57.

درجة ونصف وربع[1]، بينها وبين الرملة اثنا عشر ميلا ، وبينها وبين يافا ستة اميال ، ومن ارسوف الى قيسارية ثمانية عشر ميلا[2] .

يافا: من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكّا في الإقليم الثالث، وهي فرضة بيت المقدس ومنفذها الى البحر ، أذ بينهما ثلاث مراحل خفيفة[3] ، فكان الحجاج يصلون الى المدينة المقدسة عبرها[4].

عسقلان: مدينة تعد من ارض فلسطين ، تقع على ساحل البحر على شكل نصف دائرة[5] ، وبينها وبين غزّة اثنا عشر ميلا، وبينها وبين الرملة ثمانية عشر ميلا[6] ، ، اسمها اعجمي ، ومعناه في لغة الاعاجم " أعلى الرأس "، وفي العربية معناه " أنها في أعلى الشام" ويقال لها عروس الشام ، واهلها يشربون من آبار حلوة[7] ، وصفها العزيزي[8] :" من أجل مدن الساحل " وهي من اكثر المدن البحرية ثراءا وازدهارا لأن لأن موقعها الجغرافي يفوق موقع المدن الساحلية الاخرى جنوب يافا ، وهي المكان الوحيد الذي يمكن ان تنشأ فيه مدينة على اساس زراعي وتجاري وبحري[9] .

---

[1] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص151.

[2] ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص239.

[3] الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج1 ، ص364.

[4] مؤنس، محمد ، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ، ط1 ، ، عين للدراسات ، 1995م ، ص199.

[5] الصوري ، الحروب الصليبية ، ج2 ، ص351.

[6] العزيزي، المسالك والممالك ، ج1، ص100.

[7] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص122 ؛ ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص239.

[8] المسالك والممالك ، ج1 ، ص100.

[9] Benvenisti , Meron , The crusaders in the holyand , Jerusalem ,1970 ,P144.

غزة: مدينة بين الشام ومصر ، من نواحي فلسطين غربي عسقلان[1] ، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقلّ[2]، وهي آخذة من البر والبحر جانبيها متصلة بتيه بني إسرائيل[3] ، يبلغ طولها أربعاً وستين درجة وخمسين دقيقة، وعرضها يبلغ إحدى وثلاثين درجة وثلاثين دقيقة[4] ، واسمها يدل على القوة والثبات ، يقول حتي[5] عن اسمها :" بانه مشتق من الثبات " ، وفيها قبر هاشم بن عبد مناف جد الرسول (صلى الله عليه وآله)[6] لذلك يقال لها غزة هاشم قال أبو نواس[7]:

وأصبحن قد فوّزن من أرض فطرس ... وهنّ عن البيت المقدس زور

طوالب بالرّكبان غزّة هاشم ... وبالفرما من حاجهنّ شقور.

---

[1] العزيزي ، المسالك والممالك ، ج1 ، ص102.

[2] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص203. وبما ان الفرسخ يعادل ستة كيلو مترات فتكون المسافة بين غزة وعسقلان تساوي اثنا عشر كيلو متر. ينظر: هنتس ، فالتر ، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ط1 ، ترجمة : كامل العسلي ، 1955م ، ص94.

[3] فضل الله العمري ، احمد بن يحيى شهاب الدين (ت749هـ) ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، ط1، 1423هـ ، ج3 ، ص552.

[4] ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج1 ، ص109.

[5] تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج1 ، ص89.

[6] اليعقوبي ، البلدان ، ج1 ، ص167. وكان هاشم بن عبد مناف رجلا تاجرا كثير المال، يكثر من الأسفار ما بين مكة والشام. ينظر: ابن هشام ، عبد الملك جمال الدين (ت213هـ) ، السيرة النبوية لأبن هشام ، تح : مصطفى السقا وابراهيم الابياري ، ط2 ، 1375هـ / 1955م، ج1 ، ص137؛ ابو شبه ، محمد بن محمد بن سويلم ، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ، ط8 ، دار القلم ، دمشق 1427هـ ، ج1 ، ص152.

[7] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص202.

المبحث الثاني : احوال السواحل الشامية في العصر الاسلامي

بعد معركة اليرموك سنة 15هـ/ 636م وانكسار الروم فيها[1] ، أخذت المدن الشامية تعود الى حضيرة الدولة الاسلامية ، فتمكنت خيول المسلمين من الوصول الى شمال البلاد فدانت لهم حلب وانطاكية سنة 16هـ/637م[2] كما نجحوا في تحرير فلسطين وفتح بيت المقدس سنة 17هـ/638[3] .

وبعد ان أمّن العرب المسلمين على انتصاراتهم في دمشق[4]، ادركوا اهمية الساحل الشامي وخطورة بقائه بأيدي الروم ، حيث قيل :" وكان الذي يقوى على دمشق يملك الساحل"[5] ، فتوجه يزيد بن ابي سفيان[6] الى تنفيذ هذه المهمة ، وفي وفي ذلك يقول البلاذري[7] : " أن يزيد أتى بعد فتح مدينة دمشق صيدا وعرقة وجبيل

---

[1] وفيها رثي هرقل امبراطورهم بلاد الشام بقول حزين :" عليك ياسورية السلام ونعم البلد هذا للعدو" . ينظر: الواقدي ، محمد بن عمر(ت207) ، فتوح الشام ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، 1417 هـ /1997م، ج1 ، ص148-152 ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ،ج1، ص116-117؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج3 ، ص419.

[2] خليفة بن خياط ، ابو عمرو (ت240هـ) ، تاريخ خليفة بن خياط ، تح: اكرم العمري ، ط2 ، دار القلم ، بيروت ، 1397هـ ، ج1 ، ص134 ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج1 ، ص148.

[3] ينظر: البلاذري ، فتوح البلدان ، ج1 ، ص140؛ اليعقوبي ، البلدان ،ج1 ، ص167.

[4] وكانت دمشق وحمص قد افتتحتا قبل اليرموك سنة 14هـ/ 635م . ينظر: الواقدي ، فتوح الشام ، ج1 ، ص101؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ج3 ، ص435.

[5] يحيى ، صالح ، تاريخ بيروت ، ط2 ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1927هـ ، ص17.

[6] يزيد بن ابي سفيان ابن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وأمه زينب بنت نوفل بن خلف ، اسلم يوم فتح مكة ، توفي في الطاعون سنة ثماني عشر للهجرة وليس له عقب . ينظر: ابن سعد ، أبو عبد الله محمد (ت230) ، الطبقات الكبرى ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1410 هـ / 1990 م ، ج1 ، ص99؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج65 ، ص241 .

[7] فتوح البلدان ، ج1 ، ص129 .

وجبيل وبيروت وهي سواحل، وعلى مقدمته أخوه معاوية ففتحها فتحا يسير وجلا كثيرا من أهلها" ، واكمل بقية القادة المسلمين تحرير مدن الساحل الاخرى ، فتمكن شرحبيل بن حسنة[1] من تحرير سواحل الاردن ومنها صور وعكا[2] ، كما نجح عبادة بن الصامت[3] من تحرير اللاذقية في الساحل الشمالي ، وخلال ولاية معاوية لدمشق سنة 18هـ ، تم فتح قيسارية وعسقلان سنة 19هـ/ 640م ، ثم تيّسر بعدها فتح باقي المدن الساحلية ومنها جبلة وأطرسوس[4] ، ولم تمتنع عليهم اية مدينة عدا طرابلس ؛ وذلك لحصانة ، وقوة اسوارها ، فلم يتم فتحها الّا سنة 26هـ/ 646م[5] ، وكانت هناك اسباباً دفعت المسلمين الى ضرورة اخضاع طرابلس منها اقتصادية والتي تأتي من موقعها البحري المهم لدمشق وحمص ، وأخرى عسكرية إذ كانت هذه

---

[1] شرحبيل بن حسنة : شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن عمرو الكندي ، وهو حليف بني زهرة ، هاجر الى الحبشة ، وهو أحد الأمراء الذين عقد لهم أبو بكر إلى الشام وتوفي في الشام في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة وهو ابن سبع وستين. ينظر: ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج22 ، ص470 ؛ الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (748هـ) ، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تح: بشار عوّاد معروف ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، 2003 م ، ج2 ، ص103 .

[2] ينظر: البلاذري ، فتوح البلدان ، ج1 ، ص129؛ ابن قدامة ، الخراج وصناعة الكتابة ، ج1 ، ص290.

[3] عبادة بن الصامت : بن قيس بن اصرم بن فهر ، شهد بدرا وأحد والمشاهد كلها ، ولى قضاء قضاء فلسطين ، توفي بالرملة في فلسطين سنة 34هـ . ينظر: ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج3 ، ص158.

[4] البلاذري ، فتوح البلدان ، ج1 ، ص144 ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج2 ، ص323.

[5] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج2 ، ص271 ؛ وينظر: سالم ، طرابلس الشام تاريخها وآثارها ، ص48.

المدينة قاعدة بيزنطية مهمة تهدد الدولة الاسلامية من حيث مهاجمة الثغور البحرية الإسلامية[1].

ما ان تمكن العرب من تثبيت اقدامهم في الساحل الشامي وتمكين سيادتهم عليه حتى تطلعوا الى تأسيس قوة بحرية اسلامية وانشاء اسطولا بحريا لهم ، فأمر معاوية بجمع الصناع والنجارين ورتبهم وعمل على تنشيط دار صناعة السفن ونقلها الى عكا بعد ان كانت في مصر[2] ، مما ادى الى سيطرة المسلمين على جزيرة قبرص[3] سنة 28هـ/649م[4] ، وبمرور الوقت ازدادت خبرة المسلمين في ركوب البحر حتى تمكنوا من هزيمة الروم في معركة ذات الصواري سنة 34هـ/654م[5].

وخلال العصر الاموي (41-132هـ/ 662-750م) اتبع معاوية (41-60هـ/ 661-679م) سياسة استيطانية تقوم على خلق زيادة عددية للمسلمين يستطيع بها مقاومة الهجمات البيزنطية ، خاصة وان معظم السكان في الساحل اقرب الى اليونان

---

[1] طقوش ، محمد سهيل ، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والانجازات السياسية ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1420هـ/2000م ، ج1 ، ص377.

[2] البلاذري ، فتوح البلدان ، ج1 ، ص120.

[3] جزيرة قبرص : ثالث جزائر البحر المتوسط بعد صقلية وسردينيا ، تقع في الجزء الشمالي الشرقي من البحر ، بين خطي عرض 34-36 درجة شمالا ، وخطي طول 32- 35 درجة شرقا ، وهي من اعظم جزائر بحر الروم. ينظر: عاشور، سعيد عبد الفتاح ، قبرص والحروب الصليبية ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2002م ، ص2.

[4] خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ج1 ، ص160 ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ج1 ، ص154 .

[5] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج4 ، ص288. وكانت هذه المعركة بقيادة الاسلامي عبد الله بن سعد ، وسميت تللك المعركة بهذا الاسم لكثرة المراكب وصواريها . ينظر: المسعودي ، أبو الحسن على بن الحسين (ت 346هـ) ، التنبيه والاشراف ، دار الصاوي ، القاهرة ، ج1 ، ص135 ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج2 ، ص560.

والارثدوكس[1] واقل معارضة للدولة البيزنطية مما صعب على المسلمين المرابطة فيها، كما ان العرب كانوا يخشون اول الامر الاقامة بالقرب من البحر وهذا شيء طبيعي وذلك لأنهم أعتادوا السكن في المدن الداخلية ، وللتغلب على هذه الصعوبات بدأ معاوية بتشجيع العرب خاصة المحاربين المرابطين على الاستيطان في الساحل عبر اقطاعهم الاراضي فيه[2] ، ولم يكتف بذلك بل نقل الى هذه المدن سنة 42هـ/662م العنصر الفارسي ايضا، ومنهم اساورة البصرة والكوفة وبعلبك وحمص واسكنهم في الساحل[3] ، وفي ذلك يقول اليعقوبي[4]:" بأن سكان المدن الساحلية من طرابلس وجبيل وصيدا وبيروت قوم كلهم من الفرس نقلهم اليها معاوية" ، وقول اليعقوبي هذا فيه مبالغة كبيرة ، ذلك ان سكان الساحل ليس كلهم من الفرس وانما كانوا خليطا من اجناسٍ شتى منهم العربي والرومي والفارسي[5] ، وكان معاوية قد

---

[1] الارثدوكس : مذهب من مذاهب المسيح اتبعته الكنيسة البيزنطية في القسطنطينية ، والتي تؤكد على ان للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة ، اما تسميتها بالشرقية فيعود الى ان اكثر اتباعها هم من البلاد الشرقية ، مثل روسيا والبلقان واليونان. ينظر : شلبي ، احمد ، المسيحية ، ط10 ، القاهرة ، 1998م ، ص193و ص239.

[2] تدمري ، عمر عبد السلام ، الفتح الاسلامي وسياسة الاسكان لساحل دمشق ضمن اعمال المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ، المجلد الثاني ، تحرير : محمد عدنان البخيت واحسان عباس ، عمان ، 1987م ، ص372. ويعلل ارشيبالد تخوف العرب بالسكن في الساحل بأنهم كانوا أهل بر وأهل بداوة وأنهم كانوا غير مستعدين ولا راغبين في مواجهة البحر وقتها . ينظر: لويس ، القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط ، ترجمة : احمد محمد عيسى ، النهضة ، القاهرة ، ص88.

[3] البلاذري ، فتوح البلدان ، ج1 ، ص120. والظاهر ان معاوية استقدم الفرس ليس فقط لتغيير ديموغرافية هذه المدن وإنما اراد ان يصد بهم اعتداءات الروم البحرية خاصة وأن للفرس خبرة في الحروب البحرية اكثر من العرب. ينظر: شبارو ، تاريخ بيروت ، ص44.

[4] البلدان ، ج1 ، ص124- 125 .

[5] وفي ذلك يروي البلاذري رواية عن هشام بن الليث الصوري يقول فيها : " حدثني أشياخنا، قَالُوا: نزلنا صور والسواحل وبها جند منَ العرب وحلق منَ الروم ثُمَّ نزع إلينا أهل بلدان شتى فنزلوها وكذلك جميع سواحل الشام" . ينظر: فتوح البلدان ، ج1 ، ص120.

جعل الساحل منفى للذين يعارضون سياسته وكذلك سياسة عثمان وذلك عن طريق التهجير والنفي اليها ، وهذا ما كان واضحا من خلال نفي جماعة من قراء الكوفة واشرافها الى الشام ومن ثم الى سواحلها[1].

لقد نجحت سياسة الاستيطان التي احدثها معاوية في السواحل في غلبة العنصر الاسلامي فيها ، وللحفاظ على ما تم انجازه أُنشأت حاميات مرابطة تنقسم كل منها على عرافات[2]، وكان المرابطة يقومون بالرباط اثناء فصل الصيف عندما يصبح البحر صالحا للملاحة ، أما في فصل الشتاء وهو فصل انغلاق البحر بسبب العواصف والانواء فكانت الحاميات تعود الى قواعدها في دمشق[3] ، ولغرض

---

[1] وهؤلاء المعارضين يسمون بالمسيّرين أي المهجرين من ديارهم ، ومن هؤلاء مالك الاشتر وابن ذي الحبكة وجندب وصعصعة وابن الكواء وكميل بن زياد وعمير بن ضابئ ؛ وسبب نفيهم انهم اعترضوا على سياسة سعيد بن العاص والي الكوفة سنة 33هـ/653م ، وسياسة النفي والتسيير هذه شملت حتى الصحابي الجليل ابي ذر حينما نفاه عثمان الى الربذة في بلاد الشام ، ونفي هؤلاء الجماعة من الارض لهو أمرٌ عظيم ؛ لأنه مخالف للأحكام والشرائع الاسلامية فلم تقم لهم بينة على ان هؤلاء الناس من القراء والصالحين واصحاب البلاء في الفتح قد حاربوا الله ورسوله أو سعوا في الارض فساداً ، وإنما كان كل ذنبهم هو دعوتهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ينظر: عمر ، سيف(ت200) ، الفتنة ووقعة الجمل ، تح: أحمد راتب ، ط7 ، دار النفائس ، بيروت ، 1413هـ/1993م ، ج1 ، ص36 ؛ ابن حبان ، محمد بن حبان(ت354هـ) ، الثقات ، ط1 ، 1393هـ/ 1973م ، ج3 ، ص56 ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج4 ، ص317-318 ؛ حسين ، طه ، الفتنة الكبرى ، ط1 ، دار المعارف ، الاسكندرية ، 2002م ، ج1 ، ص94-97.

[2] العرافات : اصغر مجموعة قتالية في الجيش، وكل عرافة تتألف من مائة رجل ، والظاهر ان هذا التقسيم في الثغور البحرية يختلف عن التقسيم في الثغور البرية حيث ان على كل عشرة رجال عريفا ؛ والسبب في ذلك هو خطورة الجبهة البحرية وتعرضها الى غارات البيزنطيين المستمرة فكان يتطلب تحصينها بقوات كافية لمواجهة تلك الاخطار . ينظر: زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن الاسلامي ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة ، 2012م ، ص186؛ الجنابي، خالد جاسم ، تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الاموي ، الدار الوطنية ، بغداد ، ص221.

[3] سالم ، دراسات في تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الناشر ، الاسكندرية ، ص266.

السيادة البحرية اصر معاوية على اتمام سيطرته على بقية الجزر في البحر الشامي ، فتمكن المسلمين في عهده من فتح جزيرة رودس[1] سنة 52هـ / 673م وجزيرة ارواد[2] سنة 54هـ/ 674م وجعلها قواعد عسكرية لشن هجماتهم على البيزنطيين[3].

اما في العصر العباسي (132-656هـ/ 750-1258م) ، فبعد بناء العباسيين بغداد واتخاذها عاصمة لهم سنة 149هـ/763م[4] زالت عظمة اقليم الشام الذي كان يحتل مركزا استراتيجيا مهما في الدولة الاموية ، ولم تعد الدولة تهتم بشؤون البحر المتوسط بعد ان اصبحت وجهتها أسيا والشرق[5] ، وعلى الرغم من هذا كله حافظ العباسيون على تحصين ثغور الشام الحدودية مع البيزنطيين وجعلوها من اولويات سياستهم ، فخلال حكم أبو جعفر المنصور(136-158هـ/ 753-774م) تتبع حصون السواحل ومدنها فعمّرها وحصنها وبنى ما احتاج الى البناء منها، وفعل ذلك بمدن الثغور ثم لما استخلف الحكم المهدي (158-169هـ/ 774-785م) استتم ما بقي من تلك المدن والحصون وزاد في شحنها ، واهتم الرشيد(170- 193هـ/ 787-809م) ايضا بمدن السواحل فنقل الصناعة اليها

---

[1] جزيرة رودس: جزيرة في البحر الشامي بينها وبين قبرص عشرون ميلاً ، وبينها وبين ساحل الاسكندرية اربعة ايام . ينظر: الحميري ، الروض المعطار ، ج1 ، ص278.

[2] ارواد : جزيرة في البحر الشامي قرب مدينة طرسوس . ينظر: الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج1 ، ص375.

[3] البلاذري ، فتوح البلدان ، ج1 ، ص233 ؛ وينظر: العبادي وعبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية ، ص18.

[4] ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج (ت 597هـ) ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، تح : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1412 هـ /1992م ، ج8 ، ص116.

[5] عثمان ، فتحي ، الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري ، الدار القومية ، القاهرة ، ج2 ، ص132.

وقسّم الاموال فيها[1] .

في العصر العباسي الثاني(232-447هـ/847-1055م) تغير البنيان السياسي للدولة الاسلامية وانتقل النظام فيها الى اللامركزية ؛ فبعد عجز قادتها في الحفاظ على وحدة ارضها ظهرت دول وأمارات مستقلة استقلالا جزئيا مع الاعتراف بسلطان الخلافة ومن هذه الامارات: الامارة الطولونية (254-292هـ/868-904م) ، والاخشيدية(323-358هـ/ 934-968م) في مصر[2] ، ففي عهد الدولة الطولونية وفي الوقت الذي كانت فيه مصر والشام تمثلان وحدة جغرافية واحدة منذ اقدم الازمنة فأن من نتائج هذه الوحدة ان اصبحت هاتين الدولتين تخضعان لسلطة واحدة تحت حكم احمد بن طولون[3] سنة 264هـ/ 877م فاصبح يسمى صاحب مصر

---

[1] البلاذري ، فتوح البلدان ، ج1 ، ص163-164؛ ابن العديم ، بغية الطلب في تاريخ حلب ، تح : سهيل زكار ، دار الفكر ، دمشق ، 1988م ، ج1 ، ص186.

[2] محمود ، حسن احمد واحمد ابراهيم ، العالم السلامي في العصر العباسي ، ط5 ، دار الفكر العربي ، بيروت، ص421 . بالاضافة الى هذه الامارات ظهرت دول عدة منها: الدولة الصفارية في خراسان(254-290هـ/ 768-903م) ، والدولة السامانية في بلاد ما وراء النهر(266-389هـ/ 874-999م) وتفرعت عنها الدولة الغزنوية(351-582هـ/962-1136م) . ينظر: حسن ، ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط14 ، دار الجيل ، بيروت ، 1416هـ / 1996م ، ج3 ، ص71.

[3] احمد بن طولون : اصله من المماليك الاتراك ، ولد سنة 220هـ/ 835م ، تولى حكم مصر سنة 254هـ/ 868م ، وقد سفك كثيرا من الدماء ، وقيل انه مات في حبسه ثمانية عشر الف انسان ، توفي سنة 270هـ/883م . ينظر: ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ج12 ، ص230 ؛ الذهبي ، العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج1 ، ص388؛ ابن تغري بردي ، ابو المحاسن (ت874هـ) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب ، مصر، ج3 ، ص13.

والشام والثغور الشامية[1] ، فخضعت اليه مدن سواحل بلاد الشام وأهمها طرابلس ، وعكا ، ويافا ، واصبحت تابعة الى دولته[2] ، فانشأ في عكا قاعدة بحرية تعد من امنع مدن بلاد الشام ، وكان برجها الذي يعلو سورها المزدوج من القوة بحيث صمد بعد ذلك بثلاث قرون في وجه ملكين من ملوك الصليبيين مدة سنتين ، كما قام بتحصين قلعة يافا[3] ، وبانتهاء الامارة الطولونية ظهرت الاسرة الاخشيدية التي حلت محلها في حكم مصر والشام[4] ، فكان من الطبيعي ان يخضع الساحل لحكمها ، لكن سرعان ما شاركهم الحمدانيون[5] في اقتسامه معهم ، فكان نصيب

---

[1] الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب(355هـ) ، كتاب الولاة وكتاب القضاة ، تح : محمد حسن محمد ، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1424 هـ /2003 م، ج1 ، ص165 ؛ البلوي ، ابي محمد عبد الله بن محمد (ت في القرن الثالث الهجري) ، سيرة احمد بن طولون ، تح : محمد كرد، مطبعة الترقي ، دمشق ، 1358هـ ، ص93؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج6 ، ص427 ؛ وينظر: زيود ، محمد احمد ، العلاقات بين الشام ومصر في العهدين الطولوني والاخشيدي ، ط1، دار احسان ، دمشق ، 1409هـ / 1989م ، ص246.

[2] حتي ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ،ج2 ، ص187؛ طقوش ، تاريخ الطولونيون والاخشيديون والحمدانيون ، ط1 ، دار النفائس، بيروت ، 1429هـ/ 2008م ، ص71.

[3] زيود ، العلاقات بين الشام ومصر في العهدين الطولوني والاخشيدي ، ص42.

[4] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج11 ، ص16؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج7 ، ص56.

[5] الحمدانيون ، اسرة من قبيلة تغلب ، تمكنت بعد ضعف العباسيين بقيادة زعيمهم حمدان بن حمدون من مد نفوذها الى الموصل وجميع ارجاء ديار بكر وربيعة ، ونجحت مساعيهم في اقامة دولة مستقلة في حلب بزعامة سيف الدولة الحمداني سنة 333هـ ، استمر عهدها حتى سنة 394هـ/ 1003م . ينظر: ابن القلانسي ، حمزة بن أسد بن علي بن محمد (ت555هـ) ، ذيل تاريخ دمشق ، تح: سهيل زكار ، ط1، دار حسان ، دمشق ، 1403 هـ /1983 م، ج1 ، ص8 ؛ وينظر: ماجد ، عبد المنعم ، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر ، ط4 ، دار الفكر ، القاهرة ، 1414هـ/ 1994م ، ص135؛ حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج3 ، ص127؛ عدوان ، احمد ، الدولة الحمدانية ، ط1 ، ليبيا ، 1981م ، ص73 ، ص81.

دمشق وما يتبعها من سواحل للاخشيدين ، وانطاكية وحلب وحمص وسواحلهما للحمدانيين وكان ذلك سنة 333هـ/944م[1] .

استغلت الامبراطورية البيزنطية الصراع بين القوى السياسية على بلاد الشام خاصة بين الحمدانيين والاخشيديين فتمكنوا من الاستيلاء على جزر البحر المتوسط ومنها جزيرة قبرص عام 354هـ / 965م[2] ، ومن قبلها جزيرة كريت[3] عام350هـ / 961م وبذلك نجحوا في انتزاع السيادة الاسلامية منها[4] ، ثم طمع نقفور(352-359هـ/ 963- 969م)[5] في امتلاك الساحل الشامي فزحف على شماله واستولى على طرسوس سنة 354هـ/965م ، ثم استغل وفاة سيف الدولة الحمداني[6] سنة

---

[1] ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ من حلب ، ج1 ، ص68؛ وينظر: سرور ، محمد جمال الدين ، النفوذ الفاطمي في مصر والشام ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1957م ، ص12؛ توفيق ، عمر كمال ، مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي ، ط2 ، 1967م ، ص62.

[2] الانطاكي ، يحيى بن سعيد (ت458هـ) ، تاريخ الانطاكي ، تح : عمر عبد السلام ، جروس برس ، طرابلس ، 1990م ، ص106.

[3] جزيرة كريت : وترد في المصادر الاسلامية بإسم اقريطش وهي جزيرة عامرة كثيرة الخصب وبها مدن عامرة ، وبينها وبين ساحل البحر يوم وليلة، طولها من الشرق إلى الغرب ثلثمائة ميل، وبينها وبين جزيرة صقلية مسيرة تسعمائة ميل ، وسميت اقريطش لأن أول من عمرها رجل يقال له قراطي. ينظر: الحميري ، الروض المعطار ، ج1 ، ص51.

[4]Oman , The Byzantine Empire , New york , 1908, P228

؛ آرشيبالد ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ص158 .

[5] نقفور : من كبار القادة البيزنطيين ، ينحدر من اسرة عريقة في قبادوقيا ، اصبح وصيا على العرش لأبن رومانوس ملك الروم الذي كان غير بالغ بعد وفاة ابيه سنة 352هـ. ينظر: الانطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ص100؛ العريني ، الباز ، الدولة البيزنطية ، دار النهضة ، بيروت ، ص434.

[6] سيف الدولة الحمداني : أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان ، احد رجالات الدولة الحمدانية وقادتها ، ولد سنة 303هـ / 915م وتوفي عام 356هـ/966م في حلب ، كان شجاعاً محباً للشعر ومجالسة الادباء وللمتنبي فيه قصائد عديدة ، قال عنه ابو منصور الثعالبي =

356هـ/ 966م[1] ، فاستولى عام 357هـ/967م على عرقة ومرقية[2] وجبلة واللاذقية بعد صلح معها[3] ، وفي عام 358هـ/968م استولى على انطاكية[4] ، وفي ذلك يقول ابن الاثير[5] :" دخل ملك الروم الشام ولم يمنعه احد" ونتيجة لذلك اذعنت حلب اليه ودخل الحمدانيون في طاعة الروم بعد صلح مع اهلها على مال يؤدونه اليهم كل عام[6].

بعد ان اسس الفاطميون دولتهم في مصر(358- 567هـ/ 968 – 977م) ، اتجهت انظارهم صوب بلاد الشام ، فتمكنوا من فتحها واقامة الخطبة باسمهم في دمشق سنة 359هـ/ 568م[7] ؛ ولهم في هذا الفتح اسباباً عدة اهمها عقائدي

= :" إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء مَا اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر" . ينظر: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت429هـ) ، يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ، تح: مفيد محمد ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1403هـ/ 1983م ، ج1 ، ص37 ؛ ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681هـ)، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، ط1 ، تح : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ج3 ، ص401-406.

[1] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج7 ، ص255؛ ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ من حلب ، ج1 ، ص89؛ ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج1 ، ص162.

[2] مرقية : قلعة حصينة في سواحل حمص . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص109.

[3] الانطاكي، تاريخ الانطاكي ، ص126-127.

[4] الانطاكي، تاريخ الانطاكي ، ص136 .

[5] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج7 ، ص290 .

[6] ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ من حلب ، ج1 ، ص95؛ الانطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ص135.

[7] ينظر: ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج7 ، ص280-281؛ ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج4 ، ص61-62 ؛ ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج4 ، ص23.

والمتمثل بمحاربة العباسيين وانتزاع الخلافة منهم ، وامني وهو تأمين حدود مصر من الجهة الشمالية الشرقية[1] .

كذلك لا يمكن بأي حال من الاحوال تجاهل الباعث الاقتصادي الذي يقف وراء الفتح الفاطمي لبلاد الشام ومحاولتهم السيطرة على منافذ التجارة الدولية في الموانئ الشرقية للبحر المتوسط حيث نهايات طرق القوافل التجارية ، وما يجره ذلك بالنفع على اقتصاد الدولة الفاطمية .

في خضم تلك الاحداث وبعد سيطرة الفاطميين على دمشق ، اصبحت سواحل بلاد الشام الجنوبية تابعة لهم ، ثم استقلت طرابلس عن دمشق واصبحت اقليما قائما بذاته يسمى اقليم الغرب ضم طرابلس وبيروت وصيدا[2].

[1] ينظر: سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية ، ط1 ، دار الفكر ، القاهرة ، 1994م ، ص117.

[2] سالم ، دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الاسلامي ، جامعة بيروت ، 1970م ، ص68.

المبحث الثالث : اوضاع سواحل بلاد الشام قبيل الاحتلال الصليبي

ان الوقوف على معرفة احوال الساحل الشامي قبيل الاحتلال الصليبي يتطلب منا الوقوف على بيان حال القوى السياسية المتحكمة في البلد وتأثيرها على سير الاحداث فيه ، إذ افرزت الصراعات السياسية والاختلافات المذهبية بين اطراف النزاع السابقة اوضاعا صعبة واوقاتٍ حرجة ادت الى تأقلمه وتقطيعه الى اوصال عدة، وكان النزاع على اشده بين الفاطميين والبيزنطيين فنتج عن ذلك اقتساماً لمناطق الصراع فيما بينهما ، فالمناطق الشمالية مع سواحله وتضم حلب وقاعدتها انطاكية خضعت للحكم البيزنطي، والجزء الجنوبي مع الساحل اصبح تابعا لحكم الخلافة الفاطمية وقاعدته الرئيسة طرابلس الشام[1] ، لكن الحال لم يبق على ما هو عليه فخرجت حلب عن نفوذ الحمدانيين الموالين للروم سنة 402هـ/1011م بعد قيام صالح بن مرداس من بني كلاب بتأسيس امارة فيها وامتداد نفوذها الى سواحل الشام[2] ، واصبح ملك بيزنطة مقتصراً على انطاكية وحدها و بقيت الاوضاع على هذا الحال ، الى ان برز عامل جديد تمكن من قلب قواعد اللعبة السياسية وغيّر سياسة التوازن العسكري في هذا البلد تمثل بقوة السلاجقة الاتراك[3] ، فهذه العصبة

---

[1] جب ، هاملتون ، صلاح الدين الايوبي ، تح: يوسف ايبش ، ط2 ، 1996م ، ص23.

[2] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج5 ، ص476؛ ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ج1 ، ص131.

[3] وهؤلاء اصلهم من الترك الخزر ، سكنوا تركستان ، وكانت سيرتهم النهب والسلب ، يسمون احيانا بإسم " سالجوق " أو " سالجيق " وفي النصوص التركية " سالجوك " نسبة الى زعيمهم "سلجوق" . ينظر: الراوندي ، محمد بن علي بن سليمان (ت 601هـ) ، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ترجمة : ابراهيم أمين وفؤاد عبد المعطي ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، 1379هـ / 1960م ، ص145-153؛ وينظر: بارتولد ، تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة احمد سعيد سليمان ، الهيئة المصرية العامة ، 1996م ، ص118 .

وبعد ان ارست قواعدها في خراسان[1] والجبل[2] سنة 430هـ/[3] ، بدأت اطماعها تتجه صوب العراق ، وقد شجعتها الظروف السيئة التي مر بها هذا البلد في تملكه والسيطرة عليه ،اذ تمكنت من توطيد نفوذها في العراق اثر ضعف سلطة بني بويه[4] ومن ثم أخذ احد سلاطينها وهو الب ارسلان(455-465هـ/ 1063- 1072م)[5] يخطط للأستيلاء على بلاد الشام ، فابتدأ اولاً باخضاع مدينة حلب[6] ومد نفوذه الى

---

[1] خراسان : تسمى قديما ببلد أشيرية ، وتشتمل على امهات المدن مثل نيسابور وهراة ومرو ، أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان ، وغزنة ، وسجستان ، وكرمان . ينظر : البكري ، المسالك والممالك ، ج1 ، ص441؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص350

[2] الجبل : ويسمى في عهد السلاجقة " عراق العجم " ، تمييزا له عن " عراق العرب " ويضم عدة مدن اهمها : قرميسين ، واصفهان ، والري ، وهمذان وهي دار حكومة السلاجقة. ينظر: فضل الله العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج5 ، ص165 ؛ لسترنج ، كي ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، الرابطة ، بغداد ، 1954م، ص221.

[3] ابن الجوزي ، المنتظم ، ج15 ، ص267؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج9، ص355.

[4] بنو بويه : أسرة يرتفع نسبهم الى واحد من ملوك الفرس ، سكنوا بلاد الديلم فنسبوهم اليها ، دخلوا العراق في حكم الخليفة المستكفي استجابة لطلب القواد سنة 334هـ / 945م لأنقاذ الوضع المزري فيه . ينظر: مسكويه ، ابو علي احمد بن محمد (ت421هـ) ، تجارب الامم وتعاقب الهمم ، تح : ابو القاسم إمامي ، ط2 ، 2000م ، ج6 ، ص114؛ ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت 709هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، تح: عبد القادر محمد مايو ، ط1 ، دار القلم العربي ، بيروت ، 1418هـ / 1997م ، ج1 ، ص270-271 .

[5] الب ارسلان : أبو شجاع محمد بن جعفري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، الملقب عضد الدولة ، ولد 424هـ / 1032م ، توسعت مملكته وقصد بلاد الشام وعبر الفرات ، توفي 465هـ / 1072م ودفن في مرو . ينظر: ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج5 ، ص70.

[6] ابن العمراني ، محمد بن علي بن محمد (ت580هـ) ، الانباء في تاريخ الخلفاء ، تح : قاسم السامرائي، ط1، 1421هـ/ 2001م ، ج1 ، ص199؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص222 ؛ البنداري ، الفتح بن علي (ت643هـ) ، تاريخ دولة آل سلجوق ، =

املاك بيزنطة مستغلاً ارتباك احوالها السياسية اثر وفاة امبراطورها الشهير باسيل الثاني(365-415هـ/ 976-1025م)[1] ومجيء اباطرة ضعاف[2] ، ثم كانت المواجهة الحاسمة في معركة ملاذكرد[3] سنة 463هـ/1070م والتي كانت نتائجها ايذاناً ببدء صفحة جديدة في تاريخ العلاقات الاسلامية المسيحية وفيها حسمت الامور لصالح السلاجقة بعد اسر امبراطور الروم رومانوس الرابع[4]، مما دفع الكنيسة الى اتخاذها مبرراً للدعوة الى حروب الصليبية[5] .

= طبعة الموسوعات ، مصر ، 1318هـ / 1900م ، ص25؛ ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ج1 ، ص173.

[1] باسيل الثاني : تولى الحكم البيزنطي بعد وفاة زمسكيس وعمره ثمانية عشر عاماً ، اظهر مقدرة وكفاية في الحكم ، اشتهر بحروبه في القارة الاوروبية وخاصة على الجبهة البلغارية اباد فيها شعبها حتى لقب " سفاح البلغار" ، توفي في سن الثامنة والستين بعد ان حكم فترة طويلة . ينظر: عمران ، محمود سعيد ، الامبراطورية البيزنطية وحضارتها ، ط1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1422هـ ، ص225 ، العريني ، الدولة البيزنطية ، ص653.

[2] مرسي الشيخ ، محمد محمد ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، دار المعرفة ، الاسكندرية ، 1994م ص303.

[3] اسماها ياقوت منازجرد وهي ارض بين خلاط وبلاد الروم ، اهلها من ارمن وروم. ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص202.

[4] رومانوس الرابع : ديو جنيس امبراطور الروم ، تولى العرش بعد زواجه من ارملة قسطنطين العاشر، وهو من قبادوقيا ، واشتهر بأنه قائد شجاع وله شهرة كبيرة في المجال العسكري لكن خسارته أمام السلاجقة ادت الى اقصاءه من العرش بعد معركة ملاذكرد بعام واحد . ينظر: بينز ، نورمان ، الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة : حسين مؤنس ومحمود يوسف ، ط1 ، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، 1950م ؛ العريني ، الدولة البيزنطية، ص851 ؛ الزيباري ، محمد صالح ، سلاجقة الروم في آسيا الصغرى ، ط2 ، 2009م ، ص67.

[5] ينظر: الحسيني ، صدر الدين علي بن ناصر (ت بعد 622هـ) ، اخبار الدولة السلجوقية ، لاهور ، 1933م ، ص49-51؛ البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص37-38 ؛ وينظر: العريني ، الدولة البيزنطية ، ص853 ؛ عاشور، الحركة الصليبية ، ج1 ، ط2 ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1971م ، ج1 ، ص89.

بعد معركة ملاذكرد اصبحت املاك البيزنطيين تحت رحمة السلاجقة خاصة بعد تمكنهم من التوغل الى عمق آسيا الصغرى وتأسيس دولة عرفت بدولة "سلاجقة الروم" سنة 470هـ/1077م بقيادة (سليمان بن قتلمش[1])[2] ، ومن ثم طردهم نهائياً من انطاكية سنة 477هـ/1084م بعد ان ظلوا فيها فترة طويلة تزيد على مئة وعشرين سنة[3] .

تولى ملكشاه (465-485هـ/1072م-1092م)[4] السلطنة بعد وفاة والده الب ارسلان[5] وكان امتداد نفوذ السلاجقة الى بلاد الشام من اهم اولويات سياسته غير ان عقبة الاستيلاء على هذا البلد تمثلت بالفاطميين ، فاخذ يعمل بكل ما اوتي من قوة على ازالة اسمها من الخارطة السياسية لبلاد الشام ، واضحت القوتان تتصارعان

---

[1] سليمان بن قتلمش : ابن عم جغري بك جد السلطان ملك شاه ، ومن رجالات السلاجقة العظام ، حاول توسيع ممتلكاته في آسيا الصغرى وشمال الشام ، واشتد الصراع بينه وبين حكام المنطقة من العرب والترك ، الى ان كانت نهايته على يد تاج الدولة تتش على اسوار حلب سنة 478هـ . ينظر: ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج1 ، ص217؛ وينظر: مرسي الشيخ ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص323؛ حسنين ، عبد النعيم محمد ، ايران والعراق في العصر السلجوقي ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1402هـ/ 1982م ، ص71.

[2] أمين ، حسين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، مطبعة الرشاد ، 1385هـ / 1965م ص251 ؛ حلمي ، احمد كمال الدين ، السلاجقة في التاريخ والحضارة ، ط1 ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، 1979م ، ص40. ولقد ادى تأسيس هذه الدولة الى تغيير الواقع التاريخي والجغرافي للمنطقة أذ اصبحت الاناضول منذ ذلك الحين منطقة نفوذ تركي، حيث شجع سليمان هجرة الاتراك اليها مما ادى الى زيادة نسبتهم وباتوا يشكلون اغلبية السكان خلال فترة قصيرة . ينظر: الزيباري ، سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، ص69.

[3] ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، ص190 ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص294.

[4] ملكشاه : أبو الفتح الملقب جلال الدولة ، ولد 447هـ/ 1055م ، دخل الى بغداد مرتين وفي الثالثة كانت وفاته فيها عام 485هـ/ 1092م . ينظر: ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج5 ، 287-288.

[5] البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص45؛ الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ص54.

في سبيل البقاء في هذا البلد ، ويبدو من معطيات الاحداث ان الغلبة كانت للسلاجقة الاتراك الذين نجحوا في ازاحتهم عن اغلب املاكهم في الشام ولم يعد لهم فيها نفوذ سوى الساحل ، فالدولة الفاطمية لم تستطع ان تحتفظ على ممتلكاتها في الاقاليم التابعة لها لاسيما المتعلقة ببلاد الشام والتي اضاف مهمة الاحتفاظ بها عبئاً ثقيلا للدولة استنزف الكثير من مواردها المالية الناتجة عن حركات الاسترداد الخاصة بها ، فتعاقب على حكم دمشق خلال المدة من 433-460هـ/1041-1067م ثلاثة عشر واليا جميعهم عجزوا عن مواجهة الاضطرابات فيها ، ومنهم بدر الجمالي[1] الذي تولى حكمها سنة 455هـ/1063م لكنه استصعب امرها وترك عرشها بعد سنة تقريباً ، فاقتصر حكمه على عكا وصيدا وبقية مدن الساحل[2] فاستغلت بعض القوى المحلية الواقع السيء هذا وتمكنت من تأسيس امارات شبه مستقلة ، منها أمارة صور من قبل القاضي ابن أبي عقيل[3] سنة 450هـ/

---

[1] بدر الجمالي : ارمني الاصل ، من مماليك جمال الدولة بن عمار والي طرابلس ، ظهر منه كفاية واضطلاع استدعاه المستنصر الى مصر ليكفي امرها ، فاعاد ترتيب امور الدولة حتى اصبح الرجل الاول فيها، فتح بلاد كثيرة وامتدت به الايام الى ان توفى سنة 487هـ . ينظر: ابن الصيرفي ، علي بن منجب بن سليمان (ت542هـ) ، الاشارة الى من نال الوزارة ، تح : عبد الله مخلص ، د . ط ، المعهد العلمي الفرنسي ، القاهرة ، 1934م ، ص58 ؛ المقريزي ، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي (ت845هـ) ، اتعاظ الحنفاء بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء ، تح: جمال الدين الشيال ، ط1 ، جامعة الإسكندرية ، مصر ، ج2 ، ص329. للمزيد عن معرفة احوال بدر وانجازاته ينظر: دخيل ، محمد حسن ، الدولة الفاطمية الدور السياسي والحضاري للأسرة الجمالية ، ط1 ، مؤسسة الانتشار ، بيروت ، 2009م ، ص55 .

[2] ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، ص154-155 ؛ وينظر: الغامدي ، علي محمد علي ، بلاد الشام قبل الغزو الصليبي ، رسالة ماجستير مقدمة لنيل درجة الماجستير مقدمة الى جامعة ام القرى ، 1402هـ/ 1982م ، ص68.

[3] ابن ابي عقيل : ابو الحسن القاضي المعروف بن محمد ابن عبد الله بن علي بن عياض بن أحمد بن أيوب بن أبي عقيل الملقب "عين الدولة " ، تولى القضاء في صور بعد وفاة ابيه =

1058م[1] ، وأمارة ابن عمار[2] في طرابلس بعد سنة 457هـ/1064م[3]، ولم يتعرض الفاطميون لهاتين الامارتين ورضوا بالأمر الواقع طالما انهما يخضعان لسيادتهم الروحية ويسيران على خطى العقيدة الشيعية ، فكانت الخطبة وكذلك النقود بإسم الخليفة المستنصر بالله (427-487هـ/ 1035-1094م[4])[5].

= عام 450هـ. ينظر: ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج31 ، ص71؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج9 ، ص748.

[1] ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج1 ، ص90.

[2] ابن عمار : وأسمه عبد الله بن عمار بن الحسين، الملقب ابو طالب أمين الدولة ، وهو من أعقل الناس، وأسدهم رأياً، كان فقيهاً على مذهب الشيعة ، ولايته على طرابلس لم تدم طويلا اذ توفي سنة 464هـ/ 1071م. ينظر: المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ، ج2 ، ص307؛ ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج1 ، ص80 .

[3] قطب ، أمارة طرابلس ، ص58 . لقد قصرت كتب التراث عن الاتيان بتاريخ محدد لاستقلال هذه المدينة ، كما ان مدد الولاة الذي سبقوا ابن عمار كانت ايضاً مجهولة ، وكل ما قيل في كتب المراجع لا يتعدى كونه مجرد تخمينات يستخلصها الباحثون من احداث معينة ، وقد استعان قطب في ثبت رأيه حول تاريخ استقلال هذه الامارة بقرينة تاريخية لرواية سبط ابن الجوزي في حوادث سنة 459هـ/ 1066م المتعلقة في الخلاف بين الخليفة المستنصر بالله وبين محمود بن نصر والي حلب ، وتدخل القاضي ابن عمار ونجاحه في حل النزاع . ينظر: شمس الدين ابي المظفر (ت654هـ) ، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان ، تح : محمد بركات، ط1، دار الرسالة العالمية ، سوريا ، 1434هـ / 2013م ، ج19 ، ص193.

[4] المستنصر بالله: أبو تميم معد بن الظاهر ، أمه السيدة رصد، ولى الخلافة بعد موت أبيه الظاهر لإعزاز دين الله سنة 427هـ/ 1035م ، حدثت في عهده مجاعة كبيرة في مصر وهي المعروفة بالشدة المستنصرية ، فيها اكل الناس بعضهم بعضاً واضطربت الاوضاع بعدها حتى استصلح الامر وزيره بدر الجمالي ، بقي في الحكم ستين سنة . ينظر : المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ، ج2 ، ص184؛ ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص2-4.

[5] سبط ابن الجوزي ، شمس الدين ابي المظفر (ت654هـ) ، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان ، تح : محمد بركات، ط1، دار الرسالة العالمية ، سوريا ، 1434هـ / 2013م ، ج19 ، ص309؛ وينظر: رمضان ، احمد ، المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب =

وفي خضم هذه الاوضاع ظهرت جماعات تركية غزية سبقت ظهور السلاجقة ادت دورا كبيرا في تهيئة الارضية المناسبة للسلاجقة في القضاء على النفوذ الفاطمي في بلاد الشام وانهائه تُعرف بإسم "الناوكية"[1] ، إذ فكر هؤلاء يتقدمهم اتسز[2] بإقامة كيان لهم يجمع فلولهم المشتتة في البقاع ، ودولة تكون لهم ولأعقابهم

= الصليبية ، ط1، 1397هـ/ 1977م، ص41؛ مرسي الشيخ ، الامارات العربية في بلاد الشام ، ط1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، 1980 ، ص200؛ الغامدي ، بلاد الشام قبل الغزو الصليبي ، ص254. وهذا ما شهد عليه ناصر خسرو حينما زار مدن الساحل سنة 438هـ/1046م ومن ضمنها طرابلس والتي قال عنها : " وسكان طرابلس كلهم شيعة "، كذلك قال هذا القول عن صور حينما اعجب بقاضيها على الرغم من سنية مذهبه فيقول :" وتعرف مدينة صور بين مدن ساحل الشام بالثراء ومعظم سكانها شيعة والقاضي هناك رجل سني اسمه ابن أبي عقيل وهو رجل طيب ثري " . ينظر: سفر نامة ، ص48-50. للمزيد حول هذا الموضوع ينظر : حمادة ، محمد ، تاريخ الشيعة في لبنان وسورية والجزيرة في القرون الوسطى، دار بهاء الدين العاملي ، بيروت ، 2013م ، ص213-220.

[1] الناوكية وهم اصحاب واتباع ارسلان بن سلجوق ، رفضوا الاعتراف بزعامة ابناء ميكائيل بن سلجوق للسلاجقة بعد وفاة زعيمهم في سجن محمود الغزنوي ، معلنين العداء للدولة السلجوقية ، اما لقبهم بالناوكية فهو عائد الى استخدامهم القوس " الناوكية" سلاحاً رئيسياً في معاركهم ، سيرتهم السلب والنهب للمدن التي يمرون عليها ، انحدروا تحت الضغط الغزنوي الى اذربيجان وارمينيا وديار بكر والموصل وثغور بيزنطة ، ثم انسابوا الى بلاد الشام وبتقادم الايام ذابوا في جسم الاتراك اتباع السلاجقة حتى غدو ركناً هاماً من اركان البناء الاجتماعي في تلك البلاد. ينظر: ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج7 ، ص715-716 ؛ ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج4 ، ص495؛ وينظر: سهيل ، عقلة وعصام مصطفى ، الناوكية في بلاد الشام ، بحث مقدم الى المجلة الاردنية للتاريخ والآثار ، مجلد 6 ، العدد 2 ، 2012م ، ص40-45.

[2] ويسميه الشاميون " اقسيس" ابن اوق الخوارزمي ، والصحيح انه اتسز وهو اسم تركي. ينظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص260 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص113؛ ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج3 ، ص586.

، فوجهوا انظارهم صوب دمشق وتمكنوا من فتحها سنة 468هـ/1075م ، واقيمت الخطبة بإسم العباسيين ولم يخطب بعد ذلك بالشام لأحد من الفاطميين[1] ، وعلى اثر هذه الاخبار ارسل بدر الجمالي سنة 471هـ/1078م حملة عسكرية كبيرة على رأسها نصير الدولة الجياشي[2] لإعادة نفوذ الدولة الفاطمية الى بلاد الشام ، فنجح في التغلب على فلسطين ثم اشرف على دمشق وحاصرها واصبح قاب قوسين او ادنى منها ، عندئذ ايقن اتسز بالهلاك وانه لا طاقة له على المقاومة فارسل الى السلطان السلجوقي تاج الدولة تتش[3] يستصرخه ويطلب معونته ووعده بتسليم دمشق له فاسرع الى اغاثته ، فلما سمع قائد الجيش الفاطمي بوصول جحافل السلاجقة اجفل وسحب جيشه مفضلا عدم الاصطدام معهم[4] ، وحين وصل تاج الدولة الى مطالع دمشق اقدم على تصفية نفوذ الحركة الناوكية وقتل مقدمها اتسز ،

---

[1] ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ط1 ، المطبعة الحسينية المصرية ، القاهرة ، ج2 ، ص192؛ ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، ص174؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص256.

[2] نصير الدولة الجياشي : لم نعثر له ترجمة في المصادر المتاحة.

[3] تاج الدولة تتش : ابو سعيد احد ابناء السلطان السلجوقي الب ارسلان ، ولد سنة 458هـ/ 1065م، امتدت ولايته على دمشق حتى سنة 488هـ/1095م ، وكان حسن السيرة مع اهلها وقيل انه كان شجاع وله فتوحات كثيرة . ينظر: ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج1 ، ص295 ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج33 ، ص164.

[4] ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، ص182 ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص269 ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج19 ، ص345. واظن ان هذا السبب غير كافٍ ولا يستدعي لمقتل هذا الرجل ، وإنما كان طموحه السياسي هو الذي أثار تاج الدولة واستفز غضبه اضافةٍ الى سوء سريرة اتسز وظلامته لأهل الشام ما شكل خطرا على المشروع السلجوقي في اقامة دولة لهم في هذا البلد ، إذ كان ينزل جنده في بيوت الناس ، ويصادر املاكهم . ينظر: الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، تح: محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج2 ، ص329؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج19 ، ص346.

متهماً إياه بالتقصير في تقديره واستقباله[1] ، بعد هذه الاحداث اضحى تاج الدولة تتش سيد الشام بلا منازع ، فشرع في ضم المدن الشامية الباقية الى نفوذه ومنها مدينة حلب[2] ، فخاف اخوه السلطان ملكشاه من استفحال امره والتعدي على ملكه ، فقرر ان يتصدى له فقسم بلاد الشام الى اقطاعات ثم يوزعها على قادته وخاصته ، فسلم حلب واعمالها الى قسيم الدولة آقسنقر[3]، ومنح مدينة الرها[4] لبوزان[5] ، ثم اقطع انطاكية الى الامير ياغي سيان[6] ، كذلك اقر خلف بن ملاعب[7] على مدينة مدينة حمص[8]، اما جنوب الشام فبقيت على حالها تحت ملك تتش لم يصبها أي

---

[1] ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج2 ، ص194 .

[2] ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، ص194؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص303.

[3] قسيم الدولة آقسنقر : ابو الفتح حاجب مملوك السلطان ملك شاه ومن اصحابه واترابه ومحل ثقته وأسراره ، فعهد اليه ولاية حكم حلب ، قتله تاج الدولة تتش سنة 487هـ/1094م بعد انضمامه الى معسكر السلطان بركياروق . ينظر : ابن الاثير ، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ، تح: عبد القادر احمد طليمات ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، 1382هـ/ 1963، ص4 وص 15 ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج10 ، ص574.

[4] الرها : مدينة من ارض الجزيرة متصلة بحران . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص273.

[5] لم نعثر له على ترجمة في المصادر المتاحة.

[6] اقتصرت كتب التاريخ والتراجم ذكر ولايته على انطاكية ولم تلتفت الى سيرته .

[7] خلف بن ملاعب : الملقب بسيف الدولة ، من قبيلة كلاب ، تمكنت الاسماعيلية من التغلب عليه وقتله عام 499هـ /1105م. ينظر: ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج7 ، ص3354؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج10 ، ص692.

[8] سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج19 ، ص406.

تغيير[1] ، وكان لهذا العمل اثره الخطير في تفكك بلاد الشام الى ولايات وضعف جبهتها أمام الغزو الصليبي لها.

استغل بنو عمار ضعف قبضة الفاطميين على بلاد الشام وانحسار نفوذهم فيه فعملوا على توسع مملكتهم وتمددها ، فنجح فجلال الملك في فرض سيطرته على جبلة سنة 473هـ/1080م[2]، وانطرطوس سنة 477هـ/1084م[3] ، ثم ضم اليه حصن عرقة ، فاحتوت امارة طرابلس على شريط ساحلي يمتد من جبلة شمالا الى مشارف بيروت جنوباً ، وبذلك اقتصر النفوذ الفاطمي في الساحل على غزة ويافا وأرسوف وقيسارية وعكا[4] .

ادرك الفاطميون ما للساحل الشامي من اهمية في ديمومة بقائهم في بلاد الشام ، فكان لزاماً عليهم استعادة ما فقدوه من ممتلكات في هذا الاقليم ، وكان هذا قبيل الاحتلال الصليبي بسنوات قلة ، فندب امير الجيوش بدر الجمالي سنة 482هـ/1089م عسكرا من مصر بقيادة نصير الدولة الجيوشي للقيام بحركة الاسترداد ، فتمكن هذا القائد من فتح ثغري جبيل وصيدا اضافة الى صور والتي

---

[1] طقوش ، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ، ط3 ، دار النفائس ، بيروت ، 1430هـ/ 2009م، ص144.

[2] ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص111؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج19 ، ص353؛ وينظر: الغامدي ، بلاد الشام قبل الاحتلال الصليبي ، ص257.

[3] سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج19 ، ص381.

[4] رمضان ، المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، ص41 ؛ عثامنة عثامنة ، خليل، فلسطين في العهدين الايوبي والمملوكي ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 2006م ، ص15.

كان فيها ابناء بنو عقيل[1] ، الذين وصفهم ابن القلانسي[2] بقوله " بأنه ليس لهم قوة تدفع ولا هيبة تمنع" ، فاضطروا لتسليم البلد الى المصريين[3] .

اما السلاجقة فلم يكن هؤلاء اسعد حالا من الفاطميين إذ انهارت امبراطوريتهم وتفككت بموت آخر السلاطين الاقوياء ملك شاه سنة 485هـ/1092م[4] ، وسرعان ما دب الصراع والتخاصم في بيتهم حول تقاسم السلطة مما انهك قواهم العسكرية وبدد مواردهم المالية وكاد ان يطيح بالمملكة ويضعف السلالة فيها ، الى ان تمكن بركيارق[5] من الفوز بالسلطنة سنة 487هـ/1094م[6] ، مما اثار حفيظة عمه تاج الدولة تتش الذي أعتقد انه احق بالملك منه فاعلن عصيانه عليه واخذ يفتتح البلاد بإسمه ويملكها قهرا واغتصابا[7] الى ان تمكن بركيارق من قتله عام 488هـ/1095م[8] فتوزعت مملكة تتش بين ولديه رضوان ودقاق[1] ، فكان نصيب

---

[1] وهم نفيس واخوته ومنهم الحسن وابو البركات عبد الرحمن. ينظر: بن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج1 ، ص90؛ وينظر: القطار ، الياس ، لبنان في القرون الوسطى ، بيروت ، 2003م ، ص135.

[2] ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، ص197.

[3] ابن تغربردي ، النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص128 .

[4] ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص10 ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج19 ، ص448.

[5] بركيارق : اكبر اولاد ملك شاه ، ولد سنة 474هـ/ 1081م في اصفهان ، ومدة ملكه اثنا عشر سنة ، إذ توفي سنة 498هـ/1104م بعد اصابته بمرض السل . الرواندي ، راحة الصدور ، ص214-215؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص502.

[6] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص386 ؛ الراوندي ، راحة الصدور ، ص219 ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج19 ، ص450.

[7] ينظر: ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، ص201-203؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص369 .

[8] ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، ص212؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ، ص390.

نصيب رضوان حلب ، وصارت دمشق الى اخيه دقاق[2] ، وسرعان ما دب الخلاف بين الاخوين وطمع كل واحد منهما في املاك الآخر فجرت بينهما حروب كان البادئ فيها رضوان الذي كان يميل الى دمشق ويريد ان يضمها الى حلب حيث يقول ابن القلانسي[3] عنه: " لا يختار عليها سواها لمعرفته بمحاسنها وترعرعه فيها "، حتى انه مد يد الطاعة الى الفاطميين واقامة الخطبة لهم ، مقابل دعمه بالمال والسلاح وانفاذ العساكر اليه ، واستمر الوضع على ذلك الحال الى ان اتفق الاخوين على انهاء الخصام والتنازع بينهما وأن تكون الخطبة لرضوان بدمشق وانطاكية قبل اخيه دقاق[4] .

على اثر هذه الاوضاع انقسمت دولة السلاجقة على "خمس ممالك متنافسة هي سلطنة فارس (اصبهان) وعرفوا "سلاجقة فارس" وعلى راسها السلطان بركيارق الذي كانت له السيطرة في بغداد ، و" سلاجقة خراسان وما وراء النهر" وعلى رأسها ابو الحرث سنجر[5] ، و"سلاجقة بلاد الشام" وهذه المملكة انقسمت على اثنتين هي مملكة حلب وعلى رأسها رضوان ، ومملكة دمشق وعلى رأسها دقاق ، اما المملكة

---

[1] اسماه ابن تغري بردي دقماق وهو الصحيح إذ يقول في ذلك :" فإننا لم نسمع بإسم قبل ذلك يقال له دقاق، وأيضا فإنّ جدّ السلجوقيّين الأعلى اسمه دقماق، وهذا من أكبر الأدلّة على أنّ اسمه دقماق" . ينظر: النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص189.

[2] ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج1 ، ص230-231؛ البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص77 ؛ الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ص76.

[3] ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، ص215.

[4] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص412-413؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج1 ، ص236.

[5] ابو الحرث سنجر : ابن ملك شاه ، ولد سنة (477هـ/1084م) بسنجار فسمي بإسمها، تولى المملكة نيابة عن اخيه بركياروق سنة (490هـ/1096م) ثم استقل بالسلطنة في خراسان وغزنة وما وراء النهر وتلقب بالسلطان الاعظم سنة(512هـ/1118م) توفي عام (552هـ/1157م) . ينظر : الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، ص135؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج2 ، ص427-428 ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج12 ، ص45.

الاخيرة فتمثلها "سلاجقة الروم" وعلى رأسها قليج ارسلان بن سليمان بن قتلمش"[1] وبهذا الانقسام اصبحت الدولة السلجوقية ممزقة لا تخضع لحكم السلطان الواحد كما هو الحال في عصرها الاول ، واصبح كل جزء مستقلا عن الآخر يعمل لأجل مصلحته ، مما له اثره السلبي على مركزية القرار فنتج عن هذا الضعف والانحلال في البيت السلجوقي ظهور تنظيمات سياسية تولت ادارة المدن الشامية اطلق عليها الاتابكيات[2] ومنها أتابكية دمشق ومؤسسها ظهير الدين طغتكين[3] ، واتابكية الموصل ومؤسسها (عماد الدين زنكي[4])[5] .

---

[1] عاشور ، الحركة الصليبية ، ج1 ، ص114.

[2] الاتابكيات : مفردها اتابك ويعني تنظيم يديره المماليك الذين ينحدرون من بلاد القفجاق شمال البحر الاسود ويعهد السلاجقة اليهم بتربية ابناءهم ، ثم اخذوا يقدمون خدمات جليلة للدولة السلجوقية واظهروا كفاءة عسكرية فيها ، حتى انهم تولوا مناصب مهمة فيها واخذوا يحكمون ممالك اسلامية عدة. ينظر: حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والاجتماعي والثقافي ، ج4 ، ص62؛ حلمي ، السلاجقة في التاريخ ، ص147.

[3] طغتكين : ابو منصور ، من امراء تاج الدولة تتش ومن مماليكه ، عهد اليه بتربية ابنه دُقاق ، توطد نفوذه وملك دمشق وامتدت ايامه الى ان توفي عام522هـ/1128م . ينظر: ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج9 ، ص14 ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج11 ، ص378.

[4] عماد الدين زنكي : أبو الجود ابن آق سنقر بن عبد الله الملقب بالملك المنصور المعروف والده بالحاجب ، ولى شحنة بغداد ثم الموصل واضاف اليه الجزيرة ، وملك حلب عام 522هـ/ 1128م وحماة وبعلبك . ينظر: ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج2 ، ص327؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، تح : شعيب الأرناؤوط ، ط3 ، 1405 هـ / 1985م ، ج20 ، ص190 ؛المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تح: محمد عبد القادر عطا ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1418هـ/ 1997م ، ج1 ، ص142.

[5] عاشور ، الحركة الصليبية ، ج1 ، ص116.

ساعد حالة التمزق السياسي في بلاد الشام وعجز القوى السياسية على تكوين جبهة سياسية موحدة لم تستطع الوقوف بوجه الاطماع الصليبية ، فحقق هؤلاء الغزاة هدفهم في امتلاك ديار المسلمين خلال فترة قياسية لا تتعدى السنوات العدة ، وباتوا يهددون المنطقة الاسلامية بأكملها ويشكلون خطراً عليها ، وكان ضعف الفاطميين والسلاجقة في هذه المدة قد مهدا لنجاح الصليبيين في اجتياح معظم الشام ، وفي ذلك ذلك ينقل باركر[1] قول احد المؤرخين لم يذكر اسمه :" الى ان الصليبيين لو تقدم مجيئهم عشر سنوات أو تأخر قدومهم عشر سنوات لقذف بهم المسلمون الى البحر ، وذلك بسبب ما كان عليه السلاجقة زمن ملك شاه من القوة والمناعة ، وما كان للفاطميين من قوة بحرية وعسكرية ضخمة ، ثم بسبب ما حدث بعدئذ من النزوع الى توحيد العالم الاسلامي".

[1] ارنست ، الحروب الصليبية ، ترجمة : باز العريني ، ط2 ، دار النهضة ، بيروت، ص153.

الفصل الثاني

العوامل المؤثرة في المتغيرات الاقتصادية لسواحل بلاد الشام ابان الحروب الصليبية

المبحث الاول : الصراع الاسلامي الصليبي على سواحل بلاد الشام

ما ان فرغ البابا اربان[1] من القاء خطابه الحماسي في كليرمونت[2] في الثامن عشر من شهر ذي القعدة / تشرين الثاني من العام (488هـ/ 1095م) المتضمن دعوة المسيحيين لنجدة اخوانهم في بيزنطية وكذلك تحرير القدس من براثن "الكفار" على حد زعمه، حتى وجدت هذه الدعوة آذانا صاغية وقلوبا واعية عند الحاضرين وهم يرددون بصوت واحد "هكذا اراد الله"[3] ، وكان اطلاق هذه الصيحة بمثابة

---

[1] البابا اربان : من عائلة نبيلة ولد في شاتيلو سيرمارن في فرنسا والتحق بمدسة الكاتدرائية في ريم لتلقي العلم الى ان اصبح راهبا في دير كلوني ، ثم انتقل الى روما واصبح مفضلا لدى البابا جريجوري السابع ، ثم اختير بمنصب البابا محل فيكتور الثالث . ينظر : رانيسمان ، ستيفن ، تاريخ الحملات الصليبية من كليرمونت الى اورشليم ، ترجمة : نور الدين خليل ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1994م ، ج1 ، ص177؛ بردج ، انتوني ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : نبيل الجزوري ، ط1، ص43.

[2] كليرمونت : مدينة في جنوب فرنسا. ينظر: مؤنس ، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب ، ط1 ، عين للدراسات ، القاهرة ، 1999م ، ص66.

[3] باركر ، الحروب الصليبية ، ص23. إذ اخبرهم البابا بأن المسيحيين في الشرق قد ناشدوه النجدة من السلاجقة الاتراك الذين كانوا يسيئون معاملتهم وينتهكون كنائسهم المقدسة ويدنسونها ومنها القدس ، وادخال الرعب والاهانة التي كان يتلقاها الحجاج الى الارض المقدسة. ينظر: بردج ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص45؛ مرسي الشيخ ، عصر الحروب الصليبية في الشرق ، ط1 ، 2004م ، ص98. وعلى الرغم من محاولات اربان ان يعطي للحروب الصليبية الصفة الدينية الّا ان المتمعن لبقية مفردات خطابه يرى بأن هناك اهدافاً اقتصادية كانت متخفية تحت العباءة الدينية بعد ان تضمن دعوة للشعوب الاوروبية لتتخلص من واقعها المرير الذي كانت تعيشه ، حيث الفقر والجوع والتطاحن على لقمة العيش ، وهذا ما كان واضحا في قوله " لا تدعوا شيئا يقعد بكم عن املاككم او من شؤون اسركم ذلك بان هذه الارض التي تسكنوها الان والتي تحيط بها من جميع جوانبها البحار وقلل الجبال ضيقة لا تتسع لسكانها الكثيرين تكاد =

اعلان حرب امتدت لقرنين من الزمان ابتدأت من عام 491هـ/ 1097م وحتى 690هـ/ 1291م ، إذ شق الآلاف من الناس في حملة عسكرية طريقهم صوب بلاد الشام[1] ، وعند وصولهم الى القسطنطينية ، توصل قادتهم الى اتفاق مع الامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين (474-512م/1081-1118م)[2] يتضمن الحفاظ على حقوق امبراطوريته مقابل امدادهم بالادلاء والاموال والمؤن ، مما هيأ لهم اجتياز مضيق البسفور الى اراضي آسيا الصغرى[3] .

= تعجز عن ان تجود بما يكفيهم من الطعام ومن اجل هذا يذبح بعضكم بعضا ويلتهم بعضكم بعضا وتتحاربون ويهلك الكثيرون منكم في الحروب الداخلية ... ان اورشليم ارض لا نظير لها في ثمارها هي فردوس المباهج ، وبقولٍ آخر بأنها " ارض اللبن والعسل ". ينظر: الربيعي ، عبد الله بن عبد الرحمن ، اثر الشرق الاسلامي في الفكر الاوروبي خلال الحروب الصليبية ، ط1 ، الرياض ، 1415هـ / 1994، ص34؛ باركر ، الحروب الصليبية ، ص23.

[1] ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، ص219؛ وينظر: عاشور ، الحركة الصليبية ، ج1 ، ص137؛ بردج ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص48. ويقدر بيشوب اعداد المشاركين في الحملة الاولى ما بين ثلاثين الى مئة الف على اكثر تقدير . ينظر: موريس ، تاريخ اوربا في العصور الوسطى ، ترجمة : علي السيد علي ، ط1 ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، 2005م ، ص105.

[2] الكسيوس كومنين : من الاسرة الكومنينية ، وهو قائد محنك شارك في القوات التي كانت تحارب السلاجقة في آسيا الصغرى فأظهر فيها شجاعة فائقة ، ولدى عودته نادى به الجند امبراطورا بعد اختلال النظام واندلاع الحرب الاهلية ، وبمهارته تمكن من ان يعيد الامور الى مجاريها ، بعد تنازل نقفور عن العرش سنة474هـ/ 1081م . ينظر : عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ط1 ، دار المعرفة ، القاهرة ، 2000م ، ص251.

[3] قاسم ، قاسم عبدة ، الحملة الصليبية نصوص ووثائق ، ط1، 2001م ، ص22 ؛ رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج1 ، ص67-68 ؛ براور ، عالم الصليبيين ، ترجمة : قاسم عبده قاسم ، ط1 ، عين للدارسات، القاهرة ، 1999م ، ص43.

استمرت الحشود الصليبية في تحركها نحو الجنوب ، وبعد وصولهم الى جبال طوروس انقسموا عند مدينة هرقلة على قسمين[1]: الاول ووجهته طرسوس والثاني الى انطاكية ، وبعد الاستيلاء على طرسوس اتجه بلدوين[2] الى الرها مؤسسا فيها اولى الامارات اللاتينية[3] ، في حين سار الباقين نحو انطاكية مؤسسين فيها امارتهم الثانية ، ولأن مدينة انطاكية تعد " مفتاح بلاد الشام" سهل على الصليبيين الوصول الى بيت المقدس دون مشاكل كبيرة[4].

كان هناك اختلاف في وجهات النظر بين الفرنج حول الطرق المتبعة في الوصول الى المدينة المقدسة ، وكانت استراتيجية الصليبيين الحربية بالنسبة للساحل

---

[1] هرقلة : مدينة ببلاد الروم سمّيت بهرقلة بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح، عليه السّلام، وكان الرشيد غزاها بنفسه ثم افتتحها عنوة بعد حصار وحرب شديد ورمي بالنار والنفط حتى غلب أهلها . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص398.

[2] بلدوين : احد قادة الحملة الصليبية الاولى وفرسانها ، ينحدر من اسرة حاكمة في بولونيا جنوب فرنسا ، وهو الابن الاصغر ليوستاس كونت بولونيا ، تزوج من أمرأة نورمندية ، ساعد اخيه جودفري في حكم مقاطعة اللورين ، حكم المملكة الصليبية بأسم " بلدوين الاول " . ينظر: غروسيه ، رينيه ، موجز تاريخ الحروب الصليبية في المشرق الاسلامي وشرقي حوض المتوسط ، ترجمة : أحمد أيبش ، ط1 ، دار الكتب الوطنية ، ابو ظبي ، 1435هـ/ 2014م ، ص46؛ الرويظي ، محمود محمد ، أمارة الرها الصليبية ، اطروحة دكتوراه منشورة مقدمة الى كلية الدراسات الانسانية ، الجامعة الاردنية ، 1997م ، ص155.

[3] رانيستمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج1 ، ص324–325 ؛ حبشي ، حسن ، الحرب الصليبية الاولى ، ط1 ، مطبعة الاعتماد ، مصر، ص43 –47.

[4] وقد سقطت انطاكية عن طريق خيانة حارس احد ابراج المدينة وأسمه فيروز وهو ارمني الاصل ، ولم يستطع ياغي سيان أميرها ان يدفع عنها العدو . ينظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص216؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج1 ، ص239 ؛ وينظر: عاشور ، الحركة الصليبية ، ج1 ، ص212 ؛ باركر ، الحروب الصليبية، ص34 ؛ ريموناجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ترجمة : حسين محمد عطية ، ط1 ، دار المعرفة ، 1989م ، ص119.

الشامي في هذه المرحلة تقتضي بجعل الساحل معبرا لقواتهم دون المساس بأمن مدنه والتعرض له ، وحتى يصلوا الى القدس بأقل الخسائر لذلك فأنهم فضلوا مهادنة ولاة هذه المدن وعدم فتح جبهة معهم[1] ، وأتخاذ اقصر الطرق الداخلية مع الاقتراب بين حين وآخر من السواحل البحرية[2] .

كانت القدس بيد الفاطميين عند وصول الحملة الفرنجية اليها سنة 492هـ/1099م[3] ، وقد تمكن الصليبيون بعد حصار محكم من اقتحامها محدثين فيها مذبحة عظيمة حتى اصبحت المدينة من كثر القتل بحر من الدم ، وهذا ان دل على شيء فأنه يدل على وحشية هؤلاء وبشاعتهم وعدم صلتهم بالدين خاصة بعد قتل ما يزيد عن سبعين الفاً منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم[4]، فأُفرغت المدينة من كل سكانها السابقين ولم يبق فيها سوى الفرنجة المحتلين في حكم امتد اكثر من ثمان وثمانين سنة[5] وامام انقسام المسلمين وانشغالهم بخلافاتهم نرى الصليبيين يتمكنون بعد احتلال القدس من تأسيس مملكة

---

[1] الصوري ، الحروب الصليبية ، ج1 ، ص63-64.

[2] عاشور ، الحركة الصليبية ، ج1 ، ص329؛ مرسي الشيخ ، عصر الحروب الصليبية ، ص156؛ رانيسمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج1 ، ص417. وللأطلاع على سير الجيوش الصليبية ينظر: خريطة رقم (2) ص233.

[3] إذ تمكن الافضل سنة 490هـ/1096م من اخضاع المدينة والاستيلاء عليها وطرد ابناء سقمان وايلغازي ابناء أرتق التركماني . ينظر: ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، ص221؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ، ج3 ، ص22.

[4] افاضت المصادر الاسلامية والاوربية في وصف تلك المجزرة الرهيبة ، وللاطلاع على جرائم الصليبيين ينظر: ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج8 ، ص222؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص425 ؛ وينظر: حبشي ، الحرب الصليبية الاولى ، ج1 ، ص175.

[5] الحيارى ، مصطفى ، القدس في زمن الفاطميين والفرنجة ، المعهد الدبلوماسي الاردني ، الاردن ، 1998م، ص49.

ثالثة لهم سميت "مملكة المقدس" (يترأسها جودفري[1])[2] ، ولكن هذا الرجل لم يستمر في حكم المملكة طويلا ، إذ اصيب عام 494هـ/ 1100م بمرض كانت فيه وفاته ، فخلفه اخوه بلدوين صاحب الرها في وراثة العرش الملكي بإسم "بلدوين الاول"[3] .

لم تكن لمملكة القدس عند استلام بلدوين الحكم فيها سوى ميناء واحد هو يافا وكانت الملاحة فيه صعبة للغاية ؛ والسبب في ذلك هو قربه من الشاطئ وضحالة مياهه ، فلا تستطيع السفن الكبيرة الاقتراب من الشاطئ مما يضطر الملاحين الى استخدام السفن الصغيرة لتفادي المخاطر خاصة بعد هبوب الريح[4] ، وهذه ثغرة خطيرة بالنسبة للمستعمرات الصليبية التي اصبحت في جزيرة محاطة بأعداء من كل جانب لذلك كان من مهام برنامج حكومة بلدوين هو عقد هدنة امدها عشر سنوات عام 502هـ/ 1108م مع دمشق[5] ، ثم بعد ذلك توسيع حدود مملكته وايصالها الى الى البحر بعد ان يضم مدن الساحل اليه .

امتلاك الساحل كان يعني " مسألة حياة او موت بالنسبة الى الدول الصليبية، فكان امتلاكه وحده يضمن لهذه الدول الاتصال بالغرب حتى يصل منه المعونات

---

[1] جودفري ، احد قادة مملكة الفرنجة ، ولد في اقليم ريمز بمدينة بولونيا المطلة على القنال الاكليزي، وهو له من الاخوان ثلاثة كان هو كبيرهم . ينظر: الصوري ، الحروب الصليبية ، ج2 ، ص152.

[2] الصوري ، الحروب الصليبية ، ج2 ، ص147؛ وينظر: ريموناجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص298.

[3] الصوري ، الحروب الصليبية ، ج2 ، ص187؛ وينظر: الشارتري ، الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ترجمة : قاسم عبدة ، ط1 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1422هـ / 2001م ، ص155؛ بردج ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص129 ؛ غروسيه ، موجز الحروب الصليبية ، ص46.

[4] رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج2 ، ص33.

[5] رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج2 ، ص126.

المالية والبشرية الضرورية لبقائها"[1] ، خاصة بعد ان ظهرت امام الصليبيين ازمة خطيرة في صراعهم مع المسلمين تمثلت بقلة عدد الرجال ونقص كبير في الفرسان بعد عودة الكثيرين منهم الى بلدانهم في اوروبا[2]، كل هذه الاسباب جعل سيطرتهم على الساحل ضرورة ملحة ، لكن عقبة السيطرة عليه تتمثل في وجود الاسطول المصري ، إذ كانت منطقة الساحل شمالي المملكة في القدس تحت ادارة عكا وصور وصيدا وبيروت ، وهذه كلها تابعة الى مصر ولو بالاسم[3] ، بيد ان مثل هذا الهدف الاستراتيجي الصليبي كان يتطلب مساعدة المدن البحرية مثل البندقية وجنوة ، خاصة وان طبيعة الجيوش الصليبية كان اغلبهم من الفرسان المشاة[4].

وبعد ان ضمن موافقة المدن الايطالية تهيأت لبلدوين مستلزمات الاحتلال اخذت مدن الساحل تداعى الواحدة تلو الاخرى ، ففي سنة 494هـ/ 1100م تمكن بلدوين الاول من فتح حيفا وارسوف سلميا بعد اخراج اهلها ، ومن ثم ملكوا مدينة قيسارية بالسيف بعد ان قاومت حاميتها فكان عاقبة أمرها خسرا ، إذ استباحت المدينة وتم نهبها واوقعوا في أهلها مذبحة شنيعة[5] ، وفي سنة 497هـ/1103م نزل الصليبيين على ثغر عكا ، وبعد مقاومة شديدة ابداها الفاطميون بقيادة الوالي زهر الدولة

---

[1] هايد ، تاريخ التجارة في الشرق الادنى في العصور الوسطى، ترجمة : احمد محمد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ، 1985م ، ج1 ، ص149.

[2] مؤنس ، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب ، ص96.

[3] رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج2 ، ص37.

[4] سميل ، ر . سي ، فن الحرب عند الصليبيين ، ترجمة : محمد وليد ، ط1، دمشق ، 1985م ، ص175؛ رانيسمان ، ج2 ، ص197 ؛ عاشور ، الحركة الصليبية ، ج1 ، ص237.

[5] ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، ص225 ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص458.

الجيوشي[1] سقطت هذه المدينة وملكوها بالسيف ايضاً[2] وكان لغزو هذه المدينة اهمية كبيرة للغزاة ؛ إذ تمكن الصليبيون بالاستيلاء عليها من حرمان الاسطول الفاطمي من اهم قواعده بالشام ، كما اصبحت هذه المدينة الميناء الرئيسي للمملكة ، ولأنها كانت متصلة بدمشق بخطوط برية تجارية نشطة لتصريف فائض انتاجها الى الدول الاوربية ، فقد تحقق اخضاعها للصليبيين الى خنق اقتصاديات القوى الاسلامية لاسيما في دمشق وجعلها قوى برية حبيسة ليس لها سند بحري ، لذا فأن استيلائهم على تلك المدينة مثلت لهم مغنماً لا يضاهيه اي مغنم منذ الاستيلاء على بيت المقدس فإذا كانت الاخيرة عدت المركز الديني والروحي للكيان الصليبي ، فإن عكا كانت بمثابة المركز الاقتصادي التجاري لذلك الكيان[3].

شرع الصليبيون في السيطرة على بقية المدن الساحلية ، وكانت طرابلس المحطة التالية لتكون الامارة الرابعة ، وقد ارتبط قيام هذه الامارة بأسم ريموند الصنجيلي والذي تسميه المصادر العربية بصنجيل[4] ، ولغرض تأسيس هذه الامارة قام هذا القائد بالاستيلاء على مدينة طرسوس سنة 495هـ/1101م ، وفي سنة

---

[1] زهر الدولة الجيوشي : واسمه الحقيقي (بنا) اما لقبه الجيوشي فهو نسبة الى امير الجيوش الافضل الجمالي ، توجه الى دمشق بعد خسارته عكا واقام بها ثم عاد الى مصر. ينظر: ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، ص232؛ ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج2 ، ص217.

[2] ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق، ج1 ، ص232؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص495؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص188.

[3] رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج2 ، ص119؛ عاشور ، الحركة الصليبية ، ج1، ص303؛ مؤنس ، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب ، ص98.

[4] نسبة الى مقاطعته سان جيل في جنوب فرنسا . ينظر: الحويري ، محمود محمد ، بناء الجبهة الاسلامية واثرها في التصدي للصليبيين ، ط1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1992م ، ص40 .

497هـ/1103م على مدينة جبيل[1] ، فسهل ذلك كثيراً من الانقضاض على هذه المدينة ، ولغرض احكام الحصار على طرابلس اقام في مواجهة تلك المدينة قلعة تسمى "تل الحجاج"[2] ، لكن هذه القلعة كانت سبباً في موته[3] .

بعد وفاة ريموند ثار نزاع على خلافته بين ابنه برتراند وابن اخيه وليم جوردان وريثه في القيادة ، الامر الذي استدعى تدخل الملك بلدوين الاول ، وقد افضى النزاع لصالح برتراند بعد قتل جوردان بسهم مجهول لم يعرف مصدره ، فقاد برتراند جموع الصليبيين ونزلوا على المدينة فاظهر ابن عمار شجاعة فائقة وصبر عظيم في مواجهتهم ، ولما ايقن الهزيمة قرر المسير الى بغداد يطلب مساعدة الخليفة في مواجهة الفرنج وجهادهم[4] .

طال بابن عمار المقام في بغداد ، عندئذ طلب اهل طرابلس من الفاطميين انفاذ وال لهم لتسيير شؤون البلد فأجاب الافضل لطلبهم[5] ، لكن الامور خرجت عن

---

[1] ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، ص231؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص474 .

[2] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص526؛ فيز، القلاع ايام الحروب الصليبية ، ترجمة ، محمد وليد ، ط2 ، دار الفكر ، دمشق ، 1984م ، ص15 . ويسميها الصوري " قلعة جبل الحجاج" . ينظر: الحروب الصليبية ، ج2 ، ص260.

[3] إذ قام فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس بمهاجمة الحصن واحراقه ، فوقف صنجيل تحت سقفه متفقدا اياه فانخسف بهم ، وعلى اثر تلك الوقعة اصبح طريح الفراش الى ان توفى متأثرا بجراحه. ينظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص526؛ وينظر: رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج1 ، ص92.

[4] ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، ص261 ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص557–560؛ ابن سبط الجوزي ، مرآة الزمان . ج20 ، ص28؛ وينظر: رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج2 ، ص94 ؛ الشارتري ، تاريخ الحملة الى القدس ، ترجمة : زياد جميل العسلي، دار الشروق ، ص435.

[5] ويقول الغامدي:" بأن هذا الحادث لا يخرج عن كونه استنكار بعض شخصيات طرابلس الشيعية على ذهاب فخر الملك بن عمار الى بغداد مركز اهل السنة لطلب المساعدة ضد =

سيطرة الوالي الجديد ، فبعد ان تمكن برتراند بمساعدة الجنوية من تشديد حصاره على المدينة من جهة البر والبحر ضاق الحال بأهلها وضعفت حاميتها مما ادى الى استسلامها وكان ذلك سنة 502هـ/1108م[1].

المدينة الثانية بعد طرابلس هي بيروت ، فعلى اثر تسلم برتراند عرش طرابلس قام بمعاونة الملك بلدوين الاول في حصارها كمكافأة له لقاء الخدمات التي اسداها له في مساعدته على تملك طرابلس ، وانضم الى هذا الحلف صاحب تل باشر[2] جوسلين ، فتمكنوا بجهود مضنية من اختراق المدينة والسيطرة عليها فقاموا بأسر الرجال وسبي النساء واغتنام الاموال والامتعة وذلك لأن أهلها كانوا من اكثر البلاد أموالا وتجارة[3].

لم يبق بيد المسلمين من المدن الساحلية سوى عسقلان في الجنوب وصور وصيدا في الشمال ، إذ اعتقد الملك بلدوين الاول خطورة هذه المدن فيما لو بقيت بايدي الفاطميين الذين يتخذونها قاعدة لشن هجماتهم على قواتهم العسكرية[4] ، فشرع في البدء بصيدا وحاصرها لمدة سبعة واربعين يوما مستعينا بأسطول من

= الصليبيين" . ينظر : مسفر بن سالم ، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الاسلامي ، ط1 ، دار المطبوعات ، الطائف ، 1406هـ/ 1986م ، ص89.

[1] ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، ص261 . ويخالف ابن الاثير هذا التاريخ ويؤكد بأن سنة 503هـ / 1109م هو العام الذي سقطت فيه طرابلس . ينظر: الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص578. ويوافقه المؤرخ الغربي وليم الصوري في ذلك . ينظر: الحروب الصليبية ، ج2 ، ص280. والباحثة اعتمدت على تاريخ ابن القلانسي كون وفاته اقرب الى هذا الحدث واوثق.

[2] قلعة حصينة وكورة واسعة في شمال حلب ، بينها وبين حلب يومان ، واهلها نصارى ارمن . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص40.

[3] ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، ص268-269؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص579 ؛ وينظر: الشارتري ، تاريخ الحملة الى القدس ، ص146.

[4] عاشور ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص309؛ زيد ، صيدا ودورها في الحروب الصليبية ، ص84.

البنادقة وكذلك اسطول ملكي نرويجي ، وتحت ضغط الحصار استسلمت المدينة سنة 504هـ/1110م، وبذلك سيطر على الساحل الشامي كله باستثناء عسقلان في الجنوب وصور في الوسط[1] ، وفي سنة 512هـ/1118م توفي بلدوين الاول، فاختار الصليبيون ابن عمه بلدوين أمير الرها ملكا عليهم بأسم " بلدوين الثاني "(512-526هـ/1118- 1131م)[2] ، وكان ميزان الحرب قد مال الى المسلمين كثيرا ؛ وذلك بعد الضربات المتلاحقة لجيوش الصليبيين اثر خسارتهم في معركة البلاط[3] ومقتل قائدهم امير انطاكية روجر[4] على يد حاكم حلب سنة 513هـ/ 1119م ايلغازي بن ارتق[5] ، ولتعويض خسارته طلب بلدوين الثاني من البندقية مساعدتها في الاستيلاء على صور او عسقلان ، واتفق الطرفان ووقع الاختيار على صور اولا ؛ ذلك نظرا لأهميتها التجارية ولأنها شديدة التحصين وخوف الفرنج من ان يتخذها الفاطميون معبراً الى مملكتهم[6] .

---

[1] ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، ص274؛ الصوري ، الحروب الصليبية ، ج2 ، ص293 ؛ وينظر: رانيسمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج2 ، ص123.

[2] ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، ص305 ؛ وينظر: الشارتري ، تاريخ الحملة الى القدس، ص462.

[3] البلاط : مدينة عتيقة بين مرعش وانطاكية ، وهي من اعمال حلب . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص477.

[4] الصوري ، الحروب الصليبية ، ج2 ، ص351. وقد وصف ابن القلانسي نتيجة هذه المعركة بأنها من " احسن الفتوح والنصر الممنوح "، ينظر: ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، 319-320 .

[5] ايلغازي بن ارتق : نجم الدين التركماني ، كان اميراً على بيت المقدس هو واخيه سقمان عشية الحروب الصليبية ، تملك ماردين وحلب بعد اولاد رضوان بن تتش واستولى على ميافارقين وتوفي فيها عام 516هـ/ 1122م . ينظر: الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج11 ، ص248.

[6] الصوري ، الحروب الصليبية ، ج3 ، ص36؛ وينظر: الشارتري ، تاريخ الحملة الى القدس ، ص195؛ عمران ، تاريخ الحروب الصليبية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2000م ، ص53.

قام الصليبيين بتشديد الحصار على المدينة براً وبحراً ، فتمكن العدو من المدينة واقتحامها بعد اتفاقهم مع الاهالي على الخروج بأموالهم وكان ذلك سنة 518هـ/1124م[1] ، وفي ضوء ذلك انظم الساحل كله الى مملكة القدس عدا عسقلان ، والتي اضحت قاعدة رئيسة لتجمع الفاطميين ، وهي بمثابة الحصن الدفاعي الاول لهم وعمق دولتهم الاستراتيجي الذي لا غنى لها عنه ، فكانوا يبذلون اكرم البذل للحفاظ عليها لأعتقادهم بأنه أذا قدر للمدينة ان تسقط في قبضة الصليبيين فأنه لن يحول حائل حينذاك بين قادتهم وبين غزو مصر[2] ، ولما كانت سنة 548هـ/1153م توجه الصليبيون اليها وكان يومذاك الخليفة الفاطمي الظافر بالله[3] والتي كانت ايامه مضطربة والحكم في البلاد للوزراء[4] ، فاسرع الصليبيون لتنفيذ حصارهم على المدينة من البر والبحر ، واستمر ذلك الحصار حوالي خمسة اشهر دون هوادة[5] ، ولم تنفع محاولات الفاطميين في اسعافها ، إذ تمكن العدو منها

---

[1] ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق، ج1 ، ص290 –291 ، ص336–337 ؛ الصوري ، الحروب الصليبية ، ج3 ، ص 27–43 ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص693–694؛ وينظر: رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج2 ، ص 199–202.

[2] Benvenisti ,The crusaders in the holyand,p115

؛ الصوري ، الحروب الصليبية ، ج2 ، ص353؛ وينظر: براور،الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ترجمة : عبد الحافظ عبد الخالق البنا ، ط1 ، عين للدراسات والبحوث الانسانية ، مصر، 2001م ، ص37.

[3] الظافر بالله : ابو منصور اسماعيل بن الحافظ ، بويع بالخلافة سنة 544هـ/1149م وهو ابن سبع عشرة سنين ، قتل على يد نصر ابن وزيره عباس الصنهاجي549هـ/1154م . ينظر: ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص290.

[4] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج9 ، ص209؛ ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص288.

[5] الصوري ، الحروب الصليبية ، ج3 ، ص358.

منها وقاموا بهدم سورها ، فاضطر سكانها الى طلب الامان والخروج الى مصر وغيرها[1]، وبسقوط هذه المدينة اتم للصليبيين احتلال الساحل الشامي برمته .

اما موقف الدولة الفاطمية الحامية والمالكة لأغلب مدن وموانئ الساحل من هذا العدوان ، فالمتتبع لسير الحملة الصليبية الاولى وما تضمنته من أحداث ووقائع يرى ان هذه الدولة فضلت الانزواء بعيدا و وتجنبت قدر الامكان التدخل في هذا الصراع خاصة بداية الحملة الصليبية ، وهي سياسة حذرة سار عليها الوزير الافضل الهدف منها تجنب دولته شر الانشغال في الصراعات الاقليمية والتي قد تضيف الى مشاكلها الداخلية اعباءٍ اخرى[2] ، وهذا ما دفعه الى المبادرة بمد يده الى الصليبيين بقصد كسب ودهم واقامة علاقات طيبة معهم ، ويقترح عليهم اقتسام بلاد الشام مناصفة بينهم بحيث يكون القسم الشمالي من الشام لهم ، وتحتفظ الدولة الفاطمية بالقسم الجنوبي منه بعد طرد السلاجقة منها[3]، ثم حاول ان يثني الصليبيين عن

---

[1] ابي شامة ، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ج1 ، ص289.

[2] وهذه السياسة تمثل وجهة نظر الافضل صاحب السلطة الفعلية للبلاد والتي لم يكن معها سلطة الخليفة والتي يمثلها المستعلي(487-495هـ/ 1094-1101م) تساوي شيئاً ، فكل امور الدولة بيد هذا الوزير دون الخليفة ، فلو كانت الدولة الفاطمية في عصر قوتها لأمكنها القضاء على الصليبيين دون تردد وتخاذل ، وقد يكون الافضل حينما اتخذ هذه السياسية لم يكن يعرف مقاصد هذا العدوان بداية الامر وكما بين عاشور حقيقة موقفه هذا بقوله :" بأن الافضل غير مدرك لحقيقة الحركة الصليبية وربما استند في تفكيره هذا الى بعض السوابق التاريخية لأن الدولة البيزنطية ايام صحوتها في القرن العاشر لم تتعد املاكها في بلاد الشام مدينة انطاكية ، فظن الافضل أن اولئك الصليبيون إنما أتوا في نهاية القرن الحادي عشر ليفعلوا في بلاد الشام مثلما فعل نقفور فوقاس وحنا الشمشقيق نهاية القرن العاشر " . ينظر: الحركة الصليبية ، ج1 ، ص197.

[3] توفيق ، الدبلوماسية الاسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 1986م ، ص60 . وينفي المؤرخ "جب" كل التهم المنسوبة الى الوزير الافضل بأنه متعاون مع الصليبيين وقيامه بدعوة الصليبيين بتقسيم بلاد الشام بين الفريقين ويقول " بأن مبعوثي الفرنجة الذين ذهبوا الى القاهرة في تلك السنة قد القي بهم في السجن" . ينظر : =

مطلبهم في القدس ، ويعرض عليهم عرضا يتضمن السماح لهم بزيارة المدينة المقدسة على شكل زمر تتألف كل واحدة من مائتين او ثلاثمائة مع ضمان سلامة الحجاج منهم ، لكن طلبهم رُفض من الجانب الآخر مهدداً بالزحف على مصر وامتلاكها[1].

تراخي الفاطميون امام الهجمة الصليبية الاولى لم يرق لمؤرخ اسلامي مثل ابن الاثير[2] الذي ادّعي بأنهم كانوا سببا في مجيء الصليبيين الى المنطقة بقوله : " ارسلوا الى الفرنج يدعونهم الى الخروج الى الشام ليملكوه" ، وقول ابن الاثير هذا يجافي الحقيقة ولا يمت للواقع بشيء ، فليس من المعقول ان يستدعي الفاطميون الى بلاد الاسلام الصليبيين الاغراب على الدين والمذهب ، بل على العكس من ذلك فالمتتبع لأخبار الحملات الصليبية يرى بعد احتلال القدس بأن الفاطميين هم الذين رفعوا راية قتالهم ومقاومتهم حتى لفظت دولتهم انفاسها الاخيرة ، كذلك لماذا تُحمّل الدولة الفاطمية عبء مقاومة مرتزقي اوروبا وحدها دون بقية القوى الاسلامية خاصة وانها ليست اللاعب الوحيد في هذا الميدان ، فهناك الخلافة العباسية التي عجزت عن مقاتلة العدو ودفعه على الرغم من امتلاكها قوة روحية قادرة على تحريك الشارع الاسلامي والاحداث التاريخية اثبتت ضعف موقفها واتسامها باللامبالاة وعدم التفكير جدياً في مواجهة الغزاة ، وهذا ما كان واضحاً بعد احتلال بيت المقدس عام 492هـ/ 1099م ، ففي الوقت الذي وصلت فيه جماعة من وجهاء الشام الى بغداد يطلبون المدد والنصرة ، نجد الخليفة المستظهر بالله 487-512هـ/1094-1118م[3]

= هاملتون ، صلاح الدين الايوبي ، تحرير: يوسف ايبش ، ط2 ، بيسان ، بيروت ، 1996م ، ص32.

[1] ريموناجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ص188 .

[2] الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص416.

[3] المستظهر بالله : ابو العباس احمد بن المقتدي بأمر الله ، ولد سنة 470هـ/1077م ، استخلف عند وفاة ابيه وله من العمر ستة عشر سنة ، وتوفي سنة 512هـ ، وله من العمر احدى واربعين سنة . ينظر: الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج19 ، ص399.

يحيل طلبهم الى سلطان السلاجقة ويستنهض همته في قتال الصليبيين ، فرجع الوفد خائباً من غير بلوغ ارب ولا قضاء حاجة[1] ، كذلك تكرر هذا الموقف والتخاذل نفسه سنة 502هـ/1108م بعد سقوط مدينة طرابلس ، ففي الوقت الذي جاء فيه وفد من مدينة طرابلس الى بغداد يمثل مجموعة من الاشراف العلويين وبعض مشايخ الصوفية وبعض الفقهاء والتجار يشرحون احوال البلاد وما اصابهم من قتل وسبي وهتك الاعراض ، نجد الخليفة منشغلا في الاحتفالات الشعبية التي اعدت لأستقبال زوجته الخاتون واخت السلطان محمد[2].

استيلاء الصليبيون على الساحل الشامي يعد احد المتغيرات السياسية التي طرأت عليه والتي اثرت على الناحية الاقتصادية فيه ، إذ ترتب على ضياع مدنه الحاق الضرر بتجارة الدولة الفاطمية وانتقالها الى ايدي اللاتين والايطاليين ، وعلى ضوء هذه المعطيات نرى الفاطميين يرسلون الحملات الواحدة تلو الاخرى ويحاولون استعادة الساحل من قبضتهم ، وعلى الرغم من التضحيات التي قدمت من قبلهم لكنهم لم يحققوا الهدف المرجو لهم ، ومن اهم تلك الحملات: حملة عسقلان عام 492هـ/1099م بقيادة الوزير الافضل نفسه[3] ، والرملة الاولى عام496هـ

---

[1] ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ج17 ، ص47 ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص425-426؛ ابن العليمي ، عبد الرحمن محمد مجير الدين (ت 928هـ) ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، تح : عدنان يونس ، ط1 ، عمان ، ج1 ، ص308.

[2] السلطان محمد بن ملك شاه ابو شجاع غياث الدين احد سلاطين السلاجقة، عقد له المستظهر بالله لواء السلطنة ونادى به سلطانا على العراق ، فقطع خطبة اخيه بركياروق سنة 495هـ / 1101م ودانت له البلاد الى ان استقوى عليه بركياروق وانكسر ، توفي عام 511هـ/1117م . ينظر: ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج5 ، ص72-73؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج19 ، ص506.

[3] ينظر : ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، ص223؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص428؛ وينظر: ريموناجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ص261.

/1101م[1] ، كذلك في الرملة الثانية عام 498هـ /1102م والتي فيها خرج من مصر عشرة آلاف مقاتل بقيادة ابن الافضل شرف المعالي متوجهين من عسقلان الى الرملة[2].

بقي الساحل الشامي بأيدي الصليبيين فترة طويلة دون ان تتمكن أي قوة اسلامية من زحزحتهم ، لكن حكمهم اهتز فعلاً بعد قرن تقريباً وبالتحديد خلال حكم صلاح الدين[3] ، إذ بدأت تلوح في الافق بوادر أزمة كبيرة تهدد الكيان الصليبي برمته لا سيما حينما قام ارناط صاحب الكرك والشوبك بنقض الهدنة معه[4] والهجوم على قافلة مصرية عام 582هـ/1186م كانت فيها من الاموال عظيمة[5] ، وهذه الحادثة عدت سببا من اسباب تصادم المسلمين والصليبيين في معركة حطين سنة

---

[1] وكانت بقيادة سعد الدولة الطواشي . ينظر: ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص489؛ وينظر: رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج2 ، ص106.

[2] ينظر: ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، ص240 ؛ وينظر: رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج2 ، ص109.

[3] صحيح ان هناك قادة مسلمين سبقوا صلاح الدين وساهموا في انقضاض الكيان الصليبي ومنهم مودود ، وطغتكين، وعماد الدين ، الذي تمكن من اسقاط مملكة الرها سنة 539هـ/1144م ، لكن كل هؤلاء لم يكد يصل تأثيرهم الساحل الشامي على عكس صلاح الدين. ينظر: ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، ص436.

[4] وهي الهدنة التي عقدها بلدوين الرابع (1174–1185م) مع صلاح الدين سنة 1180م ، تضمنت فيها وقف القتال مدة سنتين . ينظر: غروسيه ، موجز تاريخ الحروب الصليبية ، ص64؛ رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج2 ، ص479؛ بوول ، ستانلي لين ، صلاح الدين وسقوط مملكة القدس ، ترجمة : فاروق سعد ، ط1 ، مطبعة الاهرام ، القاهرة ، 1416هـ/ 1995م ، ص158.

[5] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج10 ، ص18؛ ابن شداد ، أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم (632هـ)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تح: جمال الدين الشيال ، ط2 ، 1415 هـ /1994 م ، ج1 ، ص69.

583هـ/1187م ، والتي كانت من نتائجها استعادة القدس وتحريره من ايدي الصليبيين[1] .

بعد الانتهاء من هذه المعركة شرع صلاح الدين في الاستيلاء على المدن الساحلية ومنها عكا وبيروت ويافا وعسقلان وصيدا وجبيل[2] ، ولم يسلم منها غير طرابلس وانطاكية وصور[3] ، ويعود السبب في عدم أخضاع هذه المدن فيرجع الى ان طرابلس وانطاكية كانت لديها هدنة مع صلاح الدين ضمنت لهما حياداً في حروب حطين[4] ، اما صور فالظاهر انه ليس هناك جدية عند صلاح الدين في الاستيلاء عليها ، فأخذ الفرنج يتجمعون فيها ويتمكنون من اعادة هيكلة قواتهم مرة اخرى ، وهذا العمل من النكبات التي المَّت بالأمة الاسلامية والتي جعلت مؤرخاً مثل ابن الاثير[5] يلقي اللوم كله على صلاح الدين ويجعله سبباً في عجز المسلمين المسلمين من استعادة صور فيقول في ذلك :" ولم يكن لأحدٍ ذنب في أمرها غير صلاح الدين فأنه هو جهز اليها جنود الفرنج ، وأمدها بالرجال والاموال من اهل

---

[1] ينظر : عماد الدين الاصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص39 ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج10 ، ص25؛ وينظر: نوري ، دريد عبد القادر ، سياسة صلاح الدين الايوبي في مصر والشام والجزيرة ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، 1976م ، ص293.

[2] عماد الدين الاصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص24-37 ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج10 ، ص28-30.

[3] Grousse, Rene, Le Royaume de Jerusalem , p1, Universitaires de France , 1953c , p124 ؛

ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت697هـ) ، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، تح: تح: جمال الدين الشيال ، القاهرة ، 1973م ، ج2، ص208 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص209-210.

[4] رانيسمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج2 ، ص509 ؛ عطية ، محمد حسين ، امارة انطاكية الصليبية ، ط1 ، دار المعرفة الجامعية ، 1989م ، ص207.

[5] الكامل في التاريخ ، ج10 ، ص41.

عكا وعسقلان والقدس وغير ذلك ، كان يعطيهم الامان ويرسلهم الى صور ، فصار فيها من سلم من فرسان الفرنج بالساحل بأموالهم وأموال التجار وغيرهم ، فحفظوا المدينة وراسلوا الفرنج داخل البحر يستمدونهم فأجابوهم بالتلبية لدعوتهم ووعدهم بالنصرة ، وأمروهم بحفظ صور لتكون دار هجرتهم يحتمون بها ويلجأون اليها" .

ويبدو ان صلاح الدين لم يكن جاداً في محاربة الفرنج واجتثاثهم من الارض الاسلامية ولا نستبعد في مثل هذه الحالة بأن يكون قد اتفق مع الصليبيين والسماح لهم بالتجمع في مدينة صور مفضلاً عدم اعتراضهم ومكتفياً بتحرير القدس والذي عده انجازاً تاريخياً مقترناً بأسمه .

على اثر هذه الحروب تعرضت احوال مدن الساحل الاقتصادية الى انتكاسة كبيرة وساد الكساد أغلب سلع التجارة فيها ، فمن المعروف ان هناك علاقة وثيقة بين اقتصاد المدن وبين حالتها السياسية ، إذ ان الاستقرار السياسي يوفر بيئة آمنة وارضية صلدة لنمو اقتصادها وزيادة نشاطها وما خالف ذلك تعصف المشكلات باقتصاد البلد وتدمر الزرع والضرع فيه ، وتطبيق هذا القول على مدن الساحل الشامي خلال تلك المدة ، إذ عانت من اضطراب الاوضاع السياسية وتدهور الامن فيها ما اثر سلبا على احوالها الاقتصادية فيها خاصة مدينة مثل عكا ، فحينما استولى صلاح الدين عليها لم تعد أسواقها آمنة وهرب اغلب التجار منها تاركين مخازن هائلة من البضائع والحرير والادوات المعدنية والمجوهرات والاسلحة والتي تم الاستيلاء عليها وتفسيمها بين جند صلاح الدين ، كذلك أُنتهبت مصنع السكر فيها ، وبذلك تضاءل النشاط الاقتصادي لهذه المدينة بعد ان كانت مظنة التجار ومقصدهم من الفرنج والروم[1] ، وقد وصف ابن الاثير[2] التغيير الاقتصادي الذي طرأ على

---

[1] ينظر: ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ج1 ، ص129؛ وينظر: رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج2 ، ص519.

[2] الكامل في التاريخ ، ج10 ، ص28

عكا وحالة الكساد على سلعها فنراه يقول :" وكان كثير منها قد خزنه التجار وسافروا عنه لكساده فلم يكن له من ينقله" .

خراب اقتصاد عكا خلال سيطرة صلاح الدين عليها لم يرق للمؤرخ عاشور[1] ، الذي رفض هذه الاخبار وباعتماده على قول مؤرخ اجنبي :"احتفاظ عكا وغيرها من الموانئ الساحلية بعناصرها النشيطة في الميدان التجاري مثل البنادقة والجنوية والبيازنة والقطلان مما ادى الى استمرار رواج الحياة الاقتصادية في بلاد الشام ، وهذا القول مغالط للتاريخ ولا يمت للواقع بشيء ، ومن غير المعقول ان ترضى المدن الايطالية في وقوع الموانئ والمنافذ التجارية بأيدي اسلامية ومن ثم حرمانها من منافع كبيرة كانت تحصل عليها ابان الاحتلال الصليبي، والدليل على ذلك مشاركتها الفعالة في الحملة الصليبية الثالثة عام 585هـ / 1189م وأعانة الصليبيين على المسلمين بالمال والرجال ، وتمكنها من أحكام الحصار على عكا من جهة البحر وهزيمة المسلمين واقتحام المدينة عام 587هـ/1191م[2] .

بعد هذه الاحداث وحتى يحرم الصليبيين من اتخاذ بعض المدن قواعد لشن هجمات ضد جيوشه كما حدث في صور، عمد صلاح الدين الى اتباع استراتيجية عسكرية لكبح خصومه تقوم على سياسة الارض المحروقة في الساحل الشامي ومنع عدوه من اتخاذه قاعدة لضرب المسلمين ، فتوجه الى هدم اسوار صيدا والجبيل ونقل

---

[1] ينظر: الحركة الصليبية ، ج2 ، ص783.

[2] رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ، ص89 ؛ عاشور ، فايد حماد ، العلاقة بين البندقية والشرق الادنى الاسلامي في العصور الوسطى ، دار المعارف ، الاسكندرية ، 1980م ، ص124-125 ؛ حسين ، تاريخ قيسارية الشام في العصر الاسلامي ، ص151. ويقدم الباحث Mack في اطروحته ادلة ضمن سجلات توثيق تثبت انضمام سكان جنوة الى الحملة الفرنسية والانكليزية ، كذلك قيام تجار تلك المدينة الايطاليين الذين لم يتمكنوا من الانضمام الى الحملة الصليبية بأرسال المال والامدادات لرفاقهم الصليبيين . ينظر:

The merchant of Genoa ,The crusades , The Genoa and the Latin East , 1187-1220, University of Cambridge , 2003 , P32 and P47.

السكان الى بيروت[1] ، تم قام بتدمير قيسارية ومن ثم عسقلان التي تحولت الى رماد[2] ، لكن جهوده هذه لم تفلح وخطته لم تنجح امام اصرار الصليبيين وعزمهم على مقاومته ، فتمكنوا هؤلاء الغزاة بعد جهودٍ مضنية وخسائر كبيرة من استعادة الساحل مرة اخرى والسيطرة على صور وحيفا وقيسارية وأرسوف ويافا فضلا عن عكا ، فعاد النشاط الاقتصادي الصليبي لهذه المدن واستأنف التجار والصيارفة البيزيون اعمالهم مرة اخرى ففتحوا حوانيتهم في الاسواق وحصلت المدن الايطالية على امتيازات اكثر مما مضى ومنها مستعمرات وبيوت وحيازات[3] ، فغدت عكا المنفذ الرئيسي لمملكة الصليبيين على البحر المتوسط والمدينة التجارية الرئيسة في بلاد الشام[4] ، وقدّر لها ان تكون العاصمة السياسة والاقتصادية بدلا من القدس بعد صلح الرملة[5]، حيث كان فيها مقر الملك او من يمثله ، مما ادى الى ظهور

---

[1]Stevenson, The crusaders in the east , University Cambridge, 1907, P246.

[2]عماد الدين الاصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص306؛ وينظر:

Addison , the knights Templars , Global gray , 1852 ,p69 ؛ حسين ، تاريخ قيسارية الشام ، ص147. وكانت هذه السياسة هي باستشارة اصحابه وأمرائه، وكان غرضهم من ذلك عدم السماح للفرنج بأمتلاك هذه الديار وهي عامرة فيستقووا بها على المسلمين . ينظر: ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج10 ، ص99؛ ابي شامة ، عيون الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ج4 ، ص244.

[3] هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص320.

[4]King, Colonel , The kinghts hospitallers in the holy land , London , 1931, P289

؛ العبادي وعبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ، ص292 .

[5] صلح الرملة : عقد عام588هـ/ 1192م بين صلاح الدين الايوبي وبين ريتشارد ملك الانكليز وقائد الحملة الصليبية الثالثة ، ونص على ان يكون للصليبيين المنطقة الساحلية من صور الى يافا ، وتكون عسقلان خرابا ، في حين تكون اللد والرملة مناصفة بين الطرفين =

المملكة الصليبية الثانية[1] ، وهذه المملكة لا تضم الّا شريط ضيق من الارض على طول الساحل الشامي ، في حين غدت المدن الداخلية بيد المسلمين[2] ، وعلى الرغم من ان المملكة الجديدة لم تكن تحمل عوامل القوة مثلما ما حملته المملكة الاولى ، لكنها استطاعت ان تحافظ على بقائها مدة قرن كامل تقريباً الى عام 690هـ/ 1291م .

= واشترط صلاح الدين دخول بلاد الاسماعيلية ، وبالمقابل اشترطوا عليه دخول صاحب انطاكية وطرابلس في الصلح ، وتترك للصليبيين حرية زيارة القدس. ينظر: ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ج1 ، ص327 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، ج2 ، ص403 .وللتعرف على بيان اوضاع المدن الساحلية بعد معركة حطين ينظر: خريطة رقم (3) ص234.

[1] Stevenson, The crusaders in the east , p286

؛ Lane , Poole , Saladin , and the fall kingdom of Jerusalem , London ,1898 , p219.

؛ بالار ، ميشيل ، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني ، ترجمة : بشير السباعي ، ط1 ، عين للدراسات ، مصر ، 2003م ، ص176.

[2] هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص323.

المبحث الثاني : الاقطاع[1] الصليبي في سواحل بلاد الشام

ظهر النظام الاقطاعي اول الامر في غرب اوروبا وذلك بعد هجمات الشماليين[2] عليها ، وخلال الحروب الصليبية انتقل الى بلاد الشام ، فاسس ملوك بيت المقدس وأمراء انطاكية والرها وطرابلس حكوماتهم الجديدة حسب القواعد الاقطاعية التي درجوا عليها مع اجراء بعض التعديلات عليه لتتناسب والتحديات الجديدة ، وقد سهلت طبيعة النظم الاجتماعية في بلاد الشام عملية تطبيق الاقطاع

---

[1] الاقطاع لغة : هو مصدر للفعل اقطعه ، إذا ملكه ، أو أذن له في التصرف في شيء ، أما اصطلاحا فتعني طائفة من النظم تلزم الرجل الحر الولاء أو التبعية الى رجل آخر او سيده شريطة ان يقوم بحمايته والانفاق عليه ، ويرتبط الاقطاع بالأرض الزراعية ، فكل فرد يأخذ ارضا يعد تابعا للشخص الذي نال منه تلك الارض ، وتدرج تلك التبعية بالتنازل ابتداءاً من الملك او الامبراطور حتى تصل الى الى اقل تابع أو مالك صغير ، ويسمى هؤلاء التابعين اسم الأفصال. ينظر: شمس الدين ، محمد بن ابي الفتح (ت709هـ) ، المطلع على الفاظ المقنع ، تح: محمود الارناؤوط ، ط1، 1423هـ / 2003م ، ج1 ، ص 339؛ وينظر: الدوري ، عبد العزيز ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ط1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2007م ، ص79 ؛ الشعراوي ، احمد ابراهيم ، الاقطاع واوروبا في العصور الوسطى، القاهرة ، 1970م ، ص11 .

[2] يطلق اسم الشماليين على مجموعة الشعوب التي سكنت شبه جزيرة اسكندناوة وحوض البحر البلطي وترجع اصولها الى الشعوب الجرمانية ، وهؤلاء عرفوا بأسم الفيكنج يعني سكان الفيوردات او الخلجان أخذوا يغيرون على غرب أوربا للسلب والنهب ، واجتاحت جموعهم معظم اراضي فرنسا وانكلترا . للمزيد ينظر: عاشور ، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى ، دار النهضة ، بيروت ، 1976م ، ص174 ؛ فشر ، هـ . ا . ل ، تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ترجمة : محمد مصطفى زيادة و باز العريني ، ط6 ، دار المعارف ، 1950م ، ص115-120.

الصليبي وموافقتها لمؤسساته[1] .

ترأس الملك الصليبي النظام الاقطاعي في مملكة بيت المقدس ، وتبعاً لذلك كانت أملاكه الخاصة (الدومنين) تتألف من ثلاث مدن رئيسية هي بيت المقدس وعكا ونابلس ، ثم اضيف اليها الداروم[2] ، وفي المرتبة الثانية من التسلسل الاقطاعي يأتي اربعة امراء يحكمون يافا والجليل وصيدا وشرق الاردن ، ثم صغار الامراء وهؤلاء يحكمون بقية المدن مقابل تنفيذ واجبهم بحفظ وحراسة الارض عبر تقديم الفرسان المحاربين وإلزامهم بالقتال الى جانب الفرنج خلال حروبهم مع المسلمين[3] ، وكان القانون يفرض على كل امير ان يقدم 25–50 فارسا حسب حجم اقطاعيته ، ويكون هو المسؤول الاول والاخير عن الجند فهو الذي يتقدمهم وقت الحروب ولا يمكن بأي حال من الاحوال ان يتخلى عنهم ، في حين حددت

---

[1] ينظر: كوبلاند ، الاقطاع والعصور الوسطى في غرب اوروبا ، ترجمة : محمد مصطفى زيادة ، ط2 ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، 1958م ، ص24 ؛ فشر، تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، ص186 ؛ طرخان ، ابراهيم علي ، النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، 1388هـ / 1968م ، ص47؛ براور ، عالم الصليبين ، ص97 ؛ الطحاوي ، حاتم عبد الرحمن ، الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام ، ط1 ، عين للدراسات والبحوث ، 1999م ، ص28. وعرفت بلاد الشام الاقطاع الحربي على يد السلاجقة وبالتحديد في عهد الوزير نظام الملك ، فيقول البنداري في ذلك :" وكانت العادة جارية بجباية الاموال من البلاد ، وصرفها الى الاجناد ، ولم يكن لأحد من قبل اقطاع فرأى نظام الملك ان الاموال لا تحصل من البلاد لأختلالها ، ولا يصح منها ارتفاع لأعتلالها . ففرقها على الاجناد اقطاعاً وجعلها لهم حاصلاً وارتفاعاً ". ينظر: تاريخ دولة آل سلجوق ، ص55.

[2] الداروم : قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر الواقف فيها يرى البحر إلا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ اي ما يعادل ستة كيلو متر . ينظر: الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص424.

[3] يعقوب ، الفيتري ، تاريخ بيت المقدس ، ترجمة : سعيد البيشاوي ، ط1 ، دار الشروق ، فلسطين ، ص62 ؛ عاشور ، الحركة الصليبية ، ج1 ، ص479.

قوانين بيت المقدس خدمة التابع في الجيش حوالي عاماً تقريباً[1]، لكن بمرور الوقت ونظراً للحروب المستمرة مع المسلمين والاخطار المحدقة بالمملكة ، اصبح من حق الملك ان يستدعي هؤلاء التابعين في اي وقت يشاء من السنة والّا تصادر اقطاعيته ، وهذا القرار يعود الى ان اغلب النبلاء قد عادوا الى اوروبا بعد الحملة الصليبية الاولى مما نتج عنه ان اصبح وضع المملكة قلقاً بعد هذه الفترة[2].

ومن اجل تسيير النظام الاقطاعي بصورة طبيعية وانهاء المشاكل العالقة بين الصليبيين ، تم استحداث المحكمة العليا برئاسة الملك وأعضائها من النبلاء ، وهي في الاساس محكمة قانونية تحاكم المذنبين وتنظر في قضاياهم ، ومن صلاحياتها كذلك تولي أمور السياسة الخارجية من بينها أعلان الحرب والسلام وفرض الضرائب الطارئة ، ومقر هذه المحكمة بالنسبة الى السواحل الشامية تكون في عكا ، وطرابلس ، وطرطوس ، وجبيل[3] ، وهناك ايضاً محاكم في القرى والارياف يترأسها شخص من المسلمين تسمى " محكمة الرئيس" يكون حكمها حسب القوانين الصليبية على ان تراعي تقاليد واعراف اهل القرية[4] ، ويؤكد ابن جبير[5] خلال مروره في احد القرى التابعة لمدينة عكا سنة 578هـ/1182م بأن هذا الرئيس يكون من السكان المسلمين

---

[1] عامر ، الصليبيون في فلسطين ، ص42 .

[2] زابوروف ، ميخائيل ، الصليبيون في الشرق ، ترجمة : الياس شاهين ، دار التقدم ، موسكو ، 1986م ، ص142 ؛ براور ، عالم الصليبيين ، ص98.

[3] رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج2 ، ص349؛ باركر ، الحروب الصليبية ، ص59؛ الطحاوي ، الاقتصاد الصليبي ، ص55.

[4] النقاش ، زكي ، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1957م ، ص159.

[5] رحلة ابن جبير ، ج1 ، ص248.

على اعتبار انهم يشكلون الاغلبية ، فيقول في ذلك :" ورئيسها الناظر فيها من المسلمين مقدم من جهة الافرنج على من فيها من عمارها من المسلمين" .

اما القضايا التجارية فتحيل الى محاكم خاصة بهذا الشأن ومنها محكمة تدعى "محكمة السلسلة Cour de chaine" وجدت في جميع الموانئ الساحلية ، وسبب تسميتها بهذا الاسم يعود الى سلسلة موجودة في مدخل الميناء[1] ، وهناك محكمة اخرى تدعى "محكمة السوق" انشأت في عهد الملك عموري(558- 570هـ/ 1162-1173م)[2] وتتألف من ستة سوريين محلفين وأثنان من الفرنجة ، وهي من المحاكم الثنائية التي يشترك في اصدار احكامها المسلمين والفرنج على حدٍ سواء ، واختصاصها ضبط معاملات البيع والشراء ومعالجة المشاكل في الاسواق ، وجمع الضرائب وارسالها الى الخزانة ، وعقد الصفقات التجارية ، وأن المتخاصمين فيها

---

[1]Smth,The feudal nobility and the kingdom of Jerusalem 1174-1277 in Relations between East and West in the middle age ,P91.

وذكر ابن جبير هذه السلسلة خلال وصفه لميناء صور وللبرجين المشيدين فيه ويؤكد بأنه لن يسمح للمراكب بالدخول الى الميناء الّا برفعها ، فيقول في ذلك :" وتعترض بين البرجين المذكورين سلسلة عظيمة تمنع عند اعتراضها الداخل والخارج، فلا مجال للمراكب الا عند ازالتها" . ينظر: رحلة ابن جبير ، ج1 ، ص278.

[2] الملك عموري: أمالريك في المصادر الغربية ، تولى مملكة بيت المقدس بعد وفاة اخيه بلدوين الثالث 558 هـ/ 1162م ، كانت له شخصية قوية وسياسة تبين انه رجل دولة ، اصدر قوانين عدة ضبط بها امور مملكته ، توفي عام570هـ/ 1174م وهو في الثامنة والثلاثين من عمره. ينظر: رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج2 ، ص419-420 ، ص455؛ غروسيه ، موجز تاريخ الحروب الصليبية ، ص62.

يقسمون على الكتب المقدسة ووفقا لديانتهم القرآن للمسلمين والانجيل للمسيحين ، مع مراعاة العرف المحلي وتقاليد اهلها[1] .

مر الاقطاع بتطورات كبيرة تبعاً للمتغيرات السياسية الجديدة مما استلزم اصدار احكام عديدة لم تكن معروفة في اوروبا ، وهي احكام تهدف بمجملها تشجيع الاستيطان الصليبي في بلاد الشام وترغيبهم في البقاء مدة طويلة ، فمثلاً كانت القوانين الاقطاعية بداية الحروب تقضي بمنح اقطاع الشخص بعد وفاته لورثته المباشرين فقط ، ولكن بعد ذلك اصبحت الاقطاعات تمنح لأقارب المتوفى الذين يقربونه بدرجة بعيدة ، كذلك اصبح للأناث في عهد الملك بلدوين الثاني الحق في وراثة الاقطاع في حال لايوجد وريث من الذكور[2] ، وقد ترتب على ذلك حدوث مشاكل كبيرة اثرت على امن الدولة واستقرارها ولنضرب على ذلك مثالا الاميرة " اليس" التي ورثت الحكم في انطاكية عقب وفاة زوجها بوهيموند الثاني (520-524هـ/1126 - 1130م) ، فقد اتصفت بقصر النظر في سياستها وعدم الاعتبار بمصالح مملكتها حتى انها لم تردد في الاتصال بعماد الدين زنكي عدو المملكة تترجاه في الوقوف معها من اجل تأمين عرشها وان يكون حكم انطاكية لها وحدها على الرغم من معارضة كبار رجالها[3].

اما النقطة الاخرى التي اتسم بها هذا النظام فهو نزعته اللامركزية ، فلم يكن يجمع الدويلات الصليبية سياسة موحدة وثابتة واخذت كل واحدة تتصرف بمعزل عن الاخرى وهذا ما كان واضحاً في الخلاف بين ريموند بواتيه امير انطاكية(530-

---

[1] Rey , Les colonis franques de syrie , Paris , 1883 , p59

؛ رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج2 ، ص351؛ النقاش ، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية، ص158-159.

[2] براور ، الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص93؛ رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج2 ص346.

[3] الصوري ، الحروب الصليبية ، ج3 ، ص74.

554هـ/ 1136-1149م) وجوسلين الثاني كونت الرها(525-539هـ/ 1131-1144م/) والذي كان من نتائجه ضياع الرها سنة 539هـ/1144م على يد المسلمين[1].

وفي ضوء النظام الاقطاعي منحت مدن وموانئ الساحل كإقطاعيات الى اسر من عائلات لها تاريخ معروف في اوروبا ، فبيروت منحت الى اسرة دي جينس وهي من اقارب الملك بلدوين الاول(494-512هـ/1100-1118م) ، ومن ثم الى اسرة ابلين[2] عام 601هـ / 1205م [3]، وكانت عكا ، وصور ، ويافا ، وعسقلان ، تابعة لحكم الملك ، ثم اصبحت صور في النصف الثاني من القرن الثالث عشر تابعة (لأسرة مونتفرات[4])[5] ، ومُنحت قيسارية وصيدا الى عائلة جرينية[6]، اما أمارة

---

[1] امين ، عبد الامير محمدومحمد توفيق ، التاريخ الاوروبي في العصور الوسطى ، مطبعة جامعة بغداد ، 1980م ، ص239.

[2] اسرة ابلين : اصلها فرنسي ، سميت بهذا الاسم نسبة الى قلعة ايبلين التي منحه اياها الملك باليان الكبير سنة 1144هـ . ينظر: السرحان ، موضي عبد الله ، بيروت تحت الحكم الصليبي وعلاقتها بالمسلمين ، ط1، الرياض ، 1422هـ / 2001م ، ص202

[3] السرحان ، بيروت تحت الحكم الصليبي وعلاقتها بالمسلمين ، ص205.

[4] اسرة مونتفرات : من الاسر النبيلة التي حكمت اقليم مونتفرات في شمال غرب ايطالية ترجع اصولها الى لومبارديا ، اصبحت مدينة صور من املاكها حينما منحها الملك لويس التاسع الى فيليب مونتفورت . ينظر: رحيل ، محمد فوزي ، نهاية الصليبيين ، ط1 ، عين للدراسات ، 2009م، ص50 ؛ المفرجي ، فضيلة حسن ، اسرة مونتفرات وأثرها في الحروب الصليبية ، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ، مجلد 7 ، عدد 21 ، 2015م ، ص399.

[5] براور ، الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص162-165.

[6] وكان ذلك عام 502هـ / 1108م حينما منح الملك بلدوين الاول اقطاعية قيسارية الى يوستاش جارنيه ، واضاف اليه كذلك بارونية صيدا عام504هـ/ 1110م . ينظر: البيشاوي =

انطاكية فقد سارت وفق القانون الاقطاعي المعمول به في الغرب ، ولم يغير حكامها فيه سوى بعض التعديلات التي املتها عليهم الضرورة العسكرية[1] ، اما طرابلس فأصبحت مركزا لأمارة لاتينية تضم جبيل وعرقة وطرطروس ، الى ان خضعت لأمراء انطاكية النورمانديين عام 1187م[2] ، وبقيت تحت حكمها حتى قيام جمهورية جنوة باعلان الحماية عليها عام 686هـ/ 1288م[3] ، وعلى الرغم من ان حكم مدينتي طرابلس وانطاكية اتسم بنوع من الاستقلال ، الّا ان ملك بيت المقدس كثيراً ما كان يتدخل بشؤونهم ويسيّر الجيوش اليهم وذلك لغرض الدفاع عنهم ضد الاخطار الخارجية او استعادة النظام المضطرب داخل الامارة حتى انه في بعض الاحيان يتولى الوصاية على الامارة في حالة وفاة الأمير أو غيابه ووفقاً للالتزام الذي يفرضه عليهم القانون الاقطاعي[4].

وفي منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، نشأت ظاهرة جديدة وهي الاقطاعات التي حازتها الهيئات الدينية العسكرية في المملكة الصليبية، والمتضمنة المدن والقلاع والحصون وقطع كبيرة من الاراضي الزراعية ، وذلك عبر

= ، سعيد عبد الله ، الممتلكات الصليبية في مملكة بيت المقدس الصليبية ، ط3 ، دار الشيماء ، فلسطين ، 1437هـ/ 2016م ، ص65.

[1] ينظر: الجنابي ، امارة انطاكية دراسة في علاقتها السياسية بالقوى الاسلامية ، ص247.

[2] وكان انضمام طرابلس الى عرش انطاكية بعد ان اوصى اميرها ريموند الثالث شؤون امارته بعد وفاته الى احد ابناء بوهيموند الثالث امير انطاكية . ينظر: عاشور ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص796.

[3] سالم ، طرابلس الشام تاريخها وآثارها ، ص57.

[4] Chalandon , Ferdinand , Histoire premiere Croisade l 'election De Godefroi De bouillon , paris , 1925 , p 295-296.

الهبات والمنح التي يقطعها ملوك بيت المقدس لهم وأيضاً من كبار الامراء الاقطاعيين[1].

بعد هجمات صلاح الدين وانتصاراته على الصليبيين وما اعقب ذلك من تقلص الأملاك الملكية ، ان طرأت بعض التغيرات على النظام الاقطاعي ، إذ استحدث اقطاع بديل لأقطاع الارض عرف بالاقطاع النقدي " اقطاعات البيزنت" ، فبدلا عن الارض منح الملوك الى هؤلاء الاقطاعيين نسبة من الموارد المالية في مدينة ما مثل جباية ضريبة السوق ، ونسبة من الرسوم الجمركية ، او حق استخدام الموازين والمعايير الخاصة بالدولة الام في العمليات التجارية[2] ، وهذا كل بدوره اثر تأثيرا سلبياً على القدرة التموينية للمملكة الصليبية ، فاصبحت موارد الملك قليلة مقارنة مع ثروة هؤلاء البارونات الذين لم يعد للملك سلطة كبيرة عليهم خاصة مثل امراء انطاكية وطرابلس وعكا ، ولنضرب مثلاً على الثروات الضخمة التي كان يمتلكها هؤلاء الاقطاعيين ، ان هناك رجلاً يدعى "جوسلين دي كورتناي" كان يمتلك اقطاعات كبيرة من خلال الاموال المتأتية من ايجارات تبلغ 500 بيزانت[3] في عكا وكذلك في صور ، كل هذه الامور اثرت تأثيراً سلبياً على خزينة المملكة فلم تتعدى

---

[1] براور ، الاستيطان الصليبي في فلسطين، ص165؛ البيشاوي ، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية ، ص67.

[2] زاورروف ، الصليبيون في الشرق ، ص140 ؛ براور ، الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص90. وهذه الاقطاعات النقدية كانت من اهم الاسباب التي جعلت الكثير من الاقطاعيين يسكنون في المدن بالقرب من مصادر دخلهم. ينظر:

Smith, The feudal Nobility and the Kingdom of Jerusalem 1174-1177, 1974 , p7.

[3] بيزانت : العملة الصليبية المقلدة . ينظر: النبراوي، رأفت محمد ، النقود الصليبية في الشام ومصر ، دار القاهرة، ص25.

الايرادات المالية المخصصة لها والتي تأتي من الرسوم الجمركية عن 10% والتي كانت اغلبها يذهب الى جيب الكنيسة والهيئات الدينية ، مما ادى الى العجز الواضح في تموين حملاتها العسكرية واعتمادها على الدعم الخارجي[1] ، وهذا كله بدوره اضعف قدرة الملك على جمع قوات كافية من الجنود في حروبهم مع المسلمين ، وبالتالي ضعفت الاداة العسكرية المهمة في حسم نتائج عسكرية في صالح الصليبيين .

[1] رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ، ص417؛ براور ، الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص33.

المبحث الثالث : النشاط التجاري للمدن الايطالية ودورها في تأسيس المملكة الصليبية

كشفت الحرب الصليبية عن مشروع كبير تقوده الجمهوريات الايطالية للسيطرة على منافذ التجارة والتحكم فيها مستفيدة من الموقع الجغرافي المميز لهذه البلاد ، ولأجل ذلك فانها لم تبخل في تقديم خدماتها للملوك اللاتين واقامة كيان يخدم اغراضها التجارية مما كان لها اثر كبير في صناعة المتغيرات الاقتصادية ، ومن اهم هذه المدن :

جنوة :

مدينة على غربيّ جون عظيم من البحر الروميّ[1] ، عمل اهلها اول الامر في أعمال القرصنة على الروم والمسلمين، ثم يعودون إلى مدينتهم بالأسلاب والغنائم الوفيرة[2] ، وصفها الادريسي[3] وصفاً متكاملاً بالقول عنها : " مدينة جنوة قديمة أزلية البناء حسنة الجهات والأفناء بنيانها شاهق السمو وهي وافرة الثمر كثيرة المزارع والقرى والعمارات وهي على قرب نهر صغير وأهلها تجار أملئاء مياسير يسافرون برا وبحرا ويقتحمون سهلا ووعرا ولهم أسطول مخيف ولهم معرفة بالحيل الحربية والآلات السلطانية ولهم بين الروم عزة أنفس" ، وفي القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي تحول نشاطهم الى التجارة البحرية خاصة مع ضعف السيطرة الاسلامية وانتعاش البحرية البيزنطية[4]، وكانت لهم علاقات تجارية مع الشرق ، كما حازوا على تأييد الدولة الفاطمية وقاموا بعقد معاهدات تجارية معها ،

---

[1] ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص209.

[2] التطيلي ، بنيامين (ت 569هـ) ، رحلة بنيامين التطيلي ، ط1 ، 2002م ، ج1 ، ص192.

[3] نزهة المشتاق في أختراق الآفاق ، ج2 ، ص749.

[4] آرشيبالد ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ص349.

واصبحت سفنهم تقلع وتبحر من وإلى موانئ مصر والشام قبيل الحملة الصليبية الاولى[1] ، كذلك قويت علاقتهم مع الدولة البيزنطية ، إذ اصدر الامبراطور البيزنطي مانويل كومنين(537-576هـ/ 1143- 1180م) مرسوماً عام550هـ/ 1155م تضمن منح جنوة امتيازات عدة ومنها اقامة منطقة تجارية لهم في القسطنطينية ، وتقليل الرسوم الجمركية على سلعهم المصدرة ، كل هذه الامتيازات دفعت البنادقة بمهاجمة الحي الجنوي في بيزنطة عام558هـ/ 1162م ، واضطرار الامبراطور الى دفع تعويضات للجنوية[2] .

وجدت مدينة جنوة في الحروب الصليبية على بلاد الشام فرصة ثمينة في توسيع تجارتها وزيادة ثرائها ، فكان حرصها على المشاركة الى جانب الصليبيين واضحاً ، إذ استعان بهم بوهيموند في الاستيلاء على انطاكية بعد ان ضمن مساعدتهم قبل ان يؤسس أمارته عام492هـ/ 1099م[3] ، فوصلت 14 سفينة منهم وعلى متنها فصيلة من المقاتلين الايطاليين ، كما شاركوا في اعمال حصار القدس اثناء هجوم الصليبيين عليه[4]، وازداد نشاطهم خلال حكم بلدوين الاول ، إذ أسهمت جنوة بتنفيذ سياسته في الاستيلاء على مدن الساحل ، مقابل مكاسب مادية عديدة مثل منحهم

---

[1] الكناني ، مصطفى حسن محمد ، العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الادنى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، 1981م ، ص85. ويروي احد الحجاج الانجليز كيف جاء اسطول جنوي الى مدينة يافا عام 1065م / 458هـ بعد ان استدعي الى الموانئ السورية لاجراء عمليات تبادل للبضائع التي تم احضارها من الغرب . ينظر:

A shtor , great brisein, Social and Economic history of the near east in the middle ages ,1976, P195.

[2] زيتون ، عادل العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ط1 ، دار دمشق ، 1400هـ/ 1980م ، ص67.

[3] حبشي ، الحرب الصليبية الاولى ، ص57 ؛ عطية ، امارة انطاكية الصليبية ، ص124.

[4] رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج1 ، ص429؛ زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ص88.

الثلث من كل مدينة أو قلعة ، وكذلك ثلث الغنائم من الاسرى والاموال على ان يخصص لهم شارع في كل مدينة[1].

كذلك نجح الجنويون في تأسيس نواة لأمارة صليبية في طرابلس ، إذ تمكنوا من رجحان كفة برتراند ابن ريموند في صراعه مع وليم جولدران وتزويده بسبعين سفينة من ذوات المناقير[2]، وفي بيروت ففي عام 503هـ/1109م استعان بهم بلدوين في سبيل الاستيلاء عليها ، إذ وصل أربعون مركباً مشحنةً بالمقاتلة في ميناء السويدية ، وانضموا الى القوات البرية فاحكموا الحصار على المدينة ، وبالحال سقطت المدينة بأيديهم[3] .

البندقية :

تقع البندقية على طرف الخليج المعروف بجون البندقية[4] ، موقعها في الاقليم

---

[1] الصوري ، الحروب الصليبية ، ج2 ، ص217 .

[2] الشارتري ، تاريخ الحملة الى القدس ، ص144. وسميت هذه السفن ب " ذوات المناقير" كون مؤخرة هذه السفن تنتهي ببروز يشبه منقار يستعمل كجسر عندما تلتحم السفينة بسفن العدو ، وتتميز هذه السفن ايضاً بحجم اكبر من سفن الشواتي التجارية ، وهي مجهزة بمائة مجداف يحتاج كل واحد منها الى رجلين. ينظر: الصوري ، الحروب الصليبية ، ج2 ، ص373 ؛ وينظر: احمد ، الساحل الشامي في القرن الثاني عشر / السادس الهجري ودوره في الصراع الاسلامي الصليبي ، ص79.

[3] ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج1 ، ص268 ؛ وينظر: السرحان ، بيروت تحت الحكم الصليبي وعلاقتها بالمسلمين ، ص72؛ الكناني ، العلاقات بين جنوة والفاطميين ، ص239.

[4] جون البندقية : وهو خليج يخرج من بحر الروم ، ويمتدّ غربا بشمال حتّى يصير طرفه غربيّ رومية، وعلى طرفه مدينة (البندقية) ومن فمه إلى منتهاه نحو سبعمائة ميل . ينظر: القلقشندي ، احمد بن علي (ت821هـ) ، صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج3 ، ص245.

السادس من الاقاليم السبعة[1] ، اسمها بالفرنسية " فنيز" ، وقد اتاها هذا الاسم من سكانها الاصليين الذين كانوا يدعون " الفينيت"[2] ، أما موقعها فقد هيأ لها تفوقاً بحرياً على غيرها من المدن الايطالية ، فهي تقع على رأس البحر الادرياتيكي[3] والذي يمثل أعظم طريق بحري للتجارة بين الشرق والغرب في العصر الوسيط[4] .

لقد كانت البندقية وحتى مستهل القرن السادس الميلادي اقليما تابعاً الى بيزنطة يشرف على ادارته موظف من الاشراف المحليين يطلق عليه " الدوق " وهو معيّن من قبل السلطات البيزنطية[5] ، وبمرور الوقت وحتى نهاية القرن 4هـ / 10م نمت قوة هذه المدينة حتى اخذت تتحكم بمنافذ البحر الادرياتيكي باجمعه[6] ، الامر الذي

---

[1] ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص211.

[2] وجدي ، محمد فريد ، دائرة معارف القرن العشرون ، دار الفكر ، بيروت ، مج2 ، ص360. وقد افاد الامبراطور قسطنطين السابع(945- 959م/ 334-348هـ) في حديثه عن تأسيس البندقية بأن اصل سكانها هم من الفرنج الذين فروا من بطش الملك اتيلا زعيم قبائل الهون ، وسكنوا في جزر البندقية . ينظر: بورفيروجنيتوس ، أدارة الامبراطورية البيزنطية ، تقديم ، محمود سعيد عمران ، ط1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1980م ، ص103.

[3] الادرياتيكي : يقال له بحر أدريا أو خليج البندقية ، وهو فرع من البحر المتوسط واقع بين ايطاليا من الغرب وتركية أوروبا والنمسا من الشرق . ينظر: الخانجي ، محمد أمين ، منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان ، ط1 ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1325هـ / 1907م ، ج1 ، ص174.

[4] زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى ، ط1 ، دار دمشق ، 1400هـ / 1980م ، ص114.

[5] ديل ، شارل، البندقية جمهورية ارستقراطية ، ط1 ، ترجمة : احمد عزة عبد الكريم ، دار المعارف ، ص14.

[6] رانيسمان ، الحضارة البيزنطية ، ترجمة : عبد العزيز توفيق ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2002م ، ص200.

الذي جعل الامبراطور البيزنطي باسيل الثاني(365-415هـ/ 975-1024م) يتودد اليها ويمنحها تخفيضات كبيرة في الرسوم الجمركية في القسطنطينية[1].

في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي بدأت البندقية تسعى حثيثا للاستقلال عن الدولة البيزنطية ، وقد هيأ لها ذلك تهديد النورمان[2] لممتلكات بيزنطة واستيلائهم عام 464هـ/ 1071م على مدينة باري عاصمة الاقليم البيزنطي في ايطاليا[3] ، وعلى اثر تلك الخسارة الثقيلة أخذت بيزنطة تبحث عن قوة مساندة لها لأخذ ثأرها من عدوها الجديد ، فوجدت ضالتها في البندقية القوة الصاعدة في البحر والتي كانت تملك اسطولا مستقلا لها[4] ، وعلى الفور وافقت وافقت هذه المدينة على عرض بيزنطة في التحالف العسكري معها ، إذ وجدت ان من مصلحتها ان تحارب النورمان[5] ، وبعد جهود مضنية نجح الطرفان في تحديد

---

[1] آرشيبالد ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ص340 ؛ عمران ، حضارة الامبراطورية البيزنطية ، ط1 ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 2011م ، ص355 . والسبب الذي دعا فيه الامبراطور باسيل الثاني الى منح البندقية هذه الامتيازات هو مساعدة بيزنطة في تخليص السواحل الشرقية للبحر المتوسط من خطر القراصنة. ينظر: تسعديت ، عداد ، علاقة البندقية بالامبراطورية البيزنطية منذ القرن 12 الى غاية سقوطها في 1204م ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى جامعة ابو القاسم ، الجزائر ، 1436هـ/ 2014م ، ص86.

[2] النورمان ، هم انفسهم جماعة الشماليين الذين سبق تعريفهم في ص69.

[3] Oman , The Byzantine Empire , New york , 1908 ,P259 ؛ ماير ، هانس ابرهارد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : عماد الدين غانم ، ص26 ؛ حبشي ، الحرب الصليبية الاولى ، ص29. وبسقوط هذه المدينة اصبح الامن البيزنطي مهددا ، بل ان زعيم النورمان وهو روبرت جويسكارد أخذ يتطلع بعدها الى احتلال القسطنطينية . ينظر: زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية ، ص52.

[4] العدوي ، الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، البيان ، مصر، ص135.

[5] ذلك ان النورمان وبعد استيلائهم على ممتلكات بيزنطة في جنوب ايطاليا ، حاولوا ان يبسطوا يبسطوا نفوذهم على شاطئ إبيروس والسيطرة عليه ، وهذا يعني احكام قبضتهم على بحر

عدوهما المشترك وازاحته عن الميدان في معركة جرت بينهما عام 474هـ/ 1081م ، فكرمت بيزنطة الولاء البندقي بتقديم امتيازات كبيرة في دولتها مما هيأ لها ان تنفرد بأسواق القسنطينية والشرق لتجارتها[1] ، وعلى الرغم من علو مكانة البندقية التجاري في بيزنطة الّا انها كانت لها علاقات مع مصر الفاطمية ، اضافةٍ الى الصلات التجارية مع جميع المراكز الاسلامية المهمة[2] ، ففي أواخر القرن 4هـ / 10م ، مارس البنادقة تجارة نشطة بين الاسكندرية والقسطنطينية ، وزار سفراؤها حلب ودمشق والقاهرة والقيروان وبالرمو وحصلوا من حكامها على ميزات تضمن للتجار البنادقة ترحيبا جميلا ، فاصبحت الوسيط الوحيد بين الشرق والغرب ، وكان سوقها من انشط مراكز التبادل في العالم الغربي ، فكانت ترد اليه منتجات الشرق من الحرير والاقمشة والتوابل والاحجار الكريمة ، وتحمل منه منتجات الغرب من الغلال والنبيذ والحديد والخشب والملح[3].

الادرياتيك الممر المائي المهم والمتنفس الوحيد للبندقية . للمزيد ينظر: ديل ، شارل ، البندقية جمهورية =

= ارستقراطية ، ص29 ؛ تسعديت ، علاقة البندقية بالامبراطورية البيزنطية منذ القرن 12م الى سقوطها في 1204م ، ص65.

[1] زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى ، ص60 ؛ ببرين ، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى ، ص26. ومن هذه الامتيازات جاء مرسوم الامبراطور الكسيوس كومنين(492 -513هـ / 1099-1119م) إذ اعفى التجار البنادقة من كل الضرائب والرسوم الجمركية وخصهم بحي في القسطنطينية للإقامة الدائمة فيه . ينظر: زيتون ، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب ، ص65 .

[2] آرشيبالد ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ص342.

[3] Tanner and Brooke , The Medievai Al history , Vo1, University Cambridge , 1923 , P410

؛ ديل ، البندقية جمهورية ارستقراطية ، ص20.

نجاح البنادقة في الكسب التجاري وتقدمها في الميدان الاقتصادي وحرصها على الحفاظ عليه ، يفسر لنا سلوك هذه المدينة حيال المشاركة في الحروب الصليبية ، فقد غلب التردد على موقفها في قبول العرض البابوي اول الامر[1] ، ولم تتدخل هذه المدينة في هذه الحرب الّا بعد ان ضمنت الارباح المتأتية من هذه الصفقة الحربية، فكانت آخر الممالك الايطالية البحرية التي شاركت في هذه الحرب ، وحينما ظهرت في ميناء يافا سنة512هـ/ 1100م ، استبشر الملك جودفري بها وذهب بنفسه لأستقبالها[2] ، والظاهر ان السعادة التي غمرت هذا القائد نابعة من حاجته الملحة الى قوة تمتلك من الامكانات العسكرية ما يمكنها من تغيير مسار الحرب لصالح الطرف المتحالف معها ، فقد كان يخشى الدعم العسكري الذي قد يقدمه الاسطول الفاطمي، فوجد الملك في قوة البنادقة ما يشفي فيها غله خاصة وانها تمتلك قوات بحرية ضخمة تفوق المئة وعشرين سفينة البعض منها حملت أخشاب كبيرة يمكن الافادة منها في صنع آلات الحصار[3] ، ولأجل ذلك وافق الملك الصليبي على جميع الشروط التي فرضتها عليه ، فكانت الاطماع التجارية المتخفية تحت الغطاء الصليبي دفعت تلك المملكة للتوجه نحو بلاد الشام ومساهمتها في سقوط المدن الساحلية بيد الصليبيين فابتدأت بحيفا ثم ارسوف وقيسارية وعكا وبيروت وبمساعدة

---

[1] الظاهر ان هذا التردد ناتج من خشية هذه المدينة من ان تخسر علاقاتها مع المسلمين وبالاخص الفاطميين ، فإذا وقفت الى جانب الغرب باعتبارها دولة مسيحية ، فأن ذلك سوف يحرمها من ثروات كبيرة تأتي من تلك التجارة ، وكما يقول دوقها داندواو " ان دينه هو ان يرى بلاده في غاية العظمة " . ينظر: عاشور، العلاقة بين البندقية والشرق الادنى الاسلامي في العصور الوسطى، ص139.

[2] بيداني ، ماريا بيا ، البندقية بوابة الشرق ، ترجمة : حسين محمود ، ط1 ، ابو ظبي ، 2017م ، ص59 ؛ رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج1 ، ص467؛ عاشور ، الحركة الصليبية ، ج1 ، ص275.

[3] الشارتري ، تاريخ الحملة الى القدس، ص474.

القوى البحرية الاخرى ، كما تمكنت من اخضاع مدينة صور واستسلامها تحت مظلة الصليبيين[1].

لقد اثبتت الاحداث التاريخية التي مرت بهذه المنطقة وعلاقة الدول الايطالية بالحملات الصليبية ، بأن هدف البنادقة الاول والاخير منذ قيام الحركة حتى نهايتها هو هدف مادي ومجرد من كل وازعٍ ديني ، وهذا ما لاحظناه بعد استرجاع معظم المدن الساحلية بيد صلاح الدين 583هـ/1187م وفقدان الايطاليون معظم المكتسبات التجارية في هذا الاقليم ، إذ نجدهم يرفضون نقل المهاجرين اللاتين الذين رغبوا في العودة الى الغرب الّا بعد دفع اجور عالية[2] ، ثم توضحت المصالح المادية لهذه المدينة بشكلٍ اكبر من ذي قبل ، وذلك في الحملة الصليبية الرابعة599هـ/ 1202م حينما وجهت جهودها لتغيير مسارها الى القسطنطينية بدلا من مصر[3] ، فتمكن الصليبيون بمساعدتها من غزو تلك المدينة عام601هـ/ 1204م[4] ، وهذا السلوك يأتي مصداقاً لشعار البنادقة الذي رفعته " لنكن أولاً بنادقة

---

[1] الصوري ، الحروب الصليبية ، ج2 ، ص28؛ ابن الاثير ، الكامل في لتاريخ ، ج8 ، ص582؛ وينظر: رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ص475 ؛ عاشور، العلاقات بين البندقية والشرق الادنى ، ص102.

[2] Grousse, Le Royaume de Jerusalem ,P 142

عاشور ، العلاقات بين البندقية والشرق الادنى ، ص120.

[3] وللاطلاع على سير الحملة الصليبية الرابعة ينظر: خريطة رقم (4) ص235.

[4] ديل ، البندقية جمهورية ارستقراطية ، ص43 . ومن الاسباب الاخرى التي دفعت البنادقة الى تغيير جهة الحملة هي ادراكها ان عمر المملكة الصليبية قصير بعد بوادر تداعي صرحها بعد احداث حطين ، وفشل الاوربيين في تأليف جبهة موحدة امام التحديات الخطيرة ، فلم ترغب ان تصعد خصومتها مع المسلمين وبدأت تفاوض الملك العادل على ضمان مصالحها التجارية في مصر عبر اتفاقية معه وذلك سنة599هـ/ 1202م ، والتي تعهدوا فيها بعدم مساعدة أي مشروع صليبي ضد مصر قبال خفض الضرائب ، والسماح لهم بإقامة فندق آخر جديد في الاسكندرية ، وهذه الاتفاقية حققت لهم كثيراً من الفوائد ، وعوضتهم عن خسائرها في القسطنطينية ، حينما=

ثم لنكن بعد ذلك مسيحيين"[1] .

بيزا:

لها اسماء عدة ، فهي عند الادريسي[2] " بيش " إذ يقول :" مدينة بيش من قواعد بلاد الروم ، مشهورة الذكر كبيرة القطر عامرة الأسواق والديار بعيدة الأفناء والأقطار كثيرة البساتين والجنات متصلة الزراعات أمورها شامخة وأخبارها هائلة ومعاقلها شاهقة وأرضها خصيبة ومياهها مغدودقة وآثارها عجيبة ولأهلها مراكب وخيل واستعداد لركوب البحر وقصد البلاد" ، واسماها الزهري[3] اسماً آخر وهو " بيجة "

= حل التجار البيازنة والجنوية محلهم في الامبراطورية البيزنطية. ينظر: رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ، ص156 ؛ عاشور ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص894 . وتعارض غنيم هذه الاراء وتقول بعد دراستها الحملة وظروف انحرافها :" بأن الاحوال الداخلية السيئة للامبراطورية البيزنطية ، وانحلال جهازها الاداري ، وعدم وجود جيش قوي واسطول كفء يستطيعا ان يبعد الخطر عنها هو الذي جعل الصليبيين يطمعون في السيطرة عليها" . ينظر : اسمت ، الحملة الصليبية الرابعة ومسؤولية انحرافها ضد القسطنينية ، ط1 ، دار المعارف ، مصر ، 1982م ، ص35 . والباحثة تعارض راي غنيم هذا بناء على المعطيات السابقة ، فهناك حقيقة مهمة لا يمكن انكارها وهي انه البنادقة كانوا اصحاب مال وتجارة لا يقومون بعمل الًا وراءه منفعة، وكانت عيونهم تتطلع دائماً الى الارض الكثر مغنماً ، وهذا ما لاحظناه فيمشاركتهم في الحملات الصليبية السابقة واشتراطهم لقاء ذلك حصولهم فيها على الامتيازات ، اما في هذه الحملة فقد حصلت على معظم اجزاء الامبراطورية البيزنطية ومنها جزر في البحر الايجي ، ومدن أخرى ساحلية يونانية . ينظر: بيرين ، هنري ، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى (الحياة الاقتصادية والاجتماعية) ، تح : عطية القوصي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1996م ، ص115.

[1] زيتون، العلاقات السياسية والكنسية ، ص120.

[2] نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج2 ، ص750.

[3] ابي عبد الله بن ابي بكر (المتوفي في اواسط السادس الهجري) ، كتاب الجغرافية ، تح : محمد حاج صادق ، المركز الاسلامي للطباعة ، القاهرة ، ص78.

وهي عنده اعظم من مدينة جنوة ، أما عند اللاتين فتعرف بإسمها الذي اشتهرت به وهو بيزة "Pisa" ، واهل هذه المدينة قوم أشداء لا يدينون بطاعة لملك، وإنما يمنحون السلطة شيوخا ينتدبونهم للحكم[1] .

في القرن الحادي عشر اخذت بيزا تخوض الميدان البحري لكن ليس بدافع التجارة وإنما لأجل القرصنة ومهاجمة التجارة الاسلامية ومدن المسلمين الساحلية ، حالها كحال المدن الايطالية الاخرى ، ففي عام407هـ/ 1016م قامت وبالتعاون مع جنوة بمهاجمة سردينيا[2] وكورسيكا[3] وطرد المسلمين منها ، وفي النهاية اصبحت السلطة العليا في هاتين الجزيرتين لجمهورية بيزا[4].

لم تبرز بيزا في الميدان التجاري الّا من خلال الحروب الصليبية[5] ، إذ كان البيازنة هم الجماعة الايطالية الثانية بعد الجنوية التي استجابت للدعوة الصليبية ، فشاركت في حصار اللاذقية ، وارسوف ، وقيسارية ، وجبلة ، وعكا[6] ، لكن امتيازاتهم كانت محدودة بسبب النزاع بين رئيس كبير اساقفتهم دايمبرت ، وملك

---

[1] بنيامين التطيلي ، رحلة بنيامين التطيلي ، ج1 ، ص193.

[2] سردينيا او سردانية : جزيرة على طرف من البحر الشامي، وهي كبيرة النظر كثيرة الجبال قليلة المياه، طولها مائتان وثلاثون ميلاً وعرضها من الغرب إلى الشرق مائة وثمانون ميلاً ، وفيها ثلاث مدن الفيصنة وهي مدينة عامرة، ومنها مدينة قالمرة، وهي رأس المجاز إلى جزيرة قرشقة، والثالثة تسمى قشتالة. ينظر: الحميري ، الروض المعطار ، ج1 ، ص314.

[3] كورسيكا : وتسمى عند الجغرافيين العرب بأسم قرقشة ، وهي جزيرة في غربي البحر الرومي ارضها خصيبة كثيرة العمارات. ينظر: ابن حوقل ، صورة الارض ، ج1 ، ص118؛ الادريسي ، نزهة المشتاق في أختراق الآفاق ، ج2 ، ص584.

[4] آرشيبالد ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ص315 ؛ زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى، ص123.

[5] هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص139.

[6] بالار ، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني ، ص292.

القدس بلدوين الاول[1] ، وبعد ان اصبح دايمبرت بطريرك يافا ، تنازل عن جزء من هذه المدينة لأبناء طائفته الذين سارعوا الى اعادة بنائها[2] .

بعد تعرض الصليبيون لخطر الهجمات الاسلامية اثر معركة حطين سنة 583هـ/ 1187م وخسارتهم الكثير من مواقعهم الاستراتيجية ، نهضت مملكة بيزا في القتال وابدت شجاعة كبيرة ، فساهمت في احكام الحصار حول عكا بما ارسلوه من السفن والتي كانت من اهم عوامل نجاح الصليبيين في استرجاع عكا[3] ، فانقلب الوضع في مملكة القدس لصالح البيازنة ، واصبحوا من القوى المؤثرة في تجارة بلاد الشام ، وامتلكوا سلطات واسعة في المملكة الفرنجية تفوق الممالك الايطالية الاخرى خاصة في مدينة عكا ، وكانت قوات بيزا والتي تميزت بمقدرتها القتالية من ضمن القوات الفرنجية المتوجه الى مصر ضمن الحملة الخامسة 615هـ/1218م[4].

---

[1] بردرج ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص128. وهذا الصراع كان له جذور منذ ايام جودفري والذي كان متضايقا من احكام قبضة دايمبرت على بيت المقدس . ينظر: رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج1 ، ص476.

[2]Richard , jean , Royaume Latin de Jerusalem , paris , 1983,p 218.

[3] زكار ، سهيل ، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق ، 1418هـ/ 1998م ، ج31 ، ص26.

[4] ينظر: زكار ، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، ج8 ، ص453؛ الحائك ، منذر، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية ، ط1 ، الاوائل ، دمشق ، 2006م ، ج2، ص286.

امالفي

احدى المدن التابعة لمقاطعة "ساليرنو" والمطلة على خليج ساليرنو في ايطاليا[1] ، وهي محصورة بين البحر والجبال[2] ، يصفها الادريسي[3] بأنها "مدينة عامرة مرسى بها متحصنة من جهة البر ، سهلة من جهة البحر ، إذا حوربت أخذت ، وهي قديمة أزلية ذات سور جيد وأهلها بشر كثير مياسير" ، عمل سكانها في التجارة ، وعرفت بعلاقاتها المتميزة مع الدولة الفاطمية فكان تجارها يرتادون موانئ مصر والشام ، فلم تكن تخلو مدينة أو ميناء في هذه البلاد من وجود جالية أمالفية خاصة في مدن الساحل الشامي والتي اهمها بيروت واللاذقية وانطاكية وصور ويافا وطرابلس[4] .

جمع الامالفيون في بلاد الشام بين الدين والتجارة ، إذ كثيرا ما كانوا يذهبون اليها أما لأدارة اعمالهم التجارية أو لحج بيت المقدس او كليهما معاً[5] ، وقد حصلوا على اذن من الخليفة الفاطمة الظاهر(411-427هـ/ 1020-1035م) بمنحهم منطقة كبيرة في بيت المقدس على ان يشيدوا عليها المباني التي يريدونها لأيواء الحجاج والتجار هناك[6] ، فأسسوا عام473هـ/ 1080م مستشفى لرعاية المرضى من

---

[1] A shtor , Social and Economic history of the near east in the middle ages , great brisein ,1976, p195.

[2] الصوري ، الحروب الصليبية ، ج3 ، ص387.

[3] نزهة المشتاق في أختراق الآفاق ، ج2 ، ص758.

[4] الحناوي ، مصطفى محمد ، العلاقات بين جمهورية أمالفي والمسلمين في مصر والشام ، مكتبة الرشيد ، الاسكندرية ، 2005م ، ص136.

[5] هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص119-120 .

[6] البراوي ، راشد ، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، ط1 ، مطبعة السعادة ، مصر مصر ، 1368هـ / 1948م ، ص215 ؛ الحناوي ، العلاقات بين جمهورية أمالفي والمسلمين

الحجاج المسيحيين اطلق عليه القديس يوحنا والذي اصبح فيما بعد منزل لفرسان الاستبارية[1] ، وفي الوقت نفسه اشتغلوا بتجارة السلع النادرة والتي لاقت استحساناً كبيراً من قبل الفاطميين ، وعلى اثر ذلك اصبحت لهم امتيازات خاصة تتضمن المجيء في أي وقت يشاؤون فيه[2] ، وهذه المزايا التجارية لهذه المدينة تفسر لنا عدم مشاركتها في الحملات الصليبية والاحتكاك بالقوى الاسلامية[3] ،اضافة الى ذلك ان هذه المدينة فقدت استقلالها بسيطرة النورمان عليها عام446هـ/ 1073م[4] ومع ذلك تمكنوا من ان يحصلوا على منح وامتيازات كانت عبارة عن دار وسوق في طرابلس ، وعلى مقر لجاليتهم في عكا ، وعلى ثلاث محلات في اللاذقية ، وهذه الامتيازات تعد قليلة إذا ما قورنت بامتيازات المدن الاخرى[5] .

في مصر والشام ، ص142. ويعود السبب في منح الخليفة الظاهر للامالفيين حرية الاستيطان =

= في مصر ؛ هو ان هذا الخليفة اراد ان يعيد الامور الى مجاريها ، وان يحسن العلاقات مع الطوائف المسيحية ، بعد ان قام ابيه الخليفة الحاكم بالتضييق على اهل الكتاب ، وهدمه كنيسة القمامة . ينظر: ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج4 ، ص178.

(1) Thompson , james westfall, An economic and social history of the middie age, v1, U.S.A , 1959 , P388.

(2) الصوري ، الحروب الصليبية ، ج3 ، ص387.

(3) كاهن ، كلود ، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ط1 ، ترجمة : احمد الشيخ ، 1995م ، ص107؛ بالار ، الحملات الصليبية والشرق ، ص291.

(4) هايد ، تاريخ التجارة في الشرق الادنى ، ج1 ، ص123.

(5) الحناوي ، العلاقات بين جمهورية أمالفي والمسلمين في مصر والشام ، ص211.

المبحث الرابع: الكنيسة والتنظيمات الدينية المسيحية

نجح الصليبيون في الاستيلاء على القدس عام 492هـ/1099م وكان متوقعا ان تقوم حكومة دينية تخضع لأشراف الكنيسة ورجال الدين ، لكن هذه الخطوة كانت بعيدة جدا ولا يمكن تنفيذها ؛ ذلك ان قيام دولة لاتينية من المسيحيين الغربيين في بقعة محاطة بالاعداء ، أمر يحتاج الى قيادة حربية متمرسة وقادرة على ادارة المعارك بكفاءة عسكرية تفوق قابليات المسلمين القتالية ، لذا تم اختيار احد الامراء العلمانيين ملكا على بيت المقدس ، بشرط ان يقدم يمين الولاء والتبعية للكنيسة ، وهذا ما تحقق فعلاً حينما قدم جودفري والامراء معه يمين الولاء للبطريك دايمبرت[1].

بعد ان ضمنت الكنيسة تبعية الملوك اللاتين اتبعت سياسة كثلكة الكنائس الشرقية ، وذلك باستيلائها على معظم املاكهم في بيت المقدس واستبدال البطريركية الارثدوكسية ببطريركية لاتينية ، كما ابدلوا الطقوس والموائد واقاموه على النمط اللاتيني[2]، وكذلك كان الحال في الساحل الشامي ، إذ لم تحظ فيه بطريركية الارثدوكس الّا بأسقفية جبيل وطرابلس وطرطوس والتي كانت تابعة الى بطريركية انطاكية[3]، وقد ترتب على ازدياد الهيمنة الدينية للكنائس ان حصلت على نصيبٍ لا يستهان به من الاراضي ، واصبح قسم كبير من رجال الدين الكاثوليك متنفذين

---

[1] براور ، الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص194.

[2] رمضان ، عبد العظيم ، الصراع بين العرب واوربا من ظهور الاسلام الى انتهاء الحروب الصليبية ، دار المعارف ، القاهرة ، ص363 ؛ زيادة ، المسيحية والعرب ، ط1 ، الاهلية ، بيروت ، 2003م ، ص155.

[3] البيشاوي، سعيد عبد الله ، الممتلكات الصليبية في مملكة بيت المقدس الصليبية ، ط3 ، دار الشيماء ، فلسطين ، 1437هـ/ 2016م ، ص115.

اقطاعيين في الشرق[1] ، فتم منحهم من قبل البارونات في كل مدينة قسماً من العوائد الجمركية ، اضافة الى تسهيلات كبيرة لأستيراد وتصدير المواد الغذائية ، حتى بلغ بهم الحال الى اقراض الملوك الاموال[2] ، فكانت اقطاعاتهم متنوعة ما بين نقدية وعينية ، اما النقدية فقد شملت المبالغ المقررة لكنائسهم وأديرتهم في مختلف حدود مملكة المقدس ، واما النوع الثاني من الاقطاعات فتتمثل بالمساحات الشاسعة من الاراضي الزراعية ، وحدائق وبساتين وكروم وحقول زيتون ، فضلا عن عقارات عدة مثل المنازل ، والحمامات ، والطواحين ، والمعاصر ، والافران ، وألآبار وغيرها وبذلك امتلكت عقارات الاراضي الزراعية في عسقلان ، يافا ، نابلس ، قيصرية ، عكا ، صور ، انطاكية ، كذلك منازل وكنيسة في صور[3] ، وهذه الممتلكات كانت آخذة في التضخم بسبب وصايا التوريث والهبات الخيرية الممنوحة من تبرعات الملوك والاباطرة والافراد والتي تضاعفت من عام الى آخر لدرجة ان رجال الدين سرعان ما اصبحوا من ملاكي الاراضي الاكثر ثراءا في سورية وفلسطين[4].

لم تكتف البابوية بما حصلت عليه من اموال وممتلكات بل ارادت ان يكون لها دور في توجيه الحروب الصليبية وفق ارادتها وان تجعل لها اذرع قوية في رسم سياستها العسكرية ، فوجدت في التنظيمات الدينية ضالتها في تحقيق هذا الهدف بعد ان منحتها الكسب والتأييد واضفاء الصبغة الشرعية لها واهم هذه التنظيمات هي :

اولاً : الاسبتارية

---

[1] زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ص151.

[2]Depping , Histoire Du commerce Le levant et Europe, Royal , Paris , 1925 , p85-86.

[3]Brehier Louis , L Eglise et lorient au moyen age les croisades , Paris , 1907 , P93.

؛ البيشاوي ، الممتلكات الصليبية ، ص120.

[4]Chalandon, Histoire premiere Croisade, p307

؛ رانيسمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج2 ، ص346.

هي من اقدم الهيئات الدينية التي شهد الوجود الصليبي في الشام قيامها ، إذ ارتبط وجودها بتلك المستشفى التي اقامها الامالفيون في مدينة بيت المقدس لرعاية الجرحى والمرضى من الحجاج[1] يرأسها راهب يدعى جيرار[2] واطلق على هذه الجماعة اسم فرسان المستشفى " Knights Hospitallers " التي حرفت في العربية الى الاسبتارية[3] ، في حين يسميهم اللاتين "جماعة القديس يوحنا"[4] ، كان نظامها الديري يقوم تحت اشراف الرهبان البندكيتين[5] ، ثم صاروا يتبعون البابا مباشرة[6]،

---

[1] مقامي ، نبيلة ابراهيم ، فرق الرهبان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، مطبعة جامعة القاهرة ، مصر ، 1994م ، ص11 .

[2] جيرار: احد مواطني امالفي غادر سنة 473هـ/1080م للحج الى القدس ، ودخل في خدمة المستشفى واصبح رئيساً لها ، ساهم كثيرا في تطور الاسبتارية وانتشار افكارها ، توفي عام 514 هـ/1120م . ينظر:

King, The kinghts hospitallers in the holy land , P21.

[3] النشار ، محمد محمود ، نشأة جماعتي الفرسان الاسبتارية والداوية في المماليك المسيحية الاسبانية والبرتغالية ودورها في الصراع الصليبي الاسلامي خلال القرن 6هـ / 12م ، المجلة العلمية في كلية الآداب ، جامعة طنطا ، مج : 94 ، العدد : 7 ، 1994م ، ص 45. وقد ورد اسم الاسبتارية في ذيل تاريخ دمشق لأبن القلانسي ، ج1، ص520 ، وفي الكامل في التاريخ لابن الاثير ، ج، 10ص21 ، وفي عيون الروضتين لأبي شامة، ج2 ص160.

[4] الحناوي ، عصر الحروب الصليبية الفرسان الاسبتارية ودورهم في الصراع الصليبي الاسلامي ، المهتدين ، الرياض ، 1425هـ / 2004م ، ص105. في حين اسماهم مكسيموس مونروند اسماً غير مألوف وهو" ضياف الغرباء " ينظر: تاريخ الحرب المقدسة في المشرق المدعوة حرب الصليب ، اورشليم ، 1865م ، ص193 .

[5] النظام البندكتي اوجده القديس بندكت صاحب الفضل في تأسيس النظام الديري ، ويقوم على ثلاث اركان رئيسية هي : انكار الذات والطاعة والعمل . ينظر: عاشور ، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى ، ص135-136.

[6] النشار ، نشأة جماعتي الفرسان الاسبتارية والداوية ، ص45 .

وذكر بنيامين التطيلي[1] هذه الجماعة عند وصفه للمستشفى التابع لهم ، وذلك من خلال زيارته للقدس سنة 559هـ/1163م بقوله : "بأن هناك مستشفيان يتسعان لأيواء أربعمائة من فرسان الأسبتارية عدا المرضى الذين يجهزون بكل ما يلزمهم في الحياة" ، حرص البابا والملوك اللاتين على ارضاء هذه الجماعة وتم منحها الامتيازات والهبات ، فاصدر البابا لهم اعفاءٍ من دفع ضريبة العشور على اراضيهم الزراعية ومن ضمنها مزارع الكروم وحدائق الزيتون ومزارع قصب السكر[2] ، وفي عام 1182منح المرسوم البابوي اعفائهم من دفع ضريبة العشرين التي جمعت لتحصين المدن والقلاع[3] ، كما تبرع الملوك اليهم باراضي ومنازل واقنان، ومنهم بلدوين الاول (1100-1118م / 494-512هـ) ، وبلدوين الثاني(1118-1131م / 512-526هـ) ، وبحلول 1118م / 512هـ كان المستشفى يستحوذ على ممتلكات في مقاطعة طرابلس واتطاكية وكذلك يشتري عقارات في الغرب، وتجارة حرة في اللاذقية[4]، ونتيجة للظروف التي احاطت بالمسيحين ابان الحروب الصليبية ، والصعاب التي واجتهم تول هؤلاء الاسبتاريون عملا آخر يضاف الى خدمتهم الدينية الا وهو الانخراط في الصراع ضد المسلمين ، وكان اول عمل حربي لهم حينما عهد اليهم الملك فولك (1131-1143م / 526-537هـ) حراسة قلعة بيت جبريل بناء على نصيحة كبار القادة العسكريين لتقليل الخطر على المملكة الصليبية من هجمات المسلمين من عسقلان[5].

---

[1] رحلة بنيامين التطيلي ، ص248.

[2] براور ، الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص313.

[3] رايلي سمث ، جوناثان ، الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص ، ترجمة : صبحي الجابي ، ط1 ، دار طلاس ، 1989م ، ص451.

[4]Nicholson Helen , The Knights Hospitaller , the boydell ,Britain , 2001 , P8 .

[5] سمث ، الاسبتارية ، ص138 ؛

ثانياً : فرسان الداوية

اسست بعد قيام الحروب الصليبية وبالتحديد في بداية القرن 6هـ /12م، وكان نشأتها على اساس حربي ، وذلك في سنة512-513هـ / 1118-1119م بعد ان اتفق تسعة من الفرسان الفرسنيين على تأمين دروب الحجاج المسيحيين اللاتين الذين يرمون زيارة الاماكن المقدسة بعد عجز الصليبيون بجيوشهم الاقطاعية عن تأمين تلك الطرق وحمايتهم من هجمات المسلمين ، هذه الفكرة وجدت ترحيبا من الملك بلدوين الثاني(512-526هـ/ 1118- 1131م)الذي اقطعهم خانا في بيت المقدس يقيمون فيه[1]، ومن ذلك الحين سموا بالداوية في المصطلح التاريخي العربي[2]، وعند الغربيين بإسم "الهيكليين"[3] او "فرسان المعبد"[1].

Nicholson , The Knights Hospitaller ,P11.

[1] Adisson , the knights Templars , Global gray , 1852 , P8 ؛
Conder , Lieyt , The latin kingdom of Jerusalem 1099-1291, London ,1897 , P202

؛ عمران ، حضارة اوروبا في العصور الوسطى ، دار المعرفة ، بيروت ، 1998م ، ص113؛ سلامة ، ابراهيم خميس ، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية (جماعة الفرسان الداوية) ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ص48 . وهذا يعني ان هذه المنظمة كانت من تداعيات الحرب الصليبية الاولى على عكس هيئة الاسبتارية التي وجدت قبل هذه الحرب .

[2] حبشي ، الحرب الصليبية الاولى ، ص98. وقد ورد اسم الداوية بلفظٍ آخر وهو الديوية في مصادر عربية عدة وهي : أبي شامة ، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ج2 ، ص187 ؛ أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج8 ، ص6 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص552 ؛ النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج29 ، ص247.

[3] مكسيموس ، تاريخ الحرب المقدسة في المشرق المدعوة حرب الصليب ، ص193. وهذه التسمية جاءت نسبة الى هيكل النبي سليمان بن داود والذي كان مقرهم الاول فيه فتسموا به.

حصلت هذه الجماعة على تأييد الكنيسة والبابا معاً مما ادى الى انتشارها السريع دون أية عقوبات تعوق طريقها ، فنالت تأييد البابا واعترافه بشرعيتها وذلك في مؤتمر عُقد في مدينة تروى بجنوب فرنسا سنة522هـ/ 1128م كما تم منحها الاموال والاراضي من قبل الملوك في الغرب الاوروبي[2]، ركبوا البحر الى فرنسا وانجلترا واسبانيا لجمع الصدقات لمساعدة فقراء الاراضي المقدسة ، فانهالت التبرعات من جميع النواحي ومن مختلف طبقات المجتمع ، واصبح لهذه الجماعة الحربية نظمها الخاصة بها ، واخذ العديد من الحجاج اللامعين من اقصى الغرب يطمحون الى ان يصبحوا اعضاء في تلك المنظمة ، وازداد عدد المنخرطين تحت لوائها زيادة استلزمت تعدد مصادر الثروة التي اخذت تتدفق عليهم من كل حدب وصوب ، فلم يعد هؤلاء الفرسان فقراء بل اصبحوا يألفون طبقة ثرية وأتاها الغنى من حيث لا تحتسب[3] ، ويبدو ان الهدف من الامتيازات لهذه الجماعات هي رغبة البابوية والملوك اللاتين في اشراكهم في الحرب الدائرة مع المسلمين وحماية مستوطناتها في بلاد الشام مستغلين الحماس الديني الذي كان يتمتع به اعضائها خدمة القضية المسيحية واخلاصهم المتفاني من اجل انتصار مملكة الصليب ، فوقع عليهم ثقل الدفاع عن هذه المملكة ، وقد ابدى هؤلاء شجاعة منقطعة النظير خلال معاركهم التي خاضوها مع المسلمين، وكانوا اكثر المحاربين شدة وبغضاً على المسلمين ، وهذا ما دفع المؤرخ ابن الاثير[4] الى ان يصفهم بانهم " جمرة الفرنج" ، ونتيجة للقدرات المالية والحربية الهائلة لتلك الجماعات وعجز السيد الاقطاعي ان

ينظر: براور ، عالم الصليبيين ، ص143 ؛ المطوي ، محمد العروسي ، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، دار الغرب الاسلامي ، 1982م ، ص70.

[1] عمران ، حضارة اوروبا في العصور الوسطى، ص113.

[2] Addison , the knights Templars, P13 .

[3] Adisson , the knights Templars , P31

؛ حبشي ، الحرب الصليبية الاولى ، ص98.

[4] الكامل في التاريخ ، ج10 ، ص21.

يتكبد الإنفاق على البناء المطلوب ، اوكلت اليهم حماية القلاع والحصون بعد ان تطورت واتسع بناؤها ، فقد عهد الى الاستبارية حماية حصن الاكراد[1] ، وحصن ابلين وقلعة بلفوار التي تحكم اعالي نهر الاردن ، وقلعة عكار[2] ، وقلعة المرقب[3] ، وحاز الداوية على ثمانية عشر حصنا اهمها طرطوس وقلعة الحجاج ومبنى في عكا يتألف من قصر وكنيسة[4] ، وعلى الرغم من المزايا التي تمتعت به هذه الجماعات ، اخذت النزعة الاستقلالية تظهر في سلوكها تجاه القضايا الصليبية ولم يكن للملك سيطرة عليها ، فاخذوا ينفردون في تعاملهم مع المسلمين فيما يخص عقد المعاهدات مع امراءهم دون مشورة الملك[5] ، كما اصبح عملهما شبه مستقل عن البطريرك واخذوا يعتمدون على البابا وحده فقط في الامور الكنسية ، فكانت الارض

---

[1] حصن الاكراد : حصن منيع على الجبل الذي يقابل حمص من جهة الغرب ، وسبب نسبته إلى الأكراد: أن شبل الدولة نصر بن مرداس صاحب حمص أسكن فيه قوما من الأكراد في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة فنسب إليهم، وكان من قبل يسمى " حصن السفح ". ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص264 ؛ ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج1 ، ص81.

[2] حصن عكار : قلعة صغيرة تقع في شمال طرابلس على جبل عكار . ينظر: مولر، القلاع ايام الحروب الصليبية ، ص60.

[3] قلعة المرقب : بلد وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بانياس .ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص108. وللتعرف على دور حصن المرقب في الحروب الصليبية ، ينظر: نجم ، مصعب حمادي ، قلعة المرقب ودورها العسكري في عصر الحروب الصليبية ، مجلة آداب الرافدين ، العدد 55 ، 1430هـ/ 2009م .

[4] Archer and charles lethbridge , The Crusader, the story of the latin kingdom of jerusaleam , USA , 1894 , P178 ؛

زكي ، عبد الرحمن ، القلاع في الحروب الصليبية ، المجلة التاريخية المصرية ، مج15 ، 2019م ، ص59.

[5] ففي امارة انطاكية منح بوهيموند الثالث في563هـ/ 1168م للأاسبتارية مطلق التصرف في عقد الاتفاقيات مع المسلمين او شن الحرب عليهم دون الرجوع اليه . ينظر: عطية ، امارة انطاكية الصليبية ، ص160.

التي توهب لهما تتحول الى وقفٍ عليهما ، بل ذهبا الى ابعد من ذلك إذ رفضا ان يدفع كبار مستأجري اراضيهما العشور المستحقة للكنيسة[1] ، ثم ما لبثوا ان انغمسوا في الترف المادي ومالوا الى التنعم برفاهية الحياة والانغماس بملذاتها ، ويبين المؤرخ متي الباريسي[2] حقيقة ابعاد الحركة الصليبية والدور الذي يقوم به افراد تلك الجماعتين وقتذاك خاصة بقوله : " انهم قد مالوا الى اسلوب الدهاء والمخادعة للحصول على الاموال والممتلكات من الحجاج اللاتين ، وامراء وملوك الغرب الاوربي بحيث اصبح للدواية وحدهم تسعة آلاف اقطاعية في الشرق والغرب" ، فلم يستمروا على قدسية نهجهم في مواجهة المسلمين ، وتغيرت نظرتهم لتلك الحرب ، فانصرفوا الى اعمال السلب والنهب ، والتجارة وصفقات المضاربة ، وحاولوا الحصول على النقود بأي وسيلة والاستفادة من ظروف الحرب لغرض الثراء ، فاصبحت لديهم سفن كبيرة لنقل الحجاج من اوروبا الى الشرق ذهابا وايابا ، كما كانوا وكلاء البابا في حفظ ودفع النقود لأجل حاجات الحملات الصليبية حتى اصبحوا يملكون آلاف القرى والمروج والكروم واستثمارات الملح وقطع الاراضي في المدن بما فيها الاسواق[3] .

---

(1) Chalandon , Histoire premiere Croisade, P332-334

؛ رانيسمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج2 ، ص362 .

(2) Matthew Paris's, English History from the year1235 to1273,1852 , London , Vol 1 , P484.

(3)Thompson , Economic and social history of the middle ages , v1, P407.

؛ زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ص165-167 .

الفصل الثالث

المتغيرات الاقتصادية في
سواحل بلاد الشام ابان الحروب الصليبية

المبحث الاول : المتغيرات الزراعية والصناعية

اولاً : النظم الزراعية وأحوال الفلاحين

تعد الزراعة ركناً اساسياً ومكملاً لأقتصاد اي دولة ، فعليها يعتمد الانسان في حياته ومعيشته ويستفاد من ثمرها ايضاً الحيوان ، واقليم الشام من الاقاليم المعروفة بأرضه الخصبه وثمرها المتنوع وقد خصه الله تعالى ببركة الزيتون والتي تفتخر به على غيرها من البلاد[1] ، فكانت هذه الارض منذ القدم محط اهتمام اهلها وسادتها حتى إذا ملكها المسلمين العرب بادروا بحرثها وزراعتها وغرسها بأصناف النبات الجديدة فاستغلوها احسن استغلال بذكائهم وبعد نظرهم ، فالعرب وعلى قول احد علماء الفرنج :"عمال زراعة ورجال براعة"[2] .

تعتمد زراعة الشام على مياه المطر والانهار ، قال النويري[3] :" قانون البلاد الشاميّة مبنىّ على نزول الغيث، ووقوع الأمطار فى إبّانها وأوقات الاحتياج اليها" ، وفي موضع آخر يقول :"ومن أراضى الشأم ما يسقى بالمياه السارحة من الأنهار والعيون، وتكون مقاسمة أرضه أوفر من مقاسمة ما يسقى بالأمطار"[4] ، وأهم المحاصيل الزراعية المشهورة في هذه البلاد والتي ذكرها القلقشندي[5] هي الحبوب من البر والشعير والذرة والأرز والباقلا واللوبياء والحلبة، والسمسم ، وأنواع البطيخ والقثاء والباذنجان واللفت والجزر وقصب السكر والفواكهه ومن أهمها التين والعنب والرمان والمشمش والخوخ والتفاح والكمثرى والسفرجل.

اما المحاصيل الزراعية التي اشتهرت بها مدن الساحل الشامي فقد كانت كثيرة خاصة في سهوله الساحلية ، إذ تضافرت عوامل عديدة على اخراج بيئتها الزراعية بهذا الشكل ومنها وفرة المياه سواء كان من الانهار التي تنبع من الجبال ام من

---

[1] ابن الفقيه ، البلدان ، ج1 ، ص168.

[2] كرد علي ، خطط الشام ، ج4 ، ص146.

[3] نهاية الارب ، ج8 ، ص255 .

[4] نهاية الارب ، ج8 ، ص258.

[5] ينظر: صبح الاعشى ، ج4 ، ص90.

خلال كمية الامطار التي تسقط بغزارة ، والتربة الخصبة الغنية بعناصرها وخاصة المواد العضوية اضافة الى دفأ المناخ واعتداله[1] ، وقد اضفت هذه العوامل بيئة خضراء غطت ارض الساحل الشامي حتى كان المسلمون يسمون الشريط الساحلي "الطراز الاخضر"[2] ، لذا لا عجب في غناه بأنتاج زراعة الحبوب ومنها القمح والشعير والذرة والارز والدخن والعدس والفول والسمسم[3] ، كذلك اشجار الفاكهة ومنها الكروم واشجار التين والزيتون والرمان والليمون الحلو والبرتقال وشجرة اللوز والخوخ وشجرة الموز والتي تسمى " شجرة الجنة"[4] .

بعد ان اسس الصليبيون مملكتهم في بيت المقدس وجدوا انها تفتقر لأدنى المقومات الاقتصادية الضرورية لإدامة اية دولة ومنها الزراعة ، ففي عهد السلاجقة تعرضت الاراضي الزراعية الى التخريب بعد ان كانت اقطاعاً الى السلطان وجنده[5] ، اما السواحل فكان لها وضعٍ مختلف ، فمنذ الفتح الاسلامي وباعتبارها

---

(1) Mohamed , Ahmed , Demographic , socio –economic and architectural structure of Tibnin in the age of the crusade ,Historical Kan Periodical , Universitat Gotting Gemany ,Vol 8 , Issur 29 ,2015 , P170؛ ؛ يسرى ، جغرافية البحر المتوسط، ص224؛ البرازي ، نوري خليل وابراهيم خليل المشهداني ، الجغرافية الزراعية، ط1 ، دار الكتب ، جامعة الموصل ، 1980م ، ص15.

(2) ابن الحريري ، احمد بن علي بن المغربي (ت 926هـ) ، الاعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين ، تح: سهيل زكار ، 1981م ، ص97.

(3)Prawer , Crusaer Institutons , Oxford University press ,1980 , P169 ؛ فهمي ، نعيم زكي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1393هـ / 1973م ص175.

(4) Archer and charles lethbridge, The crusades the story of the Latin kingdom of Jerusalem , P253 ؛Rey , Les colonis franques de syrie , P245-250.

(5) الحسني ، علي ، تاريخ سوريا الاقتصادي ، ط1 ، بدائع الفنون ، دمشق ، 1923 ، ص100؛ طرخان ، النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى ، ص63.

دار حرب ولغرض تشجيع العرب على السكن فيها كان يتم اقطاع الارض المحررة الى القبائل العربية مع من اقطع من المرابطة ليستقروا فيها ويقوموا بزراعتها وذلك لدرء خطر هجمات الروم عن ارضها[1] ، وهذه القطائع كانت في السابق من الاراضي التي تعود اغلبها للروم الذين تركوها خوفاً من المسلمين[2] ، وقد عوملت هذه الاراضي كأرضاً عشرية ، قال البلاذري[3] :" كل عشري بالشام فهو مما جلا عنه أهله فأقطعه المسلمون فأحيوه وكان مواتا لا حق فيه لأحد فأحيوه بإذن الولاة" ، وبمرور الايام استمرت الارض بأيدي اصحابها حتى جاء الفاطميون وقرروا ان يمنحوا جزءاً من الاراضي التابعة للدولة الى اعوانهم سواءاً كانت رقبتها ومنفعتها فيقوم هؤلاء بزراعتها والاستفادة من انتاجها ، كما منحت الى جانب ذلك اقطاع الاستغلال وتمنح فيه الارض الى الافراد من الوزراء والامراء والاجناد مقابل جباية الخراج من المزارعين وهو ما يعرف بقبالة الارض تكون مدته اقصى حد ثلاثين سنة ، وقد اتبعت الدولة الفاطمية سياسة التسامح والتغاضي مع هؤلاء المتقبلين مع مراعاة ظروف الفلاحين وتقديرها ، خاصة في ازمات القحط والجفاف والحروب[4] ، كل هذه الامور اسهمت في جعل ارض الساحل عامرة باشجار الفاكهة والكروم والمحاصيل وهذا الشيء يفسر لنا عدم مقاومة ملوك المدن الساحلية للصليبيين ومهادنتهم بل انهم كثير من الاحيان كانوا يفتدون مزارعهم وحقولهم الخصبة بهدايا ثمينة وهذا ما فعله حكام عكا وبيروت[5] ، لكن الوضع لم يستمر طويلاً بهذا الحال

---

[1] البلاذري ، فتوح البلدان ، ج1 ، ص146.

[2] ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج2 ، ص205-206.

[3] فتوح البلدان ، ج1 ، ص153.

[4] ينظر: المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1418هـ ، ج1 ، ص157؛ وينظر: البراوري ، حالة مصر الاقتصادية في العهد الفاطمي ، ص58 ؛ مصطفى ، شاكر ، فلسطين ما بين العهدين الفاطمي والايوبي ، الموسوعة الفلسطينية ، مج2 ، ص436.

[5] رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج1 ، ص418.

، فمنذ ان قرر الصليبيون احتلال الساحل الشامي واخضاعه الى نفوذهم زادت الامور تعقيداً ، إذ اخربت الاراضي الزراعية وتوجهوا بالأغارة عليها وعلى الرياض المحيطة بالمدن الاسلامية يحرقونها ويخربونها ويقضون على كل ما بها من زرع وضرع، فيهرب الفلاحين الى المدن ، والباقين منهم يتم تحويلهم الى اقنان[1] يباعون ويشترون مع الاراضي الزراعية[2] .

اعمال الصليبيين العسكرية في القرى والارياف تلك نتج عنها تدهور القطاع الزراعي وعجزه تماما عن اشباع حاجاتهم التموينية خاصة بعد هجرة الفلاح ارضه وعدم قدرته على العمل فيها مما ادى الى ندرة الايدي العاملة في الريف مقارنة بوفرة الارض الكبيرة[3] ، وهذه احدى المشاكل التي تطلب حلها من الصليبيين خاصة بعد عودة الكثير من الفرنج الى ديارهم اثر الحروب الصليبية الاولى ، اضافة الى عدم رغبة الباقين منهم بالعمل كمزارعين[4] ، وازاء هذه التحديات كان لزاما على الصليبيين ان يعيدوا حساباتهم وان يغيروا سياستهم ويكسبوا الفلاح وتشجيعه على مزاولة عمله ، فاعادوا هيكلية الريف وارجعوا المساكن الى المزارعين ثم قاموا بتقليل الضرائب على ثمارهم باقل مما هو معمول في الاراضي الاسلامية ، فاصبح الفلاح عنصراً هاما اسهم في تسيير عجلة الاقتصاد الصليبي وتوفير الزاد والكلأ ، وتبعاً لذلك كانت اوضاع الفلاحين في الساحل في حال افضل مقارنة بأقرانه في المدن

---

[1] الاقنان : عبيد الارض ومفردها قن وهو الرجل الفلاح الذي يعيش على قطعة من الارض يمنحها اليه او يملكها له السيد الاقطاعي. ينظر: عمران ،حضارة اوروبا في العصور الوسطى ، ص63. وكان الفلاح مخير من ان يبقى عبدا او يحصل على حريته قبال دخوله الدين المسيحي وفي هذه الحالة يصبح الفلاح اجيرا يعمل عند صاحب الاقطاع . ينظر: ماير ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص321.

[2] Conder , The latin kingdom of Jerusalem , P239

؛ زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ص133 ؛ رمضان ، المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، ص172.

[3] Prawer , Crusaer Institutons , P198.

[4] Chalando, History premiere croisade, P 301.

الاخرى، وهذا ما أُخبر به ابن جبير[1] الذي زار الساحل في سنة 578هـ/1182م عند مروره في المدن الساحلية بقوله :" أنهم يؤدون لهم نصف الغلة عند أوان ضمها وجزية على كل رأس دينار وخمسة قراريط ولا يعترضونهم في غير ذلك، ولهم على ثمر الشجر ضريبة خفيفة يؤدونها ايضا. ومساكنهم بأيديهم وجميع أحوالهم متروكة لهم. وكل ما بأيدي الافرنج من المدن بساحل الشام على هذه السبيل، رساتيقهم كلها للمسلمين، وهي القرى والضياع، وقد اشربت الفتنة قلوب اكثرهم لما يبصرون عليه اخوانهم من أهل الرساتيق المسلمين وعمالهم، لانهم على ضد أحوالهم من الترفيه والرفق" .

سياسة الاهتمام بالفلاح في الساحل الشامي وتخفيف الضغط عليه من قبل الصليبيين يُراد بها ايضاً كسب هذه الطبقة الاجتماعية وعدم استفزازها وانصهارها في بوتقة العمل الثوري ضد المحتل مع باقي فئات المجتمع الاخرى ، وفي هذا يقول ماير[2] :" لم يكن بوسع الفرنجة ان يضغطوا بقسوة على المسلمين ، لا شك انهم مرتبطين بتراب وطنهم" ، ومع ذلك لم يكن هؤلاء الفلاحين بمعزل عن حالة الرفض التي عمت الاوساط الاسلامية ضد الصليبيين ، وكانوا يعبرون عن غضبهم بالتمرد تارة والعصيان المدني تارة اخرى ، وكثيرا ما كانوا يعبرون عن حبهم لهذه الارض وانتمائهم لها برفض سلاسل الذل والعبودية ، ففي بيروت وصيدا نشبت انتفاضة فلاحية سنة 519هـ/ 1125م بعد رفضهم دفع الاتاوى ، و في مدينة طرابلس حدثت انتفاضات أخرى سنة 526هـ / 1131م، وسنة664هـ/ 1266م والتي تعرض فيها الفرنج الى ابادة من قبل الفلاحين[3] .

بعد مرور الوقت وتقلص ممتلكات الصليبيين اثر معركة حطين وتنامي قوة المسلمين العسكرية وانكفاء الغزاة في شريط ساحلي لا يستوعب حاجاتهم الغذائية ، تناقصت لديهم امدادات الطعام بصورة تنبأ بالكارثة ، فبدأوا في خطة اقتصادية

---

[1] رحلة ابن جبير ، ج1 ، ص248.

[2] تاريخ الحروب الصليبية ، ص321 .

[3] زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ص136.

تتألف من محاور عدة ساهمت في مضاعفة وزيادة الانتاج الزراعي ، ولتنفيذ ذلك اشاع الصليبيون الاقطاع الزراعي في بلاد الشام عامة وفي الساحل الشامي خاصة ، فنتج عن ذلك نظام اقتصادي جديد يعد سمة من سمات المؤسسة الاقطاعية في بلاد الشام ، إذ تم تحويل الزراعة في السهول الغنية على اساس تجاري بقصد الربح والمال[1] ، فاستحضر هؤلاء الغزاة تجربة جديدة تقوم على اقامة قرى خاضعة لنظام ضريبي خاص يستطيع ان يرفد اقتصاد المملكة بالموارد المالية الكبيرة ويزودهم بالمحاصيل الغذائية ، هذه القرى عرفت بأسم " Casal" او ضيعة كما يسميها الاوربيون، وهو اسم غلب عليها واصبح متداولا حتى الوقت الحاضر ، اما الفلاحين فتم تحويلهم الى اقنان مرتبطين بالارض[2] ، وعماد هذه القرى هم من المسلمين اضافة الى الارمن والفرنج[3] ، والظاهر ان اعتماد الفرنج على الفلاحين المسلمين في هذه القرى الزراعية يعود الى الاستفادة من خبراتهم الزراعية ومعرفتهم بطبيعة الارض[4].

ترأس القرى الزراعية موظف يتولى مهمة الاشراف عليها يسمى"rise des " أي "الرئيس" ينتخبه السكان مباشرة ويكون المسؤول الاول امام السلطات الصليبية ، ولقد مثلت مهمة الرئيس ضرورة ملحة فرضتها غياب السيد الاقطاعي عن القرية فكان هو الواسطة بين الاقطاعي وبين اهالي القرية ، وصلاحيته هي الحفاظ على امن

---

(1) Prawer , The latin kingdom of Jerusale, keter press , Israel ,1972 ,p381 ؛

رانيستمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج2 ، ص345

(2) براور ، الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص437 ؛ عاشور ، اوروبا النظم والحضارة ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، 1959م ، ج2 ، ص74.

(3) Preston , Helen Gertrude , Rural condition in the kingdom of jerusalen during the twelfth and thirteenth centuries, University of Pennsylvania , 1903 , P39.

(4)Mohamed,Ahmed, Demographic,socio-economic and architectural structure of Tibnin in the age of the crusades , p169.

القرية ووضع حل للمشاكل التي تقع بين الفلاحين ورفع الحيف عنهم خاصة المسلمين[1].

في النظم الاسلامية كانت وظيفة الرئيس معروفة لكن في مجال آخر غير الزراعة ، إذ كان الذي يتقلدها يكون قائد لجيش محلي او قائدا للشرطة في بلاد الشام او العراق[2] .

من مهام الرئيس مهمة تحصيل الضرائب الحكومية من الفلاحين وتجميعها للاقطاعيين ، ويساعده في ذلك اثنين من الموظفين الحكوميين احدهما الترجمان والثاني كاتب القرية ، الترجمان بدأ وظيفته كمترجم بين السكان العرب وبين السيد الاقطاعي[3] ، اما الكاتب فعمله الرئيس يتمثل في نقل اوامره الى القرويين العرب اضافةٍ الى جمع الضرائب وحل مشاكل الحدود والاحتفاظ بإسماء الفلاحين المتواجدين في الاقطاعية في سجلاً خاص به ، وقد وجد هؤلاء الموظفون في كثير من المدن الساحلية ومنها أرسوف ، ويافا ، وقيسارية ، وعسقلان ، وبيروت وصور ، بحيث تراوح عددهم ما بين 14 و25 موظفا ، وهم من اللاتين والعرب[4] .

امتلك الرئيس العديد من الامتيازات الممنوحة له من قبل الصليبيين ومنها منحه منزل كبير يتيح له ان يستضيف فيه الشخصيات من الضيوف والوفود التي تزور

---

(1) Prawer , The latin kingdom of Jerusale, p367 ؛
رانيسمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج2 ، ص345.

(2) كاهن ، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ص208؛ ماير ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص322.

(3) Lammens , La Syrie précis historique, Berouth , 1921, P243
؛ براور ، الاستيطان الصليبي ، ص438-439؛ رانيستمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج2 ، ص345.

(4) الطحاوي ، الاقتصاد الصليبي ، ص194 ؛ علي ، علي السيد ، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين ، ط1 ، عين للدراسات ، الاسكندرية ، 1417هـ / 1996م ، ص180؛
Smith, The feudal Nobility and the Kingdom of Jerusalem 1174-1177,p53.

القرية ، ذلك ما اخبر به ابن جبير[1] حينما مر في احد ضياع عكا وقال : "فنزلنا يوم الإثنين المذكور بضيعة من ضياع عكا على مقدار فرسخ ورئيسها الناظر فيها من المسلمين مقدم من جهة الإفرنج على من فيها من عمارها من المسلمين فأضاف جميع أهل القافلة ضيافة حفيلة واحضرهم صغيرا وكبيرا في غرفة متسعة بمنزلة وأنالهم ألوانا من الطعام قدمها لهم فعمهم بتكرمته وكنا فيمن حضر هذه الدعوة" .

كان السيد الاقطاعي غائباً عن القرية وكانت علاقته باملاكه الريفية قائمة على الاستغلال المنظم للارض وتطويرها للحصول على الارباح والاموال من عائديتها[2]، وكان إذ زار القرية واصبح ضيف عليها فأن سكان تلك القرية كانوا ملزمين بتقديم الاعراف الاقطاعية السائدة ، وعليهم ايضاً الترحيب به وتقديم هدايا له، تتضمن عملات فضية وكمية من من القمح والزيتون[3].

تم تقسيم اراضي القرية الى وحدات زراعية تسمى الكاريوكا carrucate ، وهي وحدات ادارية ومالية قبل ان تكون وحدات اقتصادية ، تستخدم في الاساس كوحدة ضريبية تساوي اربعة آلاف متر مربع[4] ، وبذلك تختلف مع الفدان العربي والذي يساوي قياس مساحته في العصور الوسطى حوالي 6368متر مربع ، وتختلف ايضاً عن الجريب الذي يساوي شرعاً 100قصبة مربعة والقصبة تساوي399سم[5] .

---

[1] رحلة ابن جبير ، ج1 ، ص275.

[2] براور ، الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص453.

[3] الزيدي ، مصعب حمادي ، الاستيطان الصليبي في فلسطين بيت القدس انموذجاً، اطروحة دكتوراه مقدمة الى جامعة الموصل ، 1426هـ / 2005م ، ص290.

[4] Rey , Les colonis franques de syrie P241؛
Archr , The crusades the story of the Latin kingdom of Jerusalem, P293
؛Lammens , La Syrie précis historique ,P 244.

[5] هانتس، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ص96-97. وقياس الكاريوكا عند رالي سمث يساوي24 حبلا وعرضه 16حبلا ، والحبل عنده الارض التي يغطيها رجل متوسط القامة 18خطوة . ينظر : =

سمي الكاريوكا بأسمٍ آخر هو المحراث aratrum والارض المحروثة تعادل مساحة الارض التي تمتلكها أسرة فلاحية واحدة[1] ، والجدير بالذكر بأن المحراث لم يكن قبل الحروب الصليبية اداة قياس للمساحة وإنما كانت اداة حرث فقط ، ذكر ذلك ابو الهلال العسكري[2] ، وعرفّه بأسم "الجارة" ويذكر بأنه يتكون من قسمين الاول قطعة من الحديد تكرب الارض ويسميه " السكة الحديدية" والقسم الثاني خشبي وهي النعل التي في طرف السكة[3] .

اما الطرق التي اتبعت في زراعة القرى بصورة عامة فكانت مستنبطة من النظم الرومانية القديمة وهي زراعة المحاصيل بالتعاقب والتي تسمى طريقة " نظام الحقلين"[4] ، وفي ذلك يقول النويري[5] :" أن كلّ فلّاح يقسم الأراضى التى بيده شطرين، فيزرع شطرا، ويريح شطرا، ويتعاهده بالحرث لتقرع الشمس باطن الأرض، ثم يزرعه فى القابل ويريح الشطر الذى كان به الزرع " ثم يبدلان الشطران في السنة التالية ، فمثلا الارض التي زرعت هذا العام بالقمح والشعير ستنتج العام المقبل الفاصوليا والبازلاء، والغرض من ذلك هو تجنب لإجهاد الارض ومحاولة لتحسين الانتاج[6] .

= Smith, The feudal Nobility and the Kingdom of Jerusalem 1174-1177, p42.

[1] براور ، الاستيطان الصليبي ، ص441.

[2] ينظر: الحسن بن عبد الله بن سهل (ت نحو 395هـ) ، التلخيص في معرفة اسماء الاشياء ، تح : عزة حسن ، ط2 ، دار طلاس ، دمشق ، 1996م ، ج1 ، ص299.

[3] آشتور ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الاوسط في العصور الوسطى ، ترجمة : عبد الهادي عبلة ، دار قتيبة ، دمشق ، 1985م ، ص63.

[4] طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص242.

[5] نهاية الارب في فنون الادب ، ج8 ، ص256.

[6] Preston, Rural condition in the kingdom of jerusalen during the twelfth and thirteenth centuries , P47.

كان متوسط عدد القرى بحدود قرية واحدة لكل كيلو متر تقريبا ، وهذا المتوسط كان في المناطق ذات الكثافة السكانية العالية مثل مدينة صور[1]، اما حجم هذه القرى فمختلف بين منطقة واخرى ففي عسقلان يوجد 72 قرية في اكبر قرية منها يوجد 200 اسرة ، بينما في قرى اخرى تضم 20 اسرة[2] .

وعلى العموم فأن متوسط الكثافة السكانية في الريف كان عاليا وهذا الشيء كان ناتجاً عن اهتمام الصليبيين بالزراعة وسياستهم في تشجيع الفلاحين على العمل فيها.

كان يتم رسم حدود القرى وتخطيط حدودها بالحجارة بشكل واضح تفاديا لوقوع مشاكل بين الفلاحين على حيازتها[3] ، ومن اهم تلك القرية هي الطواحين لطحن الحبوب المزروعة وقد منحت لصاحب القرية، وتكون على نوعين احدها تديرها المياه واخرى بالحصان ، وهي مختلفة في الحجم ، فالبعض يكون لديه حجر واحد والبعض اثنين والبعض ثلاثة احجار[4] ، ومن اهم المطاحن التي كانت تدار بواسطة الطاقة المائية ، كانت تلك الموجودة في صور والمملوكة للبنادقة[5] .

لم تقتصر ملكية القرى على الاقطاعيين وإنما كانت للهيئات الدينية والاقتصادية نصيب منها، فكان للبنادقة ثمانون قرية حول مدينة صور وفيها الحقول والحدائق ،

---

(1)Prawer , Crusaer Institutons , P148.

(2) علي ، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين ، ص174.

(3) Conder , The latin kingdom of Jerusalem, P238.

(4)Preston, Rural condition in the kingdom of jerusalem during the twelfth twelfth and thirteenth centuries , P37.

(5)Archer and charles lethbridge, The crusades the story of the Latin kingdom of Jerusalem , P257. وبعض

المطاحن كان يمتلكها الملوك ، والبعض الآخر كان تمتلكها الهيئات الدينية . ينظر : Smth,The feudal nobility and the kingdom of Jerusalem 1174-1277 ,P50.

وبساتين فاكهة ، وكروم ، ومزارع قصب السكر ، واشجار الزيتون والتين وكانوا يجعلون لهم وكلاء يديرون هذه القرى يقال لهم "gastaldiones"[1].

اما الهيئات الدينية فقد وجدت قراهم في المناطق الغنية مثل قيسارية وجبيل حتى وصلت حصتهم الى170 قرية ، وأوسع ممتلكاتهم تلك الموجودة في طرابلس وانطاكية ، وأدارتها شبيه بادارة القرى الاقطاعية ، وقد تضطر الاسبتارية ان تنيب عنها في حالة غيابها احد المسلمين من السكان الاصليين ، وهذا يكون مسؤولاً امام الهيئة ويحكم القرية بطريقة سليمة[2] ، وقد انصب اهتمام رجال الدين هؤلاء بزراعة المحاصيل والاشجار المثمرة والاشراف عليها مباشرة ؛ لأنهم يرونها ميداناً واسعاً في الحصول على الربح الوفير ، فحرصوا على زراعة قصب السكر في الاراضي والاقطاعات في صور[3].

فرضت على فلاحي هذه القرى ضرائب متنوعة تفرض حسب نوع المحصول الذي يتم زراعته فيها ، وإذا عجز الفلاحون عن دفع هذه الضرائب تؤخذ الارض منهم ويتم تأجيرها الى غيرهم[4] ، وهذه الضرائب تكون اما نقدية او عينية ، فالنقدية تقدر بثلث قيمة المحصول وتدفع على شكل مبالغ مالية كما هو الحال في ثلث حجم عصير الزيتون المستخرج[5] ، اما العينية فتكون على شكل هدايا يقدمها الفلاح في ثلاثة اوقات في السنة، عيد الميلاد ، بداية الصوم الكبير ، عيد الفصح ، إذ يتلقى الاقطاعي دجاجة وعشر بيضات وجبنة وحمولة من الخشب وفي بعض الاماكن الشمع او العسل او ما يعادلها من المال مقابل البذور التي يقدمها كل عام لكل

---

[1]Conder , The latin kingdom of Jerusalem, P208

؛ هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص167 .

[2] ينظر: رايلي سميث ، الاسبتارية ، ص423-425.

[3] البيشاوي ، الممتلكات الكنسية ، ص333، ص 339.

[4] Preston, Rural condition in the kingdom of jerusalen during the twelfth and thirteenth centuries, p36 .

[5] براور ، الاستيطان الصليبي ، ص447-448.

محراث ارض مزروعة[1] وهذه الضريبة كانت معروفة في الشام منذ العهد البيزنطي باسم ضريبة " الاتاوة او الجباية" ، وتكون على شكل هدايا وهبات يدفعها الفلاحون مكرهين وقت الاعياد الدينية او المواسم الزراعية[2] ، والى جانب هذه المبالغ المدفوعة الى الاسياد كانت هناك ضريبة كبيرة ومرهقة تفرضها الكنيسة على الارض وهي العشر على اعتبار ان هذه الارض هي ملكا لها ، ويبدو ان هذه النسبة المئوية للكنيسة قد تم فرضها على كل شيء على سبيل المثال الكروم والاشجار والماعز والنحل[3]، ومنح حق جمع هذه الضريبة الى رجال الدين ، ففي عهد الملك بلدوين

---

[1]Rey, Les colonis franques de syrie, P244 ؛Richard, 'Agricultral conditions in the crusader state ' in setton ,history of the crusader ,vol 5, P256؛ Preston, Rural condition in the kingdom of jerusalen during the twelfth and thirteenth centuries,p46-47؛ Smth,The feudal nobility and the kingdom of Jerusalem 1174-1277, p45.

[2] براور ، الاستيطان الصليبي ، ص447.

[3]Preston, Rural condition in the kingdom of jerusalen during the twelfth and thirteenth centuries, p36.

وينفي ماير ضريبة العشر على الاراضي الزراعية والمفروضة من قبل الكنيسة ، ويعلل ذلك بفرضيتين الاولى : بأن الاوضاع بقيت على ما هي عليه وحسب ما كان يسود الاقطاع من قبل اما التعليل الثاني والذي يرجحه ماير فهو قلة الاراضي التابعة للهيئات الدينية . ينظر : تاريخ الحروب الصليبية ، ص323. ويبدو ان هذه الضريبة فرضتها الكنيسة في الاقطاعات التابعة لها فقط ، فالمعروف ان الصليبيين لما اتو البلاد وطبقوا نظامهم الاقطاعي الذي جاءوا به كان يتعين لهم ان يعملوا تغيرات كبيرة تلائم وضعهم كدولة غازية في محيط غريب ، ومن اجل تثبيت تلك الدولة منح الملوك الامتيازات للهيئات الداعمة لها ومنها الدينية والتي حصلت على اقطاعات واسعة من الاراضي الزراعية ، فالملك بلدوين الاول لم يقم بإغداق المنح والاقطاعات على الكنائس والاديرة الّا بعد ان تأكد من مساندتها له. ينظر : البيشاوي ، الممتلكات الكنسية ، ص157 .

الرابع570-581هـ/ 1174-1185م[1] منح وليم الصوري[2] اسقف صور حق جبايتها[3] .

لم تقتصر الضرائب على المحاصيل وإنما تعدتها لتشمل الحيوانات ايضاً ، فكانت الضرائب المفروضة على الماشية خاصة على الماعز تصل الى نصف رأس وهناك ايضا الضريبة على النحل والعسل ، كما فرضت ضريبة على الخنازير في اسواق صور وعكا ، وهي حيوانات لا يربيها المسلمون او المسيحيون الشرقيون عادة ، اما اللحوم فلم تكن مدرجة ضمن المنتجات الزراعية الخاضعة للضريبة[4] .

بالاضافة الى الاراضي الزراعية فأن هناك مناطق غير مزروعة تسمى " Gastine" عرفت بالاراضي البور او اسمها بالعربية " الخربة " وهي اراضي كانت مأهولة سابقا ولكنها اصبحت مهجورة[5] ومع ذلك فانها تؤدي وظيفة اقتصادية مهمة في حياة القرية وهي المروج والمراعي او الآبار ، وكانت هذه الاراضي خارجة عن النظام الضريبي فالفلاحون احرار في التمتع بحق المراعي، من ذلك مراعي ارسوف وقيسارية[6] ، وكان بامكان القطعان العثور بسهولة على الطعام طول فصل

---

[1] بلدوين الرابع : ابن الملك عموري الاول كان في الثالثة عشر حينما توفى والده عام 570هـ/ 1174م ، اصيب بمرض الجذام فلُقب "بلدوين المجذوم " مع ذلك امتاز بمواهبٍ عالية وشجاعةٍ فائقة ، لم يعمر طويلاً مات في الرابعة والعشرين من عمره عام 581هـ/ 1185م. ينظر: عاشور ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص710.

[2] المؤرخ المشهور وصاحب كتاب " الحروب الصليبية " .

[3] براور ، الاستيطان الصليبي ، ص447.

[4] Prawer , Crusaer Institutons ,P186 ؛ Richard,'Agricultral conditions in the crusader state ' in setton ,history of the crusader ,P256.

[5] Prawer , The Latin kingdom of Jerusalem , P373.

ويعطي رالي سمث تعريفا آخر لارض البور ويقول :" انها استخدمت للدلالة على جميع الاراضي غير المحروثة " ينظر: الاسبتارية : ص432.

[6] Prawer , Crusaer Institutons , p163-164.

الشتاء مباشرة من الارض[1] ، والحال نفسه ينطبق على الغابات والتي تكون ملكا مشاعاً[2] ، اما المصائد قد تم منحها من قبل الملوك والبارونات الى الرجال التابعين لهم ، فكان لهم الحق في الحصول على قارب في مجرى او امتلاك بحيرة ، وقد وفر الموقع الجغرافي للساحل الشامي ووقوعه على البحر المتوسط مرتبة متقدمة بثروته السمكية ، واشهر مصائده تكون في عكا ويافا وغزة[3].

والى جانب الالتزامات المادية فقد اجبر الصليبيون من اصحاب الاقطاعات الفلاحين المسلمين على العمل بالسخرة " corvees " ، لكن ذلك كان يتم بنطاق واسع ، فمثلا في مزارع قصب السكر وبساتين الزيتون استعار صاحب قيسارية في عام 610هـ / 1213م من الاسبتارية بعض الفلاحين المسلمين للعمل في مزارع قصب السكر في عكا ، وفي عام 641هـ/ 1243م اجبر البنادقة الفلاحين المسلمين في اقليم صور على العمل يوما من كل اسبوع للخدمة في ارضهم[4].

من هنا نستطيع القول ان النظام الزراعي في الساحل الشامي قد وجد لخدمة الغزاة الصليبيين من خلال زيادة ايرادات خزينة دولتهم وان الفلاحين الشاميين كانوا هم عماد سكان هذه القرى والعنصر الغالب فيها ، ولم يستطع الصليبيين الاستغناء عنهم طوال فترة اقامتهم في بلاد الشام فنجحوا في توظيف السكان المحليون في اعمال الزراعة ويتفرغون هم للحروب العسكرية ومجابهة المسلمين .

---

(1)Preston, Rural condition in the kingdom of jerusalen during the twelfth and thirteenth centuries , P48.

(2)Preston, Rural condition in the kingdom of jerusalen during the twelfth and thirteenth centuries, 165.

(3)Preston, Rural condition in the kingdom of jerusalen during the twelfth and thirteenth centuries, P48 ؛

(4)Smth,The feudal nobility and the kingdom of Jerusalem 1174-1277 ,p46 ؛

الفراني ، عبد الحميد جمال ، المقاومة الشعبية للاحتلال الصليبي في بلاد الشام ، رسالة ماجستير مقدمة الى الجامعة الاسلامية / غزة ، 1426هـ/ 2005م ، ص276.

ثانياً: الصناعات

امتازت بلاد الشام بالعديد من الصناعات التي وجدت اقبالا حسنا لدى الاوربيين ابان الحروب الصليبية ، ونستدل من النصوص التي اوردها الجغرافيون والرحالة المسلمون بأن في بلاد الشام صناعة متطورة افضل حالاً على ما يماثلها في البلدان الاخرى مما انعكس على مستوى الرخاء فيها ، ففي القرن الثالث الهجري / العاشر الميلادي ونتيجة للواردات المالية التي تأتي من التجارة والصناعة بلغ دخل هذه البلاد حوالي 38 مليون درهم وبما يعادل3 مليون دينار وهو رقم قياسي يعادل دخل مصر خلال الحكم الطولوني[1] ، كذلك استمر انتعاش الاحوال الصناعية خلال العهد الفاطمي على الرغم من القلاقل الداخلية والهجمات الخارجية[2]، وحينما جاء الصليبيون الى بلاد الشام فأنهم سخروا تلك الصناعات خدمة لأطماعهم فزادوا في انتاجها واشرفوا على تصديرها، والحال نفسه ينطبق على مدن السواحل والتي ساعد غناها الزراعي على توفر المادة الاولية الضرورية لها ، وعلى ضوء ذلك استطاعت المصانع وورش المدن الساحلية ان تنجو من البطالة ابان الحروب الصليبية وان تظهر تفوقا على الغرب في هذا المضمار[3] .

من اهم الصناعات التي تميزت بها سواحل بلاد الشام صناعة " السكر" ، والتي تعتمد كثيراً على قصب السكر المزروع في اغلب مدن الساحل الشامي ، والذي يحدد المقدسي[4] زراعته في مدينة كابل[5] الساحلية ويطري عليه ويقول:" بها مزارع الاقصاب وبها يطبخ السكّر الفائق"، كذلك زرع هذا المحصول في صيدا ، وقيسارية

---

[1] آرشيبالد ، القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط ، ص259.

[2] آرشيبالد ، القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط ، ص327.

[3] Lammens , La Syrie précis historique , P263.

[4] احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ج1 ، ص162.

[5] كابل : مدينة تابعة الى قصبة طبرية . ينظر: المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ج1 ، ص154.

، وعكا ، وبيروت ، وطرابلس[1] ، وصور[2] اما مصانعه فمنتشرة في مدن الساحل الشامي ويذكرها النويري[3] في طرابلس وبيروت وعكا وكانت مصانع صور الاكثر تميزاً في كل بلاد الشام[4] ، ولأجل ذلك تم تصديره بكميات كبيرة الى الغرب في القرنين السادس والسابع الهجريين[5] .

اما صناعة النبيذ فكانت من الصناعات التجارية التي دأب الصليبيون على اقامتها في الساحل الشامي، وتعتمد هذه الصناعة على زراعة الكروم الذي وجدت مناطق انتاجه في الساحل بين انطاكية واللاذقية وبالتحديد في منطقة طرطوشة وطرابلس وبالقرب من عكا وكذلك في صور وفي طرابلس[6] ، وقد ابدت الكنيسة اهتماما كبيرا في زراعته لسببين اولهما المردود الربحي من وراء زراعته وثانيا

---

[1] ابن حوقل ، صورة الارض ، ج1 ، ص176 ؛ الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار، ج1 ، ص390.

[2] البيشاوي ، الممتلكات الكنسية ، ص337؛ حتي ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ج2 ، ص52؛ براور ، الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص434 ؛ فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، ص176.

[3] ينظر: نهاية الارب ، ج8 ، ص271.

[4] Rey , Les colonis franques de syrie , P222.

وكيفية تصنيع السكر يكون بتقطيع القصبة الى قطع بطول نصف تم نقلها لعصر العصير في اوعية برونزية حيث يتم طهيها حتى تحصل على قوام الشراب ثم تركه ليجف في سلال من القش المنسوجة بدقة كما تصلب الملح العسل الاسود المتسرب من خلاله، ينظر:

Prawer , Crusader insitutions, p129 ؛

رانيستمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ، ص345 .

[5] عاشور ، الحركة الصليبية ، ج1 ، ص488.

[6] الحميري ، الروض المعطار ، ج1 ، ص 390 .

لحاجتها اليه في أداء طقوسها الدينية[1] ، ويمكن ان نضيف الى هذين السببين سببا آخر في هذا الاهتمام ، وهو ان ابناء الطائفة المسيحية معتادين على شرب الخمور الغير محرمة عندهم على عكس المسلمين الذين يعدون هذا الشراب فاحشة وأثماً مبيناً ، فالقرآن الكريم يتضمن آيات فيها نهي المسلمين عن هذا العمل وتحثهم على اجتنابه ومنها في قوله :{ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[2] .

ومن اهم مصانع هذه السلعة مصنع نبيذ اللاذقية الذي كان مشهورا[3]، وكذلك مصنع في عكا ، هذا وقد حرصت القوى التجارية الاوربية على تصدير هذه المادة الى اوروبا بكميات كبيرة ، وفي احد المرات حملت احدى السفن الجنوية النبيذ الطرابلسي بأطنان بلغت الى عشرة[4] .

ويبدو ان سعر قيمة النبيذ في اوروبا نتيجة ارتفاع الطلب عليه يفوق ما كان في الشرق فاستفادت هذه القوى من فرق السعر ومن ثم الحصول على ارباح كبيرة.

ونظرا لإنتشار مزارع الزيتون في معظم السواحل الشامية فقد قامت عليه صناعة الزيت والصابون والتي لقيتا رواجا كبيرا عند عامة الناس وعند الاوربيين خاصة للاستفادة منهما في الاستخدام اليومي ، وقد احاطت بساتين الزيتون بجميع المدن الساحلية تقريباً من عسقلان جنوباً وحتى صور شمالاً[5] ، حيث وجدت زراعته في

---

[1] Smth,The feudal nobility and the kingdom of Jerusalem 1174-1277,p42 ؛ Prawer , Crusaer Institutons , P129.

[2] سورة البقرة ، آية 219.

[3] Conder, The latin kingdom of Jerusalem 1099-1291, P241 ؛ مسعود ، مبروك ، النشاط الاقتصادي مملكة بيت المقدس ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى جامعة الجزائر ، كلية العلوم الانسانية ، 2019م / 1440هـ ، ص148.

[4] Richard,'Agricultral conditions in the crusader state ' in setton ,history of the crusader ,P260.

[5] Prawer , The Latin Kingdom of Jerusalem, p361.

طرابلس[1] ، وقيسارية[2] ، وعكا[3] ، وعسقلان ، وأرسوف ، ويافا[4]، ووجد كذلك في حيفا الى جانب اشجار النخيل[5] ، اما اهم مراكز صناعة الزيت فموجودة في عكا[6] عكا[6] ويضرب بها المثل خاصةٍ فيما يتعلق بصفاء زيتها ، فالقزويني[7] ذكر:" انه انه في غاية الصفاء" وكان يسمى " الزيت الركابي" وسبب تسميته بهذا الاسم نسبة الى الابل التي كانت تحمل الزيت الى المناطق الغير منتجة له[8] ، اما صناعة الصابون والذي يطلق عليه " الصابون الرقي" فقد زاد اهتمام الصليبيون بها حتى انتشرت وعمت في الاسواق ولكثرة انتاجه تم تخصيص متاجر خاصة بها من قبلهم ليقوموا بعد ذلك ببيعها ، وكان تصنيع الصابون حكراً ملكياً ، إذ ان الملك هو الذي يقوم بأدارة مصانعها والاشراف عليها ، وفي بعض الحالات قد يتم منح المصانع الى بعض الاشخاص او يتم تأجيرها[9].

---

[1] الحميري ، الروض المعطار ، ج1 ، ص390.

[2] المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ج1 ، ص174.

[3] المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ج1 ، ص162.

[4] الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1 ، ص364.

[5] Archer and charles lethbridge, The crusades the story of the Latin kingdom of Jerusalem , P260.

[6] Thompson , Economic and social history of the middle ages , Volume 1, P405 ؛Conder , The latin kingdom of Jerusalem , P335.

[7] القزويني ، آثار البلاد واخبار العباد ، ج1 ، ص206.

[8] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص63.

[9]Benvenisti, The crusaders in the holy land , p387 ؛

النقاش ، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية ، ص183؛ كرد علي ، خطط الشام ، ج4 ، ص150. وطريقة صناعة الصابون تكون بأن يأخذ جزء من القلي ونصف هذا المقدار من الجير الطيب المحكم، فيسحقان ويضعان في حوض ويصب عليهما الماء بمقدارهما خمس مرات ، وبعد تحريكهما مدة ساعتين ، وفي الحوض خرق ينزل منه الماء الزائد ، ثم يؤخذ من الزيت الخالص قدر الماء عشر مرات =

وازدهرت صناعة المنسوجات كذلك في الساحل الشامي، وكان القطن مادة اساسية لقيام هذه الصناعة والذي يزرع بشكل اساسي بالقرب من اللاذقية وحول صور وفي طرابلس[1] ، في حين يزرع النيلي[2] الذي يستفاد منه في صبغ المنسوجات على طول الساحل السوري بأكمله خاصة في صور وريف طرابلس[3] ، ومن اهم مصانع المنسوجات تلك الموجودة في صور وطرابلس وانطاكية وطرسوس ، وقد نالت هذه المصانع شهرة كبيرة في الشرق والغرب على حد سواء ، اما صناعة الحرير فقد ازدادت في الحروب الصليبية بصورة اكثر ، وعدّت بلاد الشام اول بلد يغزل فيه

= ويضاف الى الخليط ثم يوضع على النار الى ان يصبح كالعجين ، ثم يوضع الخليط على حصير حتى اذا جف يتم تقطيعه واخيراً يتم بسطه على نوره ليكون جاهز بعد ذلك . ينظر: القاسمي ، محمد سعيد وخليل العظم ، قاموس الصناعات الشامية ، ط1 ، دار طلاس ، دمشق ، 1988م ، ص268.

[1] Richard, 'Agricultral conditions in the crusader state ' in setton ,history of the crusader , P43.

[2] النيلي : نبات " العظلم " يقال له الوسمة ، وهو ذو ساق وفيه صلابة وله شعب دقاق عليها ورق صغار من جانبين ، ولونه يميل الى الزرقة ، ويتخذ من هذا النبات النيل وهي صبغة زرقاء يتم فيها غسل ورقه بالماء الحار ، فيجلو ما عليه من زرقه ، ويبقى الورق اخضر ، ويترك ذلك الماء فيرسب النيل في اسفله كالطين فيصب عنه الماء ويجفف ، ويصبح نوعا من العجينة تقطع قطعا صغيرة ، وهو الشكل الذي يصل الى اوروبا ويعرفه الاوربيون حتى في العصور القديمة ومع انتعاش التجارة بعد الحروب الصليبية اصبحت هذه السلعة مرة اخرى مادة تجارية ينظر : ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت711هـ) ، لسان العرب ، ط3 ، دار صادر ، بيروت ، 1414هـ ، ج12 ، ص412؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج31 ، ص54 ؛ الصافي ، محمد حسين ، العلاقات التجارية بين الشرق والغرب عبر البحر الاحمر ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب / جامعة صنعاء ، 2008م ، ص99؛

Day, History of commerce,P81.

[3] Rey , Les colonis franques de syrie , P245-250

الحرير في عهد جستيان الاول(527-565م)[1] ، وكان مصدر الحرير الاول من جبال أسام في شمال الهند ومن بلاد البنغال ، لكن في شمال الصين تعلم الانسان اول مرة كيفية نسج الحرير ، وبقيت الصين تحتكر صناعة الحرير وتصدره لتجني الارباح الوفيرة من تجارته الى ان تعرفت الشعوب الاخرى على هذه المادة الثمينة ومنها بلاد الشام خاصة في سواحلها، إذ ساعد اعتدال المناخ فيها على زراعة شجرة التوت الصالح لتربية دودة القز المسؤولة عن انتاج خيوط الحرير فكانت تربى حول بيروت وطرابلس منذ نهاية القرن السادس للميلاد[2] ، فظهرت مصانع خاصة في انتاج هذه السلعة وبالأخص في مدينة صور وبيروت وطرابلس واستمر انتاجها ابان العهد الصليبي ولم تنقطع ، فقد وجد في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ما لايقل عن اربعة آلاف عامل يعملون في الحرير في طرابلس وحدها[3] ، وقد ذكر هذا العدد المقريزي[4] خلال حديثه حول تحرير طرابلس من السيطرة الصليبية فيقول : " ولأهلها سعادات جليلة منها أربعة آلاف نول قزازة" ، كما عرفت

---

[1] جستيان الاول : من اعظم الاباطرة الذين حكموا بيزنطة ، ولد في ساريديكا (مدينة صوفيا) ، وتولى العرش البيزنطي سنة 527م بعد وفاة خاله الذي لم يكن له عقب ، وكان عمره حينذاك خمس واربعون سنة ، تمكن من استعادة املاك الامبراطورية ، والقضاء على دويلات الجرمان، توفى عام 565م . ينظر: مؤنس ، الامبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الاسر البيزنطية ، ط1 ، عين للدراسات ، الاسكندرية ، 1427هـ/ 2007م ، ص157؛ مرسي الشيخ ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص42؛ ابراهيم ، ابراهيم خميس وحسن عبد الوهاب حسن ، معالم التاريخ البيزنطي ، دار المعرفة ، الاسكندرية ، 2003م ، ص103.

[2] رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ، ص410؛ كرد علي ، خطط الشام ، ج4 ، ص207؛ فرزات ، محمد فرات ، حوار الحضارات على طريق الحرير بين الصين والشام ، مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة دمشق ، العددان 39-40 ، 1991م ، ص98 .

[3] Conder, The latin kingdom of Jerusalem, P334 ؛ Archer and charles lethbridge , The crusades the story of the Latin kingdom of Jerusalem ,p299 .

[4] السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج2 ، ص212.

طرسوس القماش الحريري المزين بخيوط ذهبية واقبل الغرب في شراءه بكميات كبيرة ، فكان ذات قيمة عالية عندهم[1] ، والظاهر ان رغبة الاوربيين بهذه الصناعة لا يعود الى المادة الخام التي وجدت مثلها في بلدانهم لكن الى المهارة التقنية التي امتلكها الحرفيين في الشرق[2] ، والى جانب صناعة اقمشة الحرير وجدت صناعة الاقمشة القطنية في اسواق عكا والتي تميزت بارتفاع اسعارها نتيجة تكاليف نقلها الباهضة وجودتها ، وبالاضافة الى تلك الاقمشة هناك المنسوجات الصوفية والمصنوعة من وبر الجمال او الاغنام ، وكان الاوربيون يفضلون شرائها ؛ بسبب جودة اصباغها ودقة صنعها[3].

ومن الصناعات التي اشتهر بها الساحل الشامي ايضا الزجاج الذي نال شهرة كبيرة في البلدان ، فقد اعجب الجغرافيون العرب به ومدحوا فيه كثيراً ، ومن هؤلاء الجغرافيين الادريسي[4] الذي قال عن زجاج مدينة صور :" ولهذه المدينة ربض كبير ويعمل بها جيد الزجاج " ، وكذلك قال الحميري[5] مثل هذا الكلام خلال وصفه لمدينة صور:" ولها ربض كبير يعمل فيه جيد الزجاج والفخار" ، بل ويذهب بنيامين التطيلي[6] الى ابعد من ذلك ويؤكد على شهرته في العالم كله فيقول :" "الشهير في العالم" وهذا النص فيه دلالات اقتصادية كبيرة إذ اصبح الزجاج الصوري منتشراً في كل مكان من المشرق والمغرب، وهناك سببان لهذه الشهرة : اهمها جودة المواد

---

(1) Rey , Les colonis franques de syrie, 216.

وقد اطلق على الخيوط الذهبية تلك أسماء الذهب المغزول ، والفضة المغزولة ، اذ كانت هذه ببساطة خيوطا من الكتان محاط بغلاف رقيق للغاية من امعاء الخنازير او الخراف ، ومكسوة بطبقة من ذهب . ينظر: هايد ، تاريخ التجارة ، ج4 ، ص187.

(2) Day, History of commerce , p82.

(3) حسين ، فاطمة بكر ، الاسواق في عكا زمن الحروب الصليبية ، ط1 ، مركز جمعة للتراث دبي ، 1442هـ/ 2020م ، ص233.

(4) ينظر: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج1 ، ص365.

(5) الروض المعطار في خبر الاقطار ، ج1 ، ص369.

(6) رحلة بنيامين التطيلي ، ج1 ، ص238.

الاولية التي ينتجها البلد نفسه ، ثم مهارة الصناع وكلهم من اليهود[1] ، فذكر بنيامين التطيلي[2] بأنه شاهد في انطاكية خلال رحلته الى بلاد الشام سنة 561هـ/ 1165م عشرة يهود يصنعون فيها الزجاج ، واهم مراكز صناعة الزجاج في مدن الساحل الشامي ايضاً صور وطرابلس ، وقد بلغ بهذه السلعة من الشهرة الكبيرة حتى انها حازت اعجاب تجار البندقية الذين قاموا بنقلها إلى بلادهم[3] وقد برع صناعها في انتاج مصابيح ، واكواب ، واحواض زجاجية مزينة برسومات من الورد والحيوانات[4]. والحيوانات[4].

اما صناعة الحديد فقد اشتهرت به بيروت المعروفة بجودته ، وفي ذلك يقول الادريسي[5] :"طيب جيد القطع ويستخرج منه الكثير ويحمل إلى بلاد الشام" ، لكن تصدير الحديد الى اوروبا واجه صعوبة بالغة خلال فترة الحروب الصليبية ؛ ذلك لحاجة المؤسسات الصليبية للأسلحة ومواد البناء[6] ، كما انتشرت صناعة الخزف في الساحل الشامي فكانوا يصنعون منها اواني للشرب ، والدليل على ذلك عند زيارة ناصر خسرو[7] لمدينة قيسارية في رحلته الى الشام سنة 438هـ/ 1046م يقول بأنه بأنه وجد :" زير من الرخام يشبه الخزف الصيني وهو عميق بحيث يسع مائة من ماء بأن اهل المدينة يصنعون من الخزف اواني للشرب" ، كما وجدت هذه الصناعة

---

(1) Preston , Helen Gertrude , Rural condition in the kingdom of jerusalen during the twelfth and thirteenth centuries ,P25

؛ الشارتري ، تاريخ الحملة الى القدس ، ص235 ؛ هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص191.

(2) ينظر: رحلة بنيامين التطيلي ، ج1 ، ص230.

(3) الاسدي ، عقيل جبار ، عكا في ظل الحكم الصليبي ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب / جامعة البصرة ، 1431هـ/ 2010م ، ص94.

(4) Rey , Les colonis franques de syrie , P226.

(5) نزهة المشتاق في أختراق الآفاق ، ج1 ، ص371.

(6) Prawer , The latin kingdom of Jerusalem , p395.

(7) سفر نامة ، ج1 ، ص54.

في صور ويافا وبيروت حيث يصنعون منها الاواني المقدسة والهدايا التذكارية والصلبان والميداليات والشمعدانات والمزهريات والكتب المقدسة المغلفة بالعاج والمطعمة بالذهب او الخشب المنحوت ويتم بيعها للحجاج المسيحيين[1] ، كما وجدت في مدينة عكا صناعة الجلود المدبوغة لأنتاج الاحذية والحقائب وقد ورد ذكرها في قوانين بيت المقدس والقائمين عليها هم اليهود والايطاليين ، كما انتشرت صناعة المجوهرات من الذهب والفضة في المناطق الصليبية ، وكانت هذه السلع رائجة خلال هذا الوقت وهي خاصة للطبقة الغنية ، وقد تم استدعاء صاغة العرب لتصنيع مجوهرات لأسياد الفرنج[2].

من هنا يتبين بأن الصناعة شكلت ركناً اساسياً من اركان النظام الاقتصادي الصليبي في السواحل الشامي الى جانب الزراعة ، وكان لتوفر المادة الاولية في هذا الاقليم وغناه بالثروة الزراعية والارث الذي يمتلكه اهالي تلك البلاد من خلال اتصالهم بحضارات عدة نظراً لوقوعه على طرق التجارة له اثر كبير في نمو وتطور الصناعات فيها ، وعلى الرغم من الحروب الصليبية وتأثيراتها الّا ان القطاع الصناعي وبما عُرف عنه من المتانة والقوة استطاع ان يصمد ويقف امام عواصف التغيير السياسي وكان للصناع والحرفيين من المسلمين واليهود دورٌ كبير في ادامة الصناعات المهمة ولم ينقطع هذا الدور او يضعف طيلة الحروب الصليبية ، وذلك لخبرتهم والمهارة التي كانوا يمتلكونها .

---

(1) Rey , Les colonis franques de syrie , p214 ؛ Benvenisti, The crusaders in the holy land ,p387.

(2)Rey , Les colonis franques de syrie,P230

؛ حسين ، الاسواق في عكا ، ص251

المبحث الثاني: النشاط التجاري في سواحل بلاد الشام

اولاً: حركة التجارة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط عشية الحروب الصليبية

احدث الصليبيون ابان حروبهم في بلاد الشام انقلاباً شاملاً في التجارة العالمية ، فبإستيلائهم على الساحل الشامي استطاعوا ان يحدثوا تغييرات اقتصادية مما كان له أثر كبير في رسم صورة جديدة للواقع الاقتصادي خلال تلك الفترة ، ولعرض تلك المتغيرات وبيان اثرها كان علينا قبل اي شيء ان نعرج قليلا لمواكبة حركة التجارة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط في الفترة التي سبقت الحروب الصليبية ، فالناظر الى الخريطة الاقتصادية في ذلك الوقت ، يرى بان مراكز التجارة فيه قد توزعت بين قوتين رئيسيتين وهما الدولة البيزنطية والفاطمية ، إذ ادرك البيزنطيون عظم الخسارة التي لحقت بهم من جراء الفتح الاسلامي لبلاد الشام وما شكل ذلك من تهديد خطير لسيادتهم في حوض البحر المتوسط خاصة بعد تحوله الى بحيرة اسلامية ، وفي ذلك يقول ابن خلدون[1] : " كان المسلمون لعهدة الدولة الإسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه فلم يكن للأمم النصرانية قبل بأساطيلهم شيء من جوانبه وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم "

---

[1] ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ج1 ، ص315. ويدعي بيرين ان استيلاء المسلمين على البحر المتوسط سبب في غلق هذا البحر وتوقف نشاطه باسرع ما يكون خلال القرن 1هـ /7م . ينظر: تاريخ اوروبا في العصور الوسطى ، ص13 . ويخطأ آرشيبالد رأي بيرين هذا ، ويؤكد ان البيزنطيين لا العرب هم المسؤولين عن خراب الوضع الاقتصادي في البحر المتوسط ، ذلك ان بيزنطة استخدمت في حرب الحياة او الموت التي كانت بينها وبين الامويين جميع ما لديها من وسائل الحرب البحرية والاقتصادية لأحراز النصر في المدة بين 97-135هـ/715-752م . ينظر: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ص145. ويبدو ان الصراعات والحروب الاسلامية البيزنطية قد اثر سلبا على الاستقرار والملاحة في هذا البحر وعلى النشاط التجاري في هذا البحر .

لذا عملوا جاهدين بكل ما اتوا من قوة لإزاحة عدوهم عن الميدان واستعادة قوتهم التجارية ، وقد اتتهم الفرصة حينما هيأت الظروف السياسية لهم مع اعتلاء الاسرة المقدونية (253-449هـ/ 867-1057م)[1] العرش البيزنطي[2]، وقد ادرك قادة الدولة هناك انه لا يمكن ان تكون لهم الكلمة العليا في البحر من غير ان يتغلبوا على الجزر فيه ويعملوا على تخليصها من المسلمين ، فعملوا جاهدين على تحقيق هذا الهدف فتمكنوا من الاستيلاء على جزيرتي قبرص وكريت ، كما نجحوا في السيطرة على مدن طرطوس وحلب وانطاكية[3]، وبذلك رجعت الهيمنة البيزنطية الى سابق عهدها وعادت سيادتها على شرق البحر المتوسط واصبحت اسواق القسطنطينية زاخرة بأنواع من السلع المتأتية من مصر والشام والشرق الاقصى[4] ، فتأثرت تجارة السواحل الشامية البحرية سلباً بالاوضاع الجديدة ، إذ نجد ان البيزنطيين لا يتورعون عن مهاجمة مدنه وقرصنة بضائعه ونهب سكانها[5] ، لكن

---

[1] الاسرة المقدونية : ويمثل حكمها العصر الذهبي للدولة البيزنطية ابتدأت بحكم باسيل الاول(253-273هـ/ 867-886م) ، وانتهت بحكم ميخائيل السادس(448-449هـ/ 1056-1057م) ، احتلت بيزنطة في عهدها مكانة سامية بين الدول ومثلت قوة عظيمة في كل الجوانب الاقتصادية والعسكرية والحضارية . ينظر: مؤنس ، الامبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الاسر البيزنطية ، ط1 ، عين للدراسات ، الاسكندرية ، 1427هـ/ 2007م ، ص251؛ مرسي الشيخ ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص187.

[2] نسيم ، جوزيف ، العرب واللاتين والروم في الحرب الصليبية الاولى ، ط3 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981م ، ص272.

[3] وكان ذلك خلال حكم نقفور . راجع : ص34.

[4] العريني، الحضارة والنظم الاوربية في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1963م ، ص110 . وفي ضوء عودة السيادة البيزنطية البحرية يقول نقفور للسفير الايطالي لليو تويراند :" انا وحدي اسيطر على البحر" . ينظر: مؤنس ، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، الدار المصرية اللبنانية ، 1993م ، ص138.

[5] الحسني ، تاريخ سورية الاقتصادي ، ص85.

الحال لم يدم بدولة الروم طويلا ، إذ واجهت تحديا كبيرا آخر تمثل بقيام الدولة الفاطمية التي ضمت بلاد الشام اليها سنة 359هـ/968م ، ومن ثم تحكمها بطرق التجارة بين طرفي البحر شرقيه وغربيه[1].

وفي الوقت الذي تولى الفاطميون أمر مجابهة الروم والدفاع عن الثغور ، اصبح الاهتمام بالأساطيل والعناية بأمر الجهاد امرا ضروريا ، ويدل على ذلك ما اخبرنا به القلقلشندي[2] حينما قال :" وكانت اساطيلهم مرتبة بجميع بلادهم الساحلية كالإسكندرية ودمياط[3] من الديار المصرية، وعسقلان وعكّا وصور وغيرها من سواحل الشام، حين كانت بأيديهم، قبل أن يغلبهم عليها الفرنج " .

اتاحت السياسة البحرية للفاطميين تدعيم سيادتهم على الحوض الشرقي للبحر المتوسط بصورة كبيرة " فجرت السفن بالمتاجر ما بين شواطئ الشام ومصر ونشطت الموانئ والثغور نشاطا عظيما لم تبلغه في فترة ماضية ، فاتسعت انطاكية وطرابلس وعسقلان وتنيس اتساعاً عظيماً وعظمت تجارتها"[4] ، فاصبح هذا الامر واقع حال اجبر البيزنطينيين على مد يد الصداقة وعقد المعاهدات التجارية معهم وعلى اساس المصالح المتبادلة ، ومن اهم هذه المعاهدات تلك التي عقدت سنة 418هـ/ 1027م

---

[1] إذ استطاع الفاطميون ان يربطوا القوة البحرية الاسلامية في شرق المتوسط بالمحور البحري في وسطه ، وهو المحور المتكون من شمال أفريقية وصقلية. ينظر: آرشيبالد ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ص293.

[2] صبح الاعشى ، ج3 ، ص597.

[3] دمياط : مدينة بين تنّيس ومصر على زاوية بحر الروم والنيل . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص472.

[4] مؤنس ، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ص105.

في عهد الخليفة الفاطمي (الظاهر لإعزاز دين الله 411-427هـ/ 1020-1035م[1])[2].

استمر الاهتمام الفاطمي بالقوة البحرية ، وينقل ناصر خسرو[3] في رحلته الى الشام سنة 438هـ/ 1046م مشاهدته للسفن التجارية المرابطة في مدينة طرابلس الشامية بقوله :" وللسلطان بها سفن تسافر إلى بلاد الروم وصقلية والمغرب للتجارة" ، هذا وقد بلغ الاسطول الفاطمي من القوة مبلغا عظيما حتى تمكن سنة 486هـ/ 1093م من غزو الساحل البيزنطي نفسه ، إذ ذكر المقريزي[4] بأنه " وردت غزاة البحر بمائتي أسير وعشرين أسيرا طيف بهم البلد" .

استمرت الاحوال الاقتصادية على هذا المسار حتى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، حينما حدثت فيه كثير من المتغيرات السياسية والاقتصادية

---

[1] الظاهر لإعزاز دين الله : ابو الحسن علي الظاهر لأعزاز دين الله ، ولد 395هـ/1004م وملك مصر بعد ابيه الحاكم سنة 411هـ/ 1021م ، واتسعت دولته لتشمل الشام ومصر والمغرب ، توفي 427هـ/1035م . ينظر: تغرى بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج11 ، ص441.

[2] ومن اهم بنود هذه المعاهدة اقتسام مياه شرق البحر المتوسط مع البحرية المصرية القوية، وزيادة النشاط التجاري بين بيزنطة وموانئ الشام خاصة صور وعكا وموانئ مصر ، فكان الروم يبادلون بالاخشاب والفراء بضائع الشرق وتوابله وملح النطرون ، والقوافل تعبر الطريق البري عبر حلب وانطاكية . ينظر: آرشيبالد ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ص305 ؛ مصطفى، فلسطين ما بين العهدين الفاطمي والايوبي ، ص358. ويبدو ان الخليفة الفاطمي الظاهر اراد ان يبدأ صفحة جديدة في العلاقات مع بيزنطة بعد ان تعرضت الى الجمود في عهد الحاكم نتيجة تعرضه لأهل الذمة ومضايقته لهم وهدم كنيستهم "القيامة" ، الامر الذي استدعى امبراطور الروم لأن يمنع مواطنيه والتجار الى مصر والشام فبطلت بذلك التجارة. ينظر : الانطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ص324؛ ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج4 ، ص178.

[3] سفر نامة ، ج1 ، ص48.

[4] اتعاظ الحنفاء ، ج1 ، ص290.

، إذ تمكن النورمان عام 484هـ / 1091م من حصار جزيرة صقلية وانهاء حكم المسلمين عليها[1]، فنتج عن ذلك تدمير جزء كبير من القوة البحرية للمسلمين في البحر المتوسط ، كما كان لضعف الدولة الفاطمية وعجزها عن كبح مشاكلها اثر كبير في اخفاقها البحري ، فالاسطول الفاطمي الضخم الذي احضره الخليفة المعز الى مصر عام363هـ/ 973م تآكل واصبح ضعيفاً في القرن الحادي عشر لا يقدر على التجارة البحرية وعلى اثر ذلك حلت محله السفن التجارية الاوروبية ، فأخذت هذه السفن تسير بأمان بين شمال البحر المتوسط وجنوبه وشرقه وغربه[2] ، الامر الذي دعا الفاطميين الى الاعتماد في تجارتها الخارجية على المدن الايطالية التي اخذت تجارتها تنمو وتتطور في هذا البحر مستفيدةٍ من حالة التسامح الديني الذي امتاز به الخلفاء الفاطميون[3] .

اما بيزنطة فقد مرت هي الاخرى بحالة ضعف شديد خاصة بعد انتهاء حكم الاسرة المقدونية وابتداء فترة من الاضطرابات دامت خمسة وعشرين عاما (449-474هـ/1057-1081م) ، وكان لظهور السلاجقة واستيلائهم على آسيا الوسطى دورٌ كبير في انشغال قادتها عن تنظيم الجيش والاسطول فضعفت تجارة القسطنطينية ولم تعد البضائع تنقل الى طرابزيون[4] عبر آسيا الصغرى، وكل ذلك

---

[1] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص345 ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج33 ، ص16.

[2] آرشيبالد ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ص311؛ البراوي ، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، ص212. وللأطلاع على الملاحة في البحر المتوسط في العصور الوسطى ينظر: خريطة رقم (5) ص236.

[3] نوار ، صلاح الدين محمد ، العدوان الصليبي على العالم الاسلامي اضواء جديدة على الحروب الصليبية ، ط1 ، دار الدعوة ، الاسكندرية ، ص242.

[4] طرابزون : احد ممالك الروم ، وملكها يسمى " التكفور" . ينظر: مسالك الابصار في ممالك الامصار ، ج3 ، ص394-395.

ادى الى تحطيم احتكار القسطنطينية لتجارة الشرق[1].

جاءت الحروب الصليبية عام 491هـ/ 1097م وازدادت المطامع الغربية في تجارة الشرق، واضحت سواحل بلاد الشام هدفاً لجميع الدول الغربية الطامعة في الحصول على مراكز تجارية ومصانع في المدن الرئيسة في بلاد الشام[2] ، فوجدت المدن الايطالية في تلك الحروب فرصة كبيرة لاستغلال قوتها البحرية كأداة للمساومة للحصول على ما تريده من القوى الصليبية ، وتمكنت بفضل اساطيلها في ان يحرز الصليبيون التفوق على القوى الاسلامية، ولم تكن الاسهام لوجه الدين ونصرة العقيدة وإنما جرياً وراء المصالح الاقتصادية ، فجعلوا انفسهم اداة فعالة بيد امراء الفرنج لتمكينهم من المسلمين والسيطرة على ارضهم بالقوة ، وتمكنوا بفضل الامتيازات التي منحها لهم الملوك من ان يقيموا مستعمرات تجارية في اغلب السواحل الشامية حتى قيل ان الاستعمار والتجارة شديد الارتباط بالحروب الصليبية ، مما احدث ثورة في اقتصاد تجارة البحر المتوسط واخذت هذه المنطقة تتبوء مركزاً عالياً في التجارة العالمية[3].

---

[1] رانيسمان ، الحضارة البيزنطية ، ص200-201؛ زكار ، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج3 ، ص237 ؛ زيتون ، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب ، ص129.

[2] Depping , Histoire Du commerce Le levant et Europe , p82.

[3] باركر ، الحروب الصليبية ، ص146؛ براور ، الاستيطان الصليبي ، ص472؛
Lammens , La Syrie précis historique ,p235.

ثانياً : انتقال السيادة التجارية الى الصليبيين

تمتعت بلاد الشام منذ القدم بشبكة واسعة من الطرق البرية والممتدة من اقصى الشرق الى الغرب ، وكانت هذه الطرق تنتهي عند موانئ الساحل الشامي ، إذ القوافل تلقي احمالها من بضائع بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس والهند والصين ، وتعود محملة بما جاءت اليه السفن من منتجات الغرب[1] ، وقد تركت تضاريس الساحل الشامي منذ اقدم العصور اثرها الكبير على اهمية الطرق فيه ، مما ادى الى ان يصبح من اكثر المنافذ البحرية ازدحاما لحركة البضائع التجارية ، فطرقه البرية المؤدية اليه مستقيمة وقصيرة وخالية من التعرجات ، وكذلك كان الحال بالنسبة الى طرقه البحرية والممتدة الى اوروبا والمتميزة هي الاخرى بسهولتها ويسرها نتيجة وفرة الموانئ الطبيعية فيها[2] ، ومن اهم هذه الطرق واشهرها هي:

1- طريق وسط آسيا : ويبدأ هذا الطريق البري من وسط آسيا ومن الهند حتى بخارى ، ومن بخارى يتفرع فرعين الاول : الى قزوين ، والثاني : الى البحر الاسود وموانيه ثم القسطنطينية واوروبا ، وتخرج منه فروع جانبية الى حلب وساحل البحر المتوسط[3].

2- طريق الصين – الهند – الخليج الفارسي وهذا الطريق يتجه بفروعه النهرية او البرية من البصرة الى بغداد ، ومن بغداد شقت القوافل طريقها عبر نهري دجلة والفرات الى شقين الاول : يتجه شمالا نحو ديار بكر والثاني يتجه غرباً الى دمشق ومنها يتفرع الى فرعين ، الاول الى الثغور والموانئ على الشاطئ الشرقي للبحر

---

[1] هايد ، تاريخ التجارة في الشرق الادنى ، ج1، ص191؛

Thompson, Economic and social history of the middle ages, v1, 404 .

[2] عبد الملك ، عبد المجيد ، ساحل بلاد الشام والصراعات الدولية ، ط2 ، بيسان ، 2002م ، ص22.

[3] فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، ص154 .

المتوسط والثاني الى مصر[1] وهذا الطريق يسمى بطريق الحرير ويحمل الحرير والحجارة الكريمة من الياقوت والعقيق والفراء الذي يجلب من مجاهل سيبريا[2].

3- طريق الشام – مصر : يبدأ من دمشق الى طبرية ، ومن طبرية الى اللجون[3] ثم الى الرملة ، ومن الرملة الى غزة ثم الى رفح ومن رفح الى العريش[4] ، ثم الى الفرما[5] ، ومن الفرما الى مدينة بلبيس[6] ، ثم الى الفسطاط مدينة مصر[7] ، وهذا

---

[1] هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص179-180؛

Conder , The latin kingdom of Jerusalem , p212

؛ الخادم ، سمير علي ، الشرق الاسلامي والغرب المسيحي عبر العلاقات بين المدن الايطالية وشرقي البحر المتوسط في المدة 1450-1517م ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى الجامعة اللبنانية ، 1988م ، ص37 ؛ فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، ص118.

[2] حميدة ، عبد الرحمن ، طريق الحرير بين ابن بطوطة وماركو بولو ، مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة دمشق ، العدد 39-40 ، ص83. ولتوضيح الصورة اكثر ينظر: خريطة رقم (6) ص237.

[3] اللجون : وهو بلد بالأردن، وبينه وبين طبرية عشرون ميلا . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص13.

[4] العريش : مدينة العريش مدينة جليلة وهي كانت حرس مصر أيام فرعون، وهي آخر مدينة تتصل بالشام من أعمال مصر. ينظر:العزيزي ، المسالك والممالك ، ج1 ، ص35.

[5] الفرما: مدينة على الساحل من ناحية مصر ، وهي قصبة الجفار على فرسخ من البحر. ينظر: المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ج1 ، ص195 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص255.

[6] بلبيس : مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام وهي قصبة الحوف كبيرة . ينظر: المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ج1، ص195 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص479.

[7] ينظر: الاصطخري ، المسالك والممالك ، ج1 ، ص80؛ المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص418-419.

الطريق سمي باسماء عدة اشهرها هو طريق "القوافل"[1] ، وطريق "النواقير"[2] .

4- طريق القسطنطينية – انطاكية : وهو طريق بري يبدأ باختراق جبال طوروس خلال الدرب الكبير المعروف بابواب قليقية ثم يجتاز سلسلة جبال امانوس الى انطاكية ومنها الى الساحل الشامي عن طريق الدرب المعروف بإسم " ابواب الشام"[3] .

عند قيام الحروب الصليبية لم تؤد هذه الطرق وظيفتها بصورة طبيعية ، فأنه باستيلاء الفرنج عام 492هـ/ 1099م على انطاكية وتكوينهم اول امارة بها دانت لهم الطرق التجارية التي تربط هذه المدينة بغيرها من المدن ومنها حلب ومرعش اضافة الى اللاذقية والسويدية[4] ، كما نتج عن سقوط القدس وتكوينهم الحكومة اللاتينية فيها ان انقطعت الطرق المؤدية الى الموانئ الشامية وتوقف سير القوافل التجارية ، فالمعروف ان القوافل المتجهة من اليمن ومصر الى دمشق تمر عبر اراضي المملكة الصليبية[5] ، وكل ذلك له اثر كبير في تحويل طرق التجارة وانحرافها عن مسارها الطبيعي ، ففضل التجار ارتياد طريق مصر في عملياتهم

---

[1] كرد علي ، خطط الشام ، ج4 ، ص241 ؛ الحويري ، الاوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، دار المعارف ، القاهرة ، 1979م ص123.

[2] ويقول ياقوت الحموي بأن سبب تسميته " النواقير " تعود الى أن الإسكندر أراد السير على طريق الساحل إلى مصر أو من مصر إلى العراق فقيل له إن هذا الجبل محيل بينك وبين الساحل فتحتاج أن تدوره، فأمر بنقر ذلك الجبل وإصلاح الطريق فيه فلذلك سمّي بالنواقير. ينظر: معجم البلدان ، ج5 ، ص306.

[3] الحويري ، الاوضاع الحضارية في بلاد الشام ، ص123- 124 ؛ احمد ، الساحل الشامي في القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري ، ص187.

[4] البنا ، عبد الحافظ عبد الخالق ، اسواق الشام في عصر الحروب الصليبية ، ط1 ، عين للدراسات ، الاسكندرية ، 1427هـ / 2007 ، ص51؛ علي ، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين ، ص14.

[5] Rey , Colonies franques de syrie , p202؛ Benvenisti , The crusaders in the holy land , p79.

التجارية ، فبدلاً من تسويق بضائعهم الى الموانئ الساحلية توجهوا الى الموانئ المصرية ، فكانت طرق القوافل الكبرى تنطلق من حلب الى بغداد ، ومن دمشق الى القاهرة من غير ان تمر بالسواحل الشامية ، الامر الذي عاد بالخير الوفير على دولة مصر[1]، لكن حالة العداء مع تلك الدولة حتم على الصليبيين اتخاذ استراتيجية جديدة تقوم على قطع طرق المواصلات البرية والبحرية بين البلدين ، واضعاف مصر اقتصادياً وذلك ببناء الحصون والتحكم بحركة التجارة وعرقلة سير القوافل بين مصر والشام ، فقام بلدوين الاول (494-511هـ/ 1100-1117م) بالسيطرة على وادي عربة جنوب البحر الميت، كما نجح في مهاجمة حصن الشوبك[2] والسيطرة عليه عام 509هـ/ 1115م ، وبنى ايضاً حصناً في أيلة عام 510هـ/ 1116م[3]، وبمرور الوقت اصبح حصن الشوبك مصدر خطر على المسلمين وتضررت منه القوافل التجارية ، فموقعه على الشاطئ الشرقي للبحر الميت جعله مفتاح جميع الطرق التجارية التي تسلكه القوافل التجارية والمتجهة من مصر الى بلاد الشام والجزيرة العربية[4] ، وكان صاحبه ارناط الذي يصفه ابن الاثير[5] بقوله :" من اعظم الفرنج واخبثهم ، وأشدهم عداوة للمسلمين" ، قد اتخذ منه قاعدة لمهاجمة بلاد المسلمين ونهب القوافل التجارية ، فكانت هذه القوافل لا يمكنها الخروج إلا بحراسة العسكر ، ولم تحد الاتفاقيات والهدن التي كانت بينه وبين المسلمين اعماله العدوانية فكانت ذلك سبباً من اسباب معركة حطين سنة 583هـ/ 1187م[6].

---

[1] كاهن ، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ص141 ؛ بولس ، جواد ، لبنان والبلدان المجاورة ، ط2 ، مؤسسة بدران ، بيروت ، ص334.

[2] الشوبك: القلعة حصينة في أطراف الشام بين عمّان وأيلة والقلزم قرب الكرك . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص370.

[3] عاشور ، الحركة الصليبية ، ج1 ، ص327.

[4] Rey, Colonies franques de syrie ,p21.

[5] الكامل في التاريخ ، ج10، ص20.

[6] نوري ، سياسة صلاح الدين الايوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة ، ص279 ؛ فينر ، القلاع ايام الحروب الصليبية ، ص55.

ادرك الفرنج اهمية التجارة في توفير مصادر مالية يعتمدون عليها في تموين عملياتهم العسكرية ضد المسلمين عبر دعم وتنمية اقتصاد بلادهم من خلال استئناف تجارة الترانزيت[1] المعطلة ، فهم يدركون انهم يسيطرون على اعظم طرق التجارة العالمية التي تربط الشرق بالغرب[2]، ولأجل تحقيق هذا الامر وبعد فشل محاولات ملوكهم في الاستيلاء على اراض جديدة في الظهير الشامي والتي فيها من الخيرات ما تملا خزائن الامراء ومنها حلب ودمشق[3]، قرر الفرنج الاذن للقوافل المتجهة من مصر الى دمشق والى المدن المسلمة في شمال سورية بعبور مقاطعات الفرنجة وحمايتها مقابل رسوما محددة ، ولضمان سير هذه القوافل وحراستها بصورة مشددة تم احياء الطرق القديمة وتقسيمها الى طرق ملكية Via Regales التي حلت محل الطرق الرومانية[4] ، وطرق عامة Via Magnae وهي طرق ثانوية تمتد ما بين القرى ، وذكر ابن جبير[5] هذه الطرق وبين اوصافها ومنها طريق دمشق –عكا عبر بانياس وتبنين وهو كما يصفه طريق وعر يسلكه التجار عبر البغال ويمرون من خلاله عبر وادي عميق ملتف الشجر ، فيقول فيه :" ولو ولجته العساكر لغابت فيه" ، وعلى العكس منه طريق آخر يمر من دمشق الى صور عبر طبرية وهو طريق سهل لمسير القوافل التجارية ، وتميزت هذه الطرق بأنها تكون محمية من قبل

---

[1] تجارة الترانزيت : وهي مورد من موارد التجارة تحصل عليها الدولة صاحبة الارض التي تمر فيها القوافل التجارية ، مقابل تسهيلات واجراءات لحماية تلك القوافل. ينظر: علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط4 ، دار الساقي ، 1422هـ / 2001م ، ج5 ، ص20.

[2] رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ، ص407.

[3] براور ، الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص467.

[4] انشأت الامبراطورية الرومانية وبما عرف بالامن الروماني هذه الطرق لتصل سواحل الشام بكامل ارضها. ينظر: عبد الملك ، ساحل بلاد الشام والصراعات الدولية ، ص54.

[5] رحلة ابن جبير ، ج1 ، ص274 –282.

الاقطاعيين الذين يتولون حراستها[1] .

ولغرض الاستفادة القصوى من الاموال المتأتية من الضرائب المفروضة على القوافل ، جعل الصليبيون على مداخل المدن بوابات تقع فيها مباني الجمارك يتم فيها فرض الضرائب ، وهذه البوابات خاضعة لأشراف دقيق وكثيرا ما توكل ادارتها الى هيئة تتمتع بسلطة قوية كما هو الحال حينما تولى فرسان المعبد ادارة احدى بوابات اسوار صور وبيروت وطرابلس وعسقلان عام 1196م / 593هـ[2] ، وفي مدينة عكا وفي موضع يُقال له تبنين[3] فرضت السلطات الصليبية ضرائب على القوافل التجارية وهو ما يعرف " بتمكيس القوافل" ، ومقدار هذه الضريبة على كل شخص دينار صوري[4] وقيراط واحد[5] ، ذكر ذلك ابن جبير[6]خلال دخول قافلته هذه المدينة سنة 578هـ/1182م إذ يقول :" ومكس الناس تمكيسا غير مستقصى والضريبة فيه دينار وقيراط من الدنانير الصورية على الراس ولا اعتراض على التجار فيه"

---

[1]Rey , Colonies franques de syrie , p253.

ولتوضيح الطرق التجارية التي تربط عكا بالمدن الاخرى بصورة ادق : ينظر: خريطة رقم (7) ص238.

[4]Smith ,Government in latin Syria and the commercial trivileges of foreign merchant in Relations between East and West in the middle age edinburge , 1973, London ,p114.

[3] تبنين : بلدة في جبال بني عامر المطلّة على بلد بانياس بين دمشق وصور.ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص14.

[4] الدينار الصوري ، عملة صليبية تم سكها في مدينة صور . النبراوي ، النقود الصليبية في الشام ومصر، ص25 .

[5] القيراط يساوي1/ 24 مثقال او1/ 16 من الدرهم . ينظر: هنتس ، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ص23.

[6] رحلة ابن جبير ، ج1 ، ص274.

والى جانب مباني الجمارك كان هناك " ديوان" او " خان" يريح التجار اثقالهم فيه مقابل اجر معين ، وفيه موظفين عديدون منهم الكتاب ورئيسهم صاحب الديوان ، وينقل ابن جبير[1] صورة هذا الديوان بقوله :" وحملنا الى الديوان، وهو خان معد لنزول القافلة، وأمام بابه مصاطب مفروشة فيها كتاب الديوان من النصارى بمحابر الآبنوس المذهبة الحلى، وهم يكتبون بالعربية ويتكلمون بها، ورئيسهم صاحب الديوان والضامن له يعرف بالصاحب، لقب وقع عليه لمكانه من الخطة، وهم يعرفون به كل محتشم متعين عندهم من غير الجند. وكل ما يجبى عندهم راجع الى الضمان، وضمان هذا الديوان بمال عظيم. فأنزل التجار رحالهم به ونزلوا في أعلاه، وطلب رحل من لا سلعة له لئلا يحتوي على سلعة مخبوءة فيه وأطلق سبيله فنزل حيث شاء".

ولا شك في ان اتساع حجم التجارة واستمرار توافد القوافل من الشرق الى السواحل الشامية عبر هذه الطرق يفسر لنا مدى حرص الصليبيين للحفاظ على دوام هذه التجارة ، ويتبين لنا من خلال روايات ابن جبير ان الفرنج يهيئون السبل الكفيلة لدوام سير القوافل وتخصيص اماكن مجهزة بكل ما من شانه ان يريح التاجر المسافر لكن كل ذلك مقابل رسوم مالية ، ونستطيع كذلك ان نقول بأن الغربيين تحكموا بتجارة الشرق وقوافلها اكثر من اي وقت ولخوف التجار من ان تتعرض تجارتهم الى البوار كانوا يوافقون صاغرين بكل ما تفرض عليهم من شروط عدة.

وبمرور الوقت ونتيجة لتراكم الخبرات استطاع الايطاليون ان يقضوا على دور المسلمين كوسطاء للتجارة ، فبحثاً عن الارباح ذهب التجار الغربيون بانفسهم الى المدن الاسلامية الكبرى مثل دمشق وحلب وحمص او حتى الرقة للبحث عن البضائع القادمة من داخل آسيا لغرض تسويقها ، او ينوبون عنهم وكلاء يأتون بتجارة دمياط وآسيا الصغرى والاسكندرية[2] ، والحال ينطبق على التجارة البحرية

---

[1] رحلة ابن جبير ، ج1 ، ص275-276.

[2] Rey , Colonies franques de syrie,p190

هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص325 .

الى اوروبا ، فبعد ان كان روادها في السابق هم اليهود والشاميين اصبحوا في هذا الوقت الغربيين ، وكان اليهود الذين اسماهم ابن خرداذبة[1] "الراذانية " يسلكون في تجارتهم بين المشرق والمغرب عبر طرقٍ معروفة ، فيتخذون من الفرما منطلقاً لهم في عبورهم عبر البحر المتوسط الى اوروبا ويعودون الى بلاد الشام عبر انطاكية ، وهذا واضحاً من خلال قول هذا الجغرافي :" انهم يسافرون من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق برّا وبحرا يجلبون من المغرب الخدم والجوارى والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمّور والسيوف ويركبون من فنحة فى الجر الغربىّ فيخرجون بالفرما ويحملون تجارتهم على الظهر الى القلزم وبينهما خمسة وعشرون فرسخا ثم يركبون الجر الشرقى من القلزم الى الجار وجدة ثم يمضون الى السند والهند والصين فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدارصينى" ، ولم تكن هناك طرق مباشرة تربط بين الطرف الشرقي للبحر المتوسط وغربه ، مما يتوجب على السفن التي تخرج من الساحل او من اوروبا ان تمر بمراكز وجزر عدة ومنها كريت ورودس[2] وقبرص[3] ، واضافة الى هؤلاء اليهود كان التجار الشاميون يصلون بتجارتهم الى اوروبا ويقوموا بعرض بضاعتهم من الاقطان والتوابل والعطور والاحجار الكريمة والصلبان في المقابل يشترون المعادن والفراء والعبيد واخذوا يزودون الكاتدرائيات بالادوات المعدنية والاقمشة ، لكن هذا كله لم يعد ممكناً خلال الحروب الصليبية التي انهت دور هؤلاء وحل محلهم الايطاليون الذين اصبحوا سادة الحركة التجارية في حوض البحر المتوسط كله[4] .

---

[1] أبو القاسم عبيد الله(280هـ) ، المسالك والممالك ، دار صادر ، بيروت ، 1889م ، ج1 ، ص153.

[2] رودس : جزيرة ببلاد الروم ، مقابل الإسكندرية على ليلة منها في البحر. ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص78.

[3] فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، ص188.

[4]Heaton , Herbert , Economic history of Europe , London , P75-81.

؛ ماير ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص317 ؛

ثالثاً : ازدهار الموانئ الساحلية لبلاد الشام

تعد موانئ سواحل بلاد الشام منذ القدم منافذ مهمة للتجارة العالمية ، إذ ان وقوعها على ساحل البحر المتوسط جعلها مراكز لتبادل منتجات الشرق والغرب على حدا سواء ، وهذا ما انعكس ايجاباً على احوال بلاد الشام الاقتصادية ، وشهدت هذه الموانئ أبان الحروب الصليبية حركة تجارية كبيرة ترتب عليها حدوث متغيرات اقتصادية قادرة على استيعاب تلك المرحلة ، ومن اهم تلك الموانئ:

ميناء عكا ، فهو من اكثر موانئ الساحل ازدحاما بحركة الاعمال ، وهو مفتوح في جميع فصول السنة وفي الاوقات كلها[1] ، مثّل هذا الميناء نقطة بالغة بالنسبة لحركة الصادرات والواردات في مملكة بيت المقدس الصليبية ، إذ كان يستقبل السلع التجارية التي احتاجها الصليبيون انفسهم والتي تم استيرادها من افريقيا واوربا ، اضافة الى الصادرات التي تخرج من بلاد الشام الى مناطق استهلاكها في حوض البحر المتوسط ، وهذا ما انعكس على تطور حركة التجارة في عكا ، فكانت يأتي اليها جميع تجارات الدنيا اليها وسكنها اغنى التجار خلال الحروب الصليبية[2]،حتى قال عنها ابن شداد[3] : بأنها " كانت مظنة التجار" فاصبح هذا الميناء في القرن

Clive, History of commerce , London ,1914 ,p84 Day,

Lopez ,Ropert ,The commercial revolution of the middle ages ,press of ؛ the university of Cambridge ,1976 ,P60

؛ Rey , Colonies franques de syrie,p189 -193.

[1] بالار ، الحملات الصليبية والشرق ، ص177.

[2] سوخم ، لودولف فون ، وصف الارض المقدسة من خلال الموسوعة الشامية لسهيل زكار ، ج37 ، ص305 ؛ مؤنس ، الرحالة الاوروبيون في مملكة بيت المقدس ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1992م ، ص110.

[3] النوادر السلطانية ، ج1 ، ص129.

القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي مركز تجاري كبير ينافس القسطنطينية والاسكندرية[1].

ميناء صور ، يقول عنه هايد[2] عند وصفه لمدينته :" مستودع فسيح تتيح للسفن الوطنية والاجنبية ومأوى أمينا بنوع خاص بفضل ميناؤها المزدوج وحصونها المنيعة" ، وتمتعت السفن التي ترتاد هذا الميناء بأمان ومنعة كبيرة ويعزو بنيامين التطيلي[3] الامان الذي يتمتع به ميناؤها الى وجود " سلسلة عظيمة معترضة، عليها الحراس الأمناء، يربطونها في أول الليل فيتعذر على سفن القرصان سبيل الدخول للسلب والنهب من البر أو من البحر"، كما ان فيها مرسى صالح للسفن يصل بين الجزيرة والبر ، يتميز بكونه آمن من الامواج التي تنكسر عند اصطدامها بساحل الجزيرة الخارجي[4] ، ويقارن ابن جبير[5] بين ميناءها وميناء عكا ويفضله عليها فيقول :" فشأن هذه الميناء شأن عجيب في حسن الوضع ولعكا مثلها في الوضع والصفة لكنها لا تحمل السفن الكبار حمل تلك وإنما ترسى خارجها والمراكب الصغار تدخل إليها فالصورية أكمل وأجمل وأحفل" ، وصفات هذا الميناء جعل هذه المدينة موطناً لكثير من التجار الذين يجنون من خلال رحلاتهم المستمرة الى معظم البلاد المطلة على البحر الابيض المتوسط كميات هائلة من السلع الاجنبية التي زادت في موارد المدينة المالية[6] .

---

[1] Smth,The feudal nobility and the kingdom of Jerusalem 1174-1277 , p64.

[2] تاريخ التجارة ، ج1 ، ص186.

[3] رحلة بنيامين التطيلي ، ج1 ، ص238.

[4] الصوري ، الحروب الصليبية ، ج3 ، ص26.

[5] رحلة ابن جبير ، ج1 ، ص278.

[6] الصوري ، الحروب الصليبية ، ج3 ، ص27.

ميناء بيروت ، يصل دمشق بالبحر المتوسط ، وميزته ان مياهه هادئة جعل اغلب السفن تلجأ اليه في معظم ايام السنة[1] ، وصف هذا الميناء أحد الرحالة الاوربيين عندما مر به عام 573هـ/ 1177م بقوله :" لم تر عيني ميناء افضل من ميناء هذه المدينة من جهة متانة بنائه ومن صناعته ، وعمق مياهه ، وازدحام سفنه"[2] ، وهذا ما جعله ملتقى التجار الايطاليين الذي يقومون بتوزيع السلع التجارية الى الاسواق العالمية[3].

طرابلس ويأتي ميناؤها في الاهمية بعد ميناء بيروت وهو مخرج تجارة حلب ، فيلتقي فيه التجار الاجانب من بلدان مختلفة خاصة من آسيا وأوروبا مع التجار المحليين من حمص وحلب ودمشق[4] ، ويعد هذا الميناء من اكثر الموانئ امانا على الساحل السوري ، وهذا ما انعكس على رفاهية وغنى المدينة والتي عدت من اغنى مدن الشام فاصبحت في القرن 7هـ / 13م مركزا تجاريا كبيرا [5].

ويعد ميناء **اللاذقية** من احسن موانئ سورية الشمالية واجملها ، كما انه يتمتع بدرجة عالية من الحصانة ، والملاحة فيه صالحة تناسب وجميع الاحوال المناخية ، ما يجعله مفتوحا لكل السفن[6] ، يقول عنه الانصاري الدمشقي[7] :"والميناء الذي

---

(1) فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، ص148.

(2) السرحان ، بيروت تحت الحكم الصليبي وعلاقتها بالمسلمين ، ص304.

(3) مؤنس ، الرحالة الاوربيون في مملكة بيت المقدس ، ص110.

(4) فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، ص151.

(5) Conder , The latin kingdom of Jerusalem ,P86

؛ Archer and charles lethbridge, The Crusader, the story of the latin kingdom of jerusaleam , P 115.

(6) رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ، ص414؛ هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص181

(7) شمس الدين ابي عبد الله (ت727هـ) ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، الاكاديمية الامبراطورية ، كوبنهاكن ، 1281هـ ، ص209.

باللاذقية من اعجب الموانئ في البحر واوسعها" ، وأدى ميناء **جبلة** دورا كبيرا في التجارة الداخلية ابان الحروب الصليبية ، إذ كان يتلقى جزءاً من البضائع الواردة من الفرات اليه ، ولأهمية هذا الميناء اتخذه الجنويون موطناً دائماً لهم ومقراً لأداء اعمالهم[1] .

اما ميناء **السويدية** فيعد السلم البحري لمدينة انطاكية، استفاد الصليبيون منه كثيرا خاصة في الحملة الصليبية الاولى ، فعن طريقه تم ايصال المساعدات البحرية اليهم من الغرب والمتضمنة الرجال والسلاح والمؤن[2] ، كما كانت مراكباتهم ترسو فيه فتقوم الدواب برفع امتعتهم الى انطاكية[3] ، وانفرد ميناء **جبيل** بتصدير الاخشاب اللازمة لبناء القصور والدور والتي استفاد الفرنج منه ايضاً خلال حروبهم مع المسلمين في بناء القلاع والحصون[4].

ويعد ميناء **عسقلان** احد الموانئ القريبة من مصر ، كان يؤمه عدد غفير من التجار وذلك لقربه من حدود مصر مما جعله وسيطا بينها وبين بلاد الشام ، لكن خطر التيارات والرياح العاتية والشاطئ الرملي المنخفض جعل هذا الميناء لا يتطور ابداً الى ميناء عظيم ، ومع ذلك استمر النشاط البحري فيه ، فموقعه على طريق القوافل الى مصر زاد من ثروته التجارية[5] ، وأخيراً لم ننس ان نذكر **ميناء يافا** وهو وهو اول ميناء تجاري وعسكري اتخذه الصليبيين لنقل الامدادات والاسلحة والبضائع لجيوشهم خلال حروبهم مع المسلمين[6].

---

[1] هايد ، تاريخ التجارة ، ج1، ص182.

[2] رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ص414 ؛ عطية، امارة انطاكية الصليبية ، ص108.

[3] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص268.

[4]عامر ، الصليبيون في فلسطين ، ص9.

[5] التطيلي ، رحلة بنيامين ، ج1 ، ص262؛ وينظر: هايد، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص187؛ الصوري ، الحروب الصليبية ، ج2 ، ص351 ؛

Benvenisti , The crusaders in the holyand , P114.

[6]Depping , Histoire Du commerce Le levant et Europe ,p89.

ولأهمية هذه الموانئ بالنسبة الى الصليبيين من حيث انها تدر عليهم ارباح طائلة فأنهم نجحوا في ادارتها بالشكل الذي يتيح لهم الاشراف الكامل على جميع الفعاليات الاقتصادية فيه ، فعند اكتمال تفريغ الشحنات تقوم سلطات الميناء بفحص السلع ومعرفة اثمانها وتقدير نسبة الرسوم عليها وذلك بواسطة موظفون مختصون في سلطة الجمارك ، يفرضون الضرائب وتحسب على اساس نوع البضاعة ، وأماكن جلبها ، وكذلك جنسية سفينة التاجر ، والتي تقدر من 2% الى15% من ثمن البضاعة[1] ، وحسب توصيات محكمة السلسلة "Cour de chaine" تفرض على البضائع ضرائب عدة ومنها ضريبة الوارد وتقدر بثلث قيمة المتاجر ، وضريبة الرسو او الوصول وبما يعادل قطعة واحدة من (المارك الفضي[2])[3] ، وكانت لهذه المحكمة الموازين والمكاييل والمقاييس الخاصة في تقدير الرسوم الجمركية ، كما ان هذه الرسوم لم تقتصر على الواردات وإنما شملت الصادرات ايضا وعلى عكس ضرائب الدخول تم تقديرها وفقاً للكمية وليس حسب القيمة[4] ، وهناك ضرائب اخرى اخرى ومنها ضريبة "المزاد" على السلعة ومقدارها 25,0 من قيمة السلعة ، وضريبة

---

[1] براور ، الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص482-483 ؛ رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج2 ، 351؛ الطحاوي ، الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام ، ص135 ؛
Prawer , Crusader insitutions , oxford university press , New york ,1980, p166.

[2] المارك الفضي : عملة جرى التعامل بها في المانيا بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ، وتقدر ب218 غم من الفضة . ينظر : بيرين ، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى ، ص109.

[3]Prawer,Crusader, insitutions ,p36 ؛
هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص342 ؛ النقاش ، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية ، ص158- 159.

[4]Smth, Government in latin Syria and the commercial trivileges of foreign merchant ,p113.

تقدم الى المترجمين والسماسرة في الميناء او في الاسواق وقيمتها 25,0 ايضا[1] ، ولو تتبعنا تاريخ هذه الرسوم في العهود الماضية يتبين لنا بأن هذا الامر ليس بالشيء الجديد في الموانئ الشامية لكن الاختلاف وجد في تقدير قيمتها ، ففي العهد الاسلامي كانت هناك رسوم يطلق عليها "المكوس" تفرض على حمولات السفن حال دخولها الميناء بلغت نسبتها عشر من ثمن السلعة، واغلب هذه الرسوم تذهب الى السلطان او الاقطاعي ، فيقول ناصر خسرو[2] عند دخوله ميناء طرابلس سنة438هـ/ 1046م :" وتحصل المكوس بهذه المدينة فتدفع السفن الآتية من بلاد الروم والفرنج والأندلس والمغرب العشر للسلطان " .

لقد فرضت المملكة الصليبية قيوداً جديدة على التاجر الاوروبي ومنعته من انزال البضائع في احد الموانئ الشامية ونقلها براً الى آخر ، فمثلاً إذا جاءت سفينة من البندقية وتوجهت الى صور ، ورغب التجار في بيع بضائعهم براً الى عكا كان عليهم ان يدفعوا ضرائب 9% من قيمة السلع شريطة ان لا تكون سفنهم محطمة [3].

لم يكن النظام الضريبي هذا خاص بالمملكة الصليبية وحدها وإنما شمل أيضاً اراضي المسلميين والتي تجري فيها المعاملة بالمثل ، وفي ذلك يقول ابن جبير[4] :" وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم، وهي من الامنة على غاية. وتجار النصارى أيضا يؤدون في بلاد المسلمين على سلعهم، والاتفاق بينهم والاعتدال في جميع الأحوال" ، وكانت نسبة الضرائب المفروضة على بضائع التجارالغربيين الواردين على البلاد الاسلامية هي الخمس المستخرج من قيمتها وذلك

---

[1] حسين ، الاسواق في عكا ، ص323.

[2] سفر نامة ، ج1 ، ص48.

[3]Smith, The Government in Latin Syria and the commercial Privileges of foreign merchants , p120.

[4] رحلة ابن جبير ، ج1 ، ص235.

حسب قول الوزير الايوبي بن مماتي[1].

اما الامتيازات الممنوحة للايطاليين من ناحية الرسوم الجمركية فقد اختلف المؤرخون في مقاديرها الممنوحة لهم ، فالمؤرخ ماير[2] يؤكد بأنهم يتمتعون بحق الاعفاء من الرسوم الجمركية في جميع ارجاء البلاد ، ويوافقه الرأي المؤرخ هايد[3]، في حين نجد ان زابوروف[4] لديه طرح مختلف في هذا الجانب ويؤكد بأن الاعفاء من الامتيازات لم يكن يشمل كل ارجاء المملكة وإنما في بعض الولايات مثلما منح سيد بيروت جان ديبيلين[5] في احدى وثائق المنح اعفاءا لتجار جنوة من رسم الموانئ في المدينة ، ويشاطره بالار[6] هذا الرأي الذي يرى بأن الايطاليين نادرا ما يستفيدون من اعفاء كامل من الرسوم ، وهي ليست شاملة لكل السلع ، ففي صور اعفيت اسواق اللحم والصابون والاسماك ومنتجات الصباغة والدباغة من فرض الضرائب ، وفي عكا كان سوق اللحم والدباغة قد شمل بهذه الاعفاءات ، والظاهر بأن هذه الامتيازات قد اصدرها الملوك الاوائل خلال الحروب الاولى ضد المسلمين لتشجيعهم على الاشتراك في هذه الحروب وزيادة موارد المملكة المالية ، لكن بمرور الوقت اصبحت عبئا ثقيلا على خزائن المملكة فعمدوا الى مراجعة موقفهم وتقليص

---

[1] ينظر: ابو المكارم الاسعد بن المهذب (ت606هـ) ، قوانين الدواوين ، تح: عزيز سوريال عطية ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1411هـ/ 1991م ، ص326.

[2] تاريخ الحروب الصليبية ، ص316.

[3] تاريخ التجارة في الشرق الادنى ، ج1، ص342- 343 .

[4] الصليبيون في الشرق ، ص150.

[5] جان ديبلين : من اسرة عريقة في النسب تفوقت على سواها في الحروب الصليبية ، فتولى ابنائها العديد من المناصب وقلدوا الامارة على العديد من المدن ، ومنها امارة بيروت التي كانت من نصيب جان ديبلين ، تولى عليها565هـ/ 1198م وبقي في هذا المنصب خمس وثلاثون سنة ، ضبط فيها امور بيروت وبلغت في عهده اوج مجدها بعد ان احدث فيها نهضة فكرية واقتصادية وعمرانية. ينظر: شيخو ، بيروت تاريخها وآثارها ، ص56؛ البعيني ، حسن اميني ، بيروت وصيدا وجبل لبنان الجنوبي في العصور القديمة والوسطى ، الدار التقدمية ، ص236.

[6] ينظر: الحملات الصليبية والشرق ، ص301.

امتيازاتهم ، فقد فرضت ضرائب على البضائع التي يصدرها التجار البنادقة من عكا الى دمشق او الى مدن اسلامية اخرى ، كما تم بموجب مرسوم 1192م / 588هـ فرض ضرائب على البضائع الجنوية الواردة من بلاد اسلامية او التي مرت بها[1] .

الازدهار الاقتصادي لمدن الساحل لا يعني انه وليد الحروب الصليبية ، وانما قصد الباحثة هنا هو انها اصبحت اكثر ثراءا ونموا من ذي قبل فالمعروف تاريخياً ان هذه المدن تنعمت بزعامة اقتصادية منذ الحكم الفينيقي في القرن الثاني عشر قبل الميلاد[2] ، واستمرت على ذلك الحال حتى قبل الغزو الصليبي عليها ، وهذا ما كان واضحا عند استيلاء الصليبيين وحلفائهم الايطاليين عليها ، فأنهم وجدوا مخازن التجار مليئة بالبضائع الثمينة من توابل وسائر نفائس الشرق ، كما ان ملوكها كانوا يصانعون القادة الصليبيين بتقديم الرشا من الهدايا والاموال من ذهب وفضة عند مرورهم بها تجنباً لخطر الغزو على مدنهم[3] ، كذلك نجد المؤرخ اليعقوبي[4] المتوفى في نهاية القرن الثالث يصف الحركة التجارية لهذه الموانئ ويبدي اعجابه فيها ويتحدث عن اتساع ميناء طرابلس فيقول :" ولهم ميناء عجيب يحتمل ألف مركب" ، كما وصف المقدسي[5] والمعاصر في نفس عصر اليعقوبي ميناء عكا

---

[1] هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص343.

[2] التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط ، ص68 . والحكم الفينيقي بدأ مع دخول الكنعانيين الى سوريا واستقرارهم في ساحله واهم مدنه هي ارواد ، جبيل ، صيدا ، صور ، عرقة ، طرابلس ثم بيروت . ينظر: عصفور ، محمد ابو المحاسن ، المدن الفينيقية ، دار النهضة ، بيروت ، 1981م ، ص14 ؛ مهران ، المدن الفينيقية ، ص127.

[3] الصوري ، الحروب الصليبية، ج2 ، ص51 و ص62 ؛ وينظر: آرشيبالد ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ص388 ؛ رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج2 ، ص464 . وللمزيد ينظر : حسين ، عبد الوهاب ، الرشوة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام منذ الحملة الصليبية الاولى وحتى سقوط بيت المقدس ، كلية الآداب ، جامعة المنوفية ، مج17 ، العدد67 ، 2006م ، ص218-225.

[4] البلدان ، ج1 ، ص164-165.

[5] احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ج1 ، ص163.

بقوله : " فالمراكب في كل ليلة تدخل الميناء " وهذان النصان في غاية الاهمية ، إذ يتضمنان اشارات واضحة لحجم الحركة التجارية في ذلك الوقت ويبينان كثرة السفن الواردة الي ميناءهما والتي تحمل من البضائع الكثيرة مما يساعد على انتعاش احوالها الاقتصادية ، فهذه الموانئ ومنها طرابلس وبيروت وصيدا وطرسوس ورغم تأثرها بالصراع بين القوى السياسية من طولونيين واخشيديين على ارضها ظلت محافظة على رخائها الاقتصادي بسبب سيادة المسلمين على البحر ، وهذه الحقيقة اكدها كذلك المؤرخ آرشيبالد[1] في معرض تحليله للأوضاع الاقتصادية التي كانت تعيشها مدن سواحل البحر المتوسط آنذاك.

رابعاً : السلع التجارية الرائجة في سواحل بلاد الشام

اتاحت الحروب الصليبية فرصة كبيرة للتجار الغرب في التعرف على منتجات الشرق والحرص على أقتنائها والحصول منها على ارباح كثيرة ، خاصة بعد ان وفرت المملكة اللاتينية التسهيلات اللازمة لجعل السلع بأيديهم اكثر من اي وقت ، فشهدت اسواق عكا ويافا وصور وصيدا وبيروت حركة تجارية قام بها التجار الغربيون ما بين موانئ الساحل الشامي وموانئ اوروبا.

كانت تجارة بلاد الشام في الاساس تجارة كماليات لم يوجد مثلها في اي مكان ، وكانت بضائعها صغيرة في الحجم لكن ذات قيمة عالية مما نتج عنها ارباح عالية؛ إذ ان تكاليف النقل الباهضة ، وخطورة بعض المناطق التي تمر بها ادى الى غلبة هذه التجارة[2] ، وقد نشطت هذه التجارة خلال الحروب الصليبية وكانت باعثاً ومحركاً لتجارة البحر المتوسط خاصة بعد تعرف الغرب على سلع جديدة وغير مألوفةٍ عندهم، ومن اهم السلع المتبادلة احتلت التوابل مكانة مهمة ، وهي نتاج النباتات والاشجار الاستوائية التي لا تزدهر الّا في اجزاء قليلة من العالم، والتوابل

---

[1] ينظر: القوى البحرية والتجارية ، ص258.

[2] Day, History of commerce, p81؛ Thompson, Economic and social history of the middle ages , p405.

ضرورية في طهي اللحوم والاسماك والنبيذ المبتل عبر طرق القوافل الطويلة[1] ، وكانت تصل الى دمشق عبر طريقين اولهما الخليج الفارسي ونهر الفرات ، والثاني عن طريق عدن ومكة ، وتصل ايضاً الى ميناء عيذاب[2] في مصر عبر البحر الاحمر إذ تحمل هناك اسم خاص بها تدعى " تجارة الكارم"[3]، ولأهمية هذه التجارة عند اوروبا وضخامة الايرادات المالية المترتبة عليها ، فقد تصدت البندقية في ايصالها الى الغرب الامر الذي ادى الى ثرائها وازدهار الموانئ الاوروبية غرب البحر المتوسط[4] ، واهم هذه التوابل ، الفلفل وهو في شجره عناقيد كعناقيد الدخن ،

---

[1] Day, History of commerce, P79 ؛Ruddock ,Alwyn , The merchants of Venice and their shpping in southampyon in the fifteenth and sixteenth centuries , p278.

[2] عيذاب : بليدة على ساحل بحر القلزم (البحر الاحمر) ، وهى مرسى المراكب التى تقدم من عدن إلى الصعيد ومنها يعدى إلى جدّة ، وهو مكان تجمع الحجاج ، وكذلك تجار الهند واليمن والحبشة . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص171؛ المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص374. يحدثنا ابن جبير عن هذا الميناء اواخر القرن 6هـ بقوله : " هي من أحفل مراسي الدنيا بسبب أن مراكب الهند واليمن تحط فيها وتقلع منها زائدا إلى مراكب الحجاج الصادرة والواردة" ينظر: رحلة ابن جبير ، ج1 ، ص45.

[3] وسبب تسميتها بتجارة الكارم يعود الى فئة من كبار التجار اشتغلوا باحتكار تجارة الهند والشرق الاقصى في التوابل وما اليها من السلع الاخرى ، ثم اخذ هذا اللفظ يطلق على كل التجار المشتغلين بالتوابل في مصر ، وهذه التجارة انتشرت بصورة كبيرة في العهد الفاطمي وظلت مستمرة ولم تنقطع خلال عصري الايوبيين وايضاً المماليك حتى اواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي . ينظر: اشتور ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الاوسط في العصور الوسطى ، ص394 ؛ سوريال عطية ، عزيز، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ، ط2 ، دار الجيل ، القاهرة ، ص187 ؛ القوصي ، عطية ، اضواء جديدة على تجارة الكارم ، المجلة التاريخية المصرية ، مج 22 ، 1975م ، ص17.

[4] بيرين ، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى ، ص138.

ينمو في مدينة مليبار[1]، ولكثرة زراعته فيها سميت هذه المدينة " ببلاد الفلفل" ، وكذلك يوجد في جزر آسيا[2] ، ووجدت هذه السلعة فترة الحروب الصليبية سوقا رائجة عند الغرب ؛ والسبب في ذلك أستعمالها في تبتل الطعام وحفظه ، أو استخدامها كعقار طبي[3] ، وقد شكلت الضرائب على هذه السلعة واحدة من افضل الايرادات الجمركية في السواحل الشامية خلال تلك الفترة[4] ، إذ كان الفلفل غاليا في اوروبا ويضرب بغلاته المثل في فرنسا ايام العصور الوسطى فيقول "غالياً كالفلفل" ، فله قوة شرائية يتعامل بها في ظروف معينة إذ انه حل محل النقود في االتداول ، فكان رؤساء الكنيسة في فرنسا يتقاضون نصيبهم من الخراج والعشر وبما يعادل رطلا من الفلفل ، كما كان العبيد يشترون حريتهم بأحمالا من الفلفل ، واليهود ايضاً يدفعون في اوروبا ضريبة من الفلفل والزنجبيل للسماح لهم بحيازة مدافن ومدارس[5] ، كما نرى قيمته من خلال الحروب الصليبية فلإرتفاع ثمنه قُدم كمكافأة الى جنود مدينة جنوا الذين ساعدوا بلدوين الاول في الاستيلاء على مدينة قيسارية ، فكان نصيب الجندي من الفلفل رطلين منه[6] .

بعد الفلفل احتل الزنجبيل المرتبة الثانية في تجارة التوابل ، إذ انه يدخل في صناعة العقاقير الطبية والطهي وحفظ وتحضير الخمور ، ومناطق انتاجه هي الهند

---

[1] مليبار : إقليم كبير عظيم يقع وسط بلاد الهند ، يشتمل على مدن كثيرة منها: فاكنور ومنجرور ودهسل . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص196.

[2] الانصاري الدمشقي ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص173 ؛ ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ج2 ، ص432؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج5 ، ص70 .

[3]Depping , Histoire Du commerce Le levant et Europe, P193

؛ الحويري ، الاوضاع الحضارية في بلاد الشام ، ص132.

[4]Lammens , La Syrie précis historique , p263.

[5] هاو ، سونيا ، في طلب التوابل ، ترجمة محمد عزيز ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، 1957م ، ص22.

[6] هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص151.

والصين وسمرقند وبعض البلاد العربية[1] ، اما القرنفل فيستخدم في الطعام والشراب وكذلك كدواء ويأتي به من ارض الهند كذلك كثر استيراده خلال العصور الصليبية ، وكانت عكا من الاسواق الرئيسية لهذه السلعة[2] ، واضيفت الى قائمة التوابل الدار صيني"القرفة"[3] ويمثل اللحاء الداخلي المجفف لنوع 'C.zeylanicum' وهي شجرة صغيرة دائمة الخضرة ذات اوراق جلدية خضراء لامعة عطرية ، كان الطلب شديدا عليه في العصور الوسطى ، إذ القوافل تأتي به براً الى اراضي بلاد الشام ومن ثم الى سواحلها[4].

ومن انواع السلع التي كثر استخدامها في صناعة العقاقير الطبية " الافيون والكافور" ويستخدمان في تحنيط الجثث وتعطير المعابد والتماثيل ، ويردان للغرب من المناطق الجنوبية في آسيا الى البلاد المشرفة على البحر المتوسط ومنها السواحل الشامية ، فيحرص التاجر على ذكر منشأها وكتابة البلد المنتج على الدواء

---

[1] فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، ص205 ؛ عثمان ، شوقي عبد القوى ، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية ، عالم المعرفة ، 1990م ، ص151.

[2] ابن البيطار ، ضياء الدين ابي محمد عبد الله (646هـ) ، الجامع لمفردات الادوية والاغذية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص248؛ وينظر: هايد ، تاريخ التجارة ، ج4 ، ص106؛ Day , History of commerce,p80

[3] اسم القرفة في اللغة الفارسية هي " دار صيني " ومعناها " خشب الصين " وقد انتقلت هذه الكلمة الى العرب والارمن . ينظر: هايد ، تاريخ التجارة ، ج4 ، ص98 . والدار صيني تعني باللغة الدارجة " الدارسين "

[4]Ashtor ,Elihayu , Investments in levant trade in the period of the crusade, University of Jerusalem ,p429

؛ كلير ، كولن ، التوابل والاعشاب الطبية ، ترجمة : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ص41 ؛ عثمان ، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية ، ص151.

تأكيداً لجودتها[1].

اضافة الى تجارة التوابل والعقاقير كانت اسواق موانئ بلاد الشام تعج بالعطور والبخور والتي من انواعها : عود الند ، والمسك ، وخشب الصندل ، والعنبر ، والبخور ، والمصطكي ، واللبان الجاوي ، وكل هذه المنتجات كانت تأتي من اسواق الشرق الاقصى ، وفارس ، وبلاد ما بين النهرين ، فازداد اهتمام الاوربين بهذه السلع خاصة النساء والكنائس فحرص تجارهم على استيرادها[2] .

اما السكر فيأتي في المرتبة الاولى في قائمة السلع المصدرة الى اوروبا خاصة وانهم لم يعرفوا هذه المادة قبل الحروب الصليبية ، إذ كان العسل هو الوسيلة الشائعة لديهم فلمّا تذوقوه خلال الحرب استحسنوه وقُدم كهدايا من اجود انواع الحلويات[3] ، كذلك نقل التجار الغربيين الى اوروبا الفواكة التي تميزت بها بلاد الشام بعد ان يأتي بها تجار دمشق والفلاحين المسلمين الى عكا ، ومنها الليمون والبطيخ والمشمش والخوخ والإجاص والكمثري ، والمشمش بقي لفترة طويلة عندهم

---

[1] هايد ، تاريخ التجارة ، ج4 ، ص92 ؛ فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها في العصور الوسطى ، ص213 ؛ اباضة ، فاروق عثمان ، اثر تحول التجارة العالمية الى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط اثناء القرن السادس عشر ، دار المعارف ، ط2 ، القاهرة ، ص6.

[2] فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، ص226 ؛ اباضة ، اثر تحول التجارة العالمية الى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط اثناء القرن السادس عشر ، ص6. وكان البخور شيئا اساسيا في الصلوات والاحتفالات إذ يضيف شيئا قدسيا يزيد من رهبة الموقف ، ويعلي من شأن الكنيسة ورجالاتها. ينظر : عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، 1977م ، ص132.

[3] Day ,History of commerce, p79-80 .

إذ تعرف الاوروبيون على هذه المادة من خلال قصب السكر خلال حصار انطاكية من قبل المسلمين ، ولكي يرضوا جوعهم قاموا بمضغ القصب الحلو واطلقوا عليه اسم " cannamel" . ينظر:

Thompson, Economic and social history of the middle ages,p396.

يسمى "تمر دمشق"[1] ، وكانت المراكب البحرية الايطالية المبحرة من عكا تغص بالفواكهة والخضروات ويذكر ابن جبير[2] انواعاً مختلفة منها فيقول في ذلك :" لكن هم من هذا المركب بمنة الله، في مدينة جامعة للمرافق، فكل ما يحتاج شراؤه يوجد، من خبز، وماء، ومن جميع الفواكه والأدم، كالرمان والسفرجل والبطيخ السندي والكمثرى والشاه بلوط والجوز والحمص والباقلاء نيا ومطبوخا والبصل والثوم والتين والجبن والحوت، وغير ذلك مما يطول ذكره عاينا جميع ذلك يباع" .

كذلك شكلت سلع الحرير العنصر الرئيس لواردات الغرب من الشرق ، فكانت الاقمشة الحريرية مطلوبة جداً في الغرب حتى ان السفن البندقية كثيراً ما كانت تنتظر امام السواحل الشامية حتى ينتهي النساجون الشاميون من صنعها ليتم تصديرها الى اسواق اوروبا ، وخلال بداية العصور الوسطى حرمت الكنيسة لبس الحرير لكونه يعد من الزينة ، لكن بمرور الوقت لم يعد هذا التحريم ممكناً بل انه اصبح لباس رجال الدين فامتلات حوانيت اوروبا بهذه السلعة الواردة من الشرق[3] .

واشتهر زجاج صور في الاسواق الاوروبية بصورة كبيرة اضافة الى ذلك شكل الخزف والسيراميك مادة مهمة للتجارة في المستعمرات اللاتينية ، ونجد هذه السلعة مذكورة في المعاهدة المعقودة سنة 620هـ /1223م بين ابلين حاكم بيروت وجمهورية جنوة ولأنهما من السلع المعفاة من الرسوم الجمركية تم تصديره الى اوروبا بأسعار قليلة[4] ، اما الاحجار الكريمة فوجدت لها هي الاخرى سوقا رائجة بين الطبقات العليا في اوروبا ، إذ كانوا يفضلون الماس والزمرد والياقوت الازرق الذي تم جمعه من آسيا ومصر وكان الاعتقاد سائداً في العصور الوسطى بأن هذه الاحجار

---

[1] علي ، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين ، ص62.

[2] رحلة ابن جبير ، ج1 ، ص258.

[3] فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، ص246؛ هايد ، تاريخ التجارة ، ج1، ص190

[4] Rey , Les colonis franques de syrie ,p212

؛ هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص191.

تطرد الارواح الشريرة وتعطي قوة للجسد والعقل فعظمت اهمية هذه السلعة وانتشرت في الاسواق ، وآسيا هي مصدر هذه الاحجار ، في حين جاءت اللآلئ من المحيط الهندي على ايدي تجار آسيويين ، وهذه التجارة كان يأتي بها الجنوبيون الى اوروبا من بيروت وطرابلس[1] ، ثم جاءت الاواني المرصعة بالذهب والفضة لأثراء أثاث الامراء والبارونات الفرنجية مثل الاحواض الكبيرة والاكواب واوعية مقدسة ومكاتب للكتابة وكلها تأتي من صور وطرابلس وانطاكية[2].

لم تقتصر تجارة الساحل على الصادرات فقط ، وإنما كانت هناك على الكفة الاخرى واردات من البضائع المختلفة تحملها السفن الغربية لأشباع حاجات الصليبيين المستوطنين في بلاد الشام خاصة منهم الفرسان ورجال الدين والنساء والاغنياء الذين كانوا في حاجة الى السلع التي تنتجها بلدانهم ، وتأتي في مقدمتها الصوف الانجليزي والاقمشة البيضاء والقرمزية ، إذ كان القماش اساس التجارة في اوروبا في العصور الوسطى ، وكانت اوروبا تصدر هذه السلعة الى آسيا بكميات كبيرة ، ومنها الفستيان المصنوع في ايطاليا ، وفي شمال فرنسا ، والجوخ البندقي[3].

---

(1) Day, History of commerce,p79-80

؛ الطوفي ، يوسف جرجيس ، التنظيمات التجارية في بلاد الشام بين الغزو المغولي والتيموري، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1403هـ / 1983م ، ص288؛ فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، ص250.

(2)Rey , Les colonis franques de syrie , p226.

(3)Ruddock , The merchants of Venice and their shpping in southampyon in the fifteenth and sixteenth centuries , p279 ؛ Day, History of commerce ,p83؛ Pirenne, Henri , Medieval cities , Princeton University ,1980 ,p100 ؛ Thompson , Economic and social history of the middle ages, p205 ؛

هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص190.

ومن السلع المهمة زمن الحروب الصليبية هي العبيد ، واهم مصادرها اسرى الحروب التي تشب بين المسلمين والصليبيين[1] ، ويصف لنا ابن جبير[2] حال هؤلاء الاسرى خلال مروره بعكا فيعدها من الفجائع التي حلت بالإسلام ، ويقول في ذلك : " ومن الفجائع التي يعاينها من حلّ بلادهم اسرى المسلمين، يرسفون في القيود، ويصرفون في الخدمة الشاقة تصريف العبيد، والأسيرات المسلمات كذلك، في أسواقهم خلاخيل الحديد، فتنفطر لهم الأفئدة ولا يغني الإشفاق عنهم شيئا" ، اما المصدر الثاني للعبيد فهم عبيد مستوردين يأتون بهم التجار من مدن عدة اهمها آسيا الصغرى وجورجيا ، وروسيا ، وارمينيا ، والهند ، واليونان وغيرهم ، وانتشرت هذه السلعة انتشارا كبيرا زمن الحروب الصليبية، وكان القائمين عليها التجار الجنوبيين والبنادقة وكانوا يربحون منها اموالاً طائلة ، حتى انهم جازفوا فذهبوا بعيداً حتى وصلوا الى(بلاد ما وراء النهر[3])[4]، وكانت لدى زوجات النبلاء الصليبيين عدد من الجواري السود الحبشيات يتم جلبهن الى اسواق النخاسة في المدن الاسلامية فيأتي التجار الايطاليون اليها ليقوموا بشراء تلك الجواري وبيعها لهن ، ويعد سوق العبيد في عكا واحد من اكبر الاسواق في الساحل فكان يُباع العبد الى تجار البندقية في عكا بثمن بخس لا يتعد بيزانت بيزنطي وبما يعادل ثمن حصان

---

[1] Rey, Les colonis franques de syrie,p105.

[2] رحلة ابن جبير ، ج1 ، ص252-253.

[3] بلاد ما وراء النهر : المقصود بها الارض التي تقع ما وراء نهر جيحون وتعرف بأسم بلاد الهياطلة وهي من جنس الاتراك ، وتضم طخارستان والصغد وسمرقند والشاش وفرغانة، تحيطها بلاد خراسان وسجستان وتركستان. ينظر: اليعقوبي ، البلدان ، ج1 ، ص126 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص45، ص422.

[4] Rey , Les colonis franques de syrie, p106

؛ حبشي ، نور الدين والصليبيون ، دار الفكر العربي ، دمشق ، ص148.

قيمته ثلاث بيزات وهذا السعر شجع الاديرة على شرائهم والاستفادة منهم والاشتغال عليهم في اعمالهم المختلفة[1] .

في عهد الايوبيين زاد الاهتمام بهذه التجارة الحية ، إذ اقبل ابناء السلاطين على اقتناء اعداد كبيرة من الرقيق لحاجتهم الى هذا العنصر حتى يكونوا لهم قوة وسندا في صراعاتهم الداخلية[2] ، وبمرور الزمن اصبح لهذه الفئة نفوذ في دولة مصر فتقلدوا مناصب كبيرة فيها حتى اخذوا يحكمونها بإسم دولة المماليك (648-923هـ/ 1250-1517م)[3] ، كذلك شملت الواردات من اوروبا مختلف انواع المعادن مثل النحاس والزئبق والرصاص والحديد وكذلك الخشب والقار والسروج واللوز والموز ولحم الخنزير المملح والذي كان ممنوعا ومحرماً من البيع في الاسواق الاسلامية ، وانتشر الفراء ايضاً في الاسواق الشرقية وخاصة جلود الثعالب البيضاء والسوداء ، كما كان ريش النعام من بين الاصناف المستوردة الى سورية إذ تظهر اعمدة من

---

[1] الحويري ، الاوضاع الحضارية في بلاد الشام ، ص135 ؛ علي ، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين ، ص63؛

Rey, Les colonis franques de syrie,p200.

وبموجب اتفاقية عقدها الملك عموري مع كنيسة القديسة اليعازر شمال القدس تضمنت ان تكون حصة الكنيسة عبداً واحداً من كل عشرة عبيد يتم اسرهم في الحرب.

ينظر: Conder, The Latin kingdom of Jerusalem,p242 .

[2] ومنهم الملك الصالح ايوب بن الملك الكامل الذي اعتمد على هؤلاء المماليك في صراعه مع عمه الملك اسماعيل حاكم دمشق بعد ان تبين له غدر الخوارزمية . ينظر: ابوالفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج3 ، ص172- 173؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج10 ، ص128 ؛ الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، ج3 ، ص242.

[3] عاشور ، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، دار النهضة، القاهرة ، 1992م ، ص17.

ريش النعام في الخوذات كذلك نجد قبعة بيضاء على شكل طاووس تظهر على الراس[1] .

من هنا نتبين ان حركة صادرات السلع لمدن سواحل الشام شهدت زيادة واضحة خلال الحروب الصليبية والتي كانت تعتمد اساساً على المنتجات المحلية وعلى التي جاءت من مواطن مختلفة خاصة من الشرق ، وإذا القينا نظرة على تلك الصادرات نجد ان اكثرها زراعي او من اصل زراعي ، وعند المقارنة بين سلع الصادرات والواردات من حيث نجد ان كفة سلع الصادرات هي الاعلى نتيجة اقبال الجمهور الاوروبي عليها.

[1] Orton , Previte , Outlines of medival history , Cambridge at the University press, 1916, p222 ؛ Rey , Les colonis franques de syrie, p208-209 ؛

ماير ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص320.

المبحث الثالث : المؤسسات التجارية والنظم المالية في سواحل بلاد الشام ابان الحروب الصليبية

اولاً: الاسواق

افادت مدن الساحل الشامي من موقعها المتميز في جذب التجار اليها من اهل البلاد والبلدان الاخرى ، إذ كانوا يقيمون ويلتمسون البيع والشراء فيها، فازداد نشاطها واتسعت حركتها فانعكس ذلك في نمو الاسواق وازدهارها ، حتى ان كلمة "بلاد الشام" اقترنت خلال العصور الوسطى بالاسواق والموانئ المزدحمة[1] ، ولأنها مصدر المعاش ومحل الارباح والميدان الذي يوفر الاقوات كانت السلطات تهتم بالاسواق كثيراً ، فبلغت من التطور حداً كبيراً ما جعلها محل اعجاب كل من زارها، ومنهم الرحالة ناصر خسرو[2] الذي وصف احوالها وعمرانها ونظافتها وزينتها فيقول عن سوق صيدا :" وفي صيدا سوق جميل نظيف وقد ظننت حِين رأيته أنه زين خاصة لمقدم السلطان أو لأن بشرى سعيدة أذيعت فلما سألت قيل لي هكذا عادة هذه المدينة دائما " وكذلك يقول عن اسواق طرابلس :" وأسواقها جميلة ونظيفة حتى لتظن أن كل سوق قصر مزين" ، اما صور فيصفها :" وأسواقها جميلة كثيرة الخيرات" ، ووصف الادريسي[3] كذلك اسواق صيدا ورخص اسعارها بالقول :" وهي مدينة كبيرة عامرة الأسواق رخيصة الأسعار " ، وقال الحميري[4] عن اسواق عسقلان:" بأنها مفروشة بالرخام" .

والمعروف ان الاسواق في بلاد الشام تعد اقدم اشكال النظم التجارية وهي على نوعين : محلية وموسمية اوسنوية ، ومعظم اسواق بلاد الشام هي محلية ، والعمل

---

[1] Prawer , The latin kingdom of Jerusalem ,p382.

[2] سفر نامة ، ج1 ، ص49-50.

[3] نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج1 ، ص370.

[4] الروض المعطار ، ج1 ، ص420.

فيها يجري لأيام معينة في الاسبوع[1]، ولأنها مرتبطة بتوفير المؤن الضرورية للحياة اليومية للسكان ، لذا فأن البيع فيها يتسم بالتجزئة ، فكانت تتعامل مع المأكولات والاطعمة والسكر والفواكه ، وكان كل سوق يتخصص بأصنافٍ معينة من البضائع لا يبيع فيه غيرها[2] .

اما الاسواق الموسمية او الدولية وهي اجتماعات موسمية للتجار المحترفين ، من ابرز صفاتها ان بيع البضائع فيها يكون بالجملة ، وانها تعقد في مواسم معينة من السنة[3] ، وهذا النوع من الاسواق غالبا ما يوجد في مدن الساحل الشامي وينشط لحظة وصول الاساطيل البحرية ، إذ تتزامن وصول قوافل الشرق من الهند والصين مع السفن الاوربية ، وخلال المدة الواقعة بين وصول هذه السلع واعادة شحنها الى الموانئ الاوروبية كانت تقام اسواق تجارية في بيروت وطرابلس وعكا وصور وغزة[4]، ومن امثلة اسواق الجملة سوق الماشية وسوق اخرى للحبوب في عكا وتتضمن حوانيت متقاربة في مربعات مفتوحة[5] ، ومن محاسن هذه الاسواق ان التاجر لن يستطيع ان يرفع اسعار السلعة طالما ان هناك محلات بالقرب تضم سلعاً من نفس الجنس ، كما ان المشتري إذ لم يعجبه سلعة ما او لم يقبل بثمنها امكنه شراء مثلها من متجر آخر ، ومن عيوبها أن المشتري إذ اراد شراء سلع مختلفة فأنه

---

[1] فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، ص282.

[2] Prawer , The latin kingdom of Jerusalem ,p487

؛ حسين، الاسواق في عكا، ص133؛ الطوفي ، التنظيمات التجارية في بلاد الشام بين الغزو المغولي والتيموري ، ص76-78.

[3] بيرين ، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى ، ص98؛ الطحاوي ، الاقتصاد الصليبي ، ص143

[4] الجبارات، محمود محمد هملان، النشاط التجاري والحرفي في الموانئ الشامية في خلال العصر المملوكي 649-922هـ، حوليات كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، مج 38 ، 2010م ، ص91.

[5] حسين ، الاسواق في عكا ، ص134.

يجد صعوبة كبيرة في سبيل الحصول عليها بسبب تخصص السوق في نوعٍ واحدٍ فقط فيضطر الى الانتقال الى اسواق اخرى[1].

خلال الحروب الصليبية جرى تغييراً في اسواق مدن السواحل الشامية ، فقد ازداد حجمها وتوسعت واضيفت اليها اسواق جديدة خاصة بعد هجرة اعداد هائلة من الصليبيين اليها اثر انهيار مملكتهم في القدس والرها، وهذا يعني ازدياد الكثافة السكانية في تلك المدن وتأثيره على العمران فيها ، وتبعا لهذه المتغيرات ان تأثرت اسواقها بشكل كبير، ولنأخذ مثلا مدينة عكا فقد كان عدد سكانها وعلى اثر معركة حطين 583هـ / 1187م وفقدان الفرنجة مدينة القدس وهجرة اعداد كبيرة اليها يفوق 30 000 في نهاية القرن 6هـ / 12م ، وبعد هذا التاريخ بخمسين سنة وصل عدد سكانها الى الضعف ، وهذا الشيء لمسناه في رواية ابن جبير حينما شبه هذه المدينة بالقسطنطينية ، ولاستيعاب المهاجرين الجدد اضيفت اليها احياء عديدة ، ومنها احياء الجاليات التجارية ومنها حي جنوة ، وحي البندقية ، وحي بيزا[2] ، وحي جديد بإسم حي "مونت مزار Mount Muzard" والتي تعني "القبر المقدس"[3] ، وتبعا لهذه الزيادة في تلك الاحياء ازدادت عدد الاسواق فيها حتى وصل عددها الى ستة اسواق تابعة الى الاحياء الايطالية والهيئات الدينية كالداوية والاسبتارية ، وفي صور كان الحال مشابه تماماً عما في عكا ، فقد بلغ بها التوسع الى ما هو ابعد من اسوارها الاصلية فازداد عدد سكانها الى30 او40 الف فنتج عن ذلك وجود احياء اضافية ومنها حي البندقية كل ذلك تطلب وجود اسواق قادرة على استيعاب حاجات

---

[1]عاشور ، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، ص97؛ الحويري ، الاوضاع الحضارية في بلاد الشام ، ص143.

[2] وهذا العدد من سكان عكا يشمل الصليبيين والمسلمين ، لكن نسبة الصليبيين الى المسلمين قليلة لا تتجاوز واحد الى خمسة. ينظر: براور ، عالم الصليبيين ، ص96؛ حسين ، الاسواق في عكا زمن الحروب الصليبية ، ص67.

[3]Benvenisti , The crusaders in the holy land , p27

؛ البنا ، اسواق الشام في عصر الحروب الصليبية ، ص72 .

السكان المتعددة[1] ، وقد لوحظ مثل هذا التوسع والامتداد في مدينة يافا ايضاً ، إذ اضيفت الى المدينة القديمة مدينة اخرى مسورة ، وتبعا لذلك ازدادت اسواقها حجما واتساعا بعد امتلاءها بالسلع التجارية[2] ، بالاضافة الى هذه الاسواق وجدت اسواق جديدة تعود ملكيتها الى الملوك وتسمى "الاسواق الملكية"[3] .

كما نستطيع ان نقول بأن زيادة الاسواق هذه جاءت ايضاً لإستيعاب عمليات البيع والشراء من السلع ومواكبة كثافة النشاط التجاري التي شهدتها المدن الساحلية ابان تلك الفترة .

اما البناء العمراني للاسواق في مدن الساحل الشامي فبقي على حاله لم يتغير ، وكان يتلاءم وطبيعة الحياة الاقتصادية فيه ، فالمعروف انها موانئ تجارية تلتقي فيها القوافل البرية والبحرية، ويتم فيها التبادل بين منتجات الشرق ومنتجات الغرب ، وقد تستمر عملية البيع والشراء فترة طويلة[4] ، ووفقا لمتطلبات السكن هذه كانت الاسواق عبارة عن شوارع طويلة ضيقة تقوم على جوانبيها البيوت المتعددة الطوابق ، فتشغل طوابقها السفلية المحلات والحوانيت hothegae او المحطات والاكشاك hanci المتكئة على الجدران في حين ان الطوابق العليا بمثابة مساكن واماكن معيشية للتجار[5] والظاهر ان تخطيط هذه الاسواق كان خليطاً من النمط الاسلامي

---

[1] رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ، ص414؛
King , The kinghts hospitallers in the holy land , P289 ؛ Prawer , The latin kingdom of Jerusalem ,p412 .

[2] هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص187؛ البنا ، اسواق الشام في عصر الحروب الصليبية ، ص72.

[3]Prawer, The latin kingdom of Jerusalem ,p412.

[4] هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص192.

[5]Prawer, The latin kingdom of Jerusalem , p408 ؛Thompson , Economic and social history of the middle ages ,New york , p312.

واليوناني القديم[1] وكان موجوداً في مدن اسلامية اخرى وفي ازمان بعيدة، فيذكر السمهودي[2] ان والي المدينة المنورة في عهد هشام بن عبد الملك " جعل لدار السوق حوانيت في أسفلها، وعلالي تكرى للسكن".

وتبعاً لذلك جمع السوق بين وظيفة التجارة والسكن ، فإلى جانب كونه مسكناً آمناً للتجار الذي يقطعون مسافات شاسعة ويمكثون مدد طويلة في هذه المدن كان محلاً لتصريف بضاعتهم وتسويقها فلا يتضرر التاجر فيها كثيراً.

تميزت اسواق المدن الساحلية كذلك بأنها مسقفة بأسقف ذات قباب ، او مظلات من القماش تحمي التجار والمتبضعين من احوال الطقس السيئة من اشعة الشمس والمطر كما هو الحال في اسواق عكا وصور[3] ، والواضح ان تسقيف الاسواق كان ظاهرة قديمة وهي صفة تميزت بها اسواق الشام ، وهذا ما حدثنا به ابن جبير حينما قال عن اسواق حلب : " وكلها مسقف بالخشب"[4] ، اما حوانيتها فقد عرفت بكونها صغيرة ، لا تتعدى مساحتها خمسة اقدام مربعة لا تكاد تكفي التاجر في ان يخزن كل بضائعه ، وهذه الحوانيت مزودة بمصاطب أمامية وبمسافة متر واحد تقريباً عند مداخلها تستخدم لعرض البضائع او كمقاعد للجلوس عليها ، وكانت السلطات الحاكمة في الاسواق لا تسمح للتاجر بأنشاء هكذا مصاطب؛ لأنه يتسبب في احيانٍ كثيرة بمضايقة المارة[5] .

---

[1] عثمان ، محمد عبد الستار ، المدينة الاسلامية ، الكويت ، 1988م ، ص231؛ براور ، الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص488.

[2] نور الدين أبو الحسن(911هـ) ، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1419هـ ، ج2 ، ص260.

[3] براور ، عالم الصليبيين ، ص167؛ البنا ، اسواق الشام في عصر الحروب الصليبية ، ص77.

[4] رحلة ابن جبير ، ج1 ، ص226.

[5] Benvenisti , The crusaders in the holy land, p55

؛ عاشور ، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، ص98 ؛ حسين ، الاسواق في =

من المنشآت الاقتصادية المرتبطة بالاسواق " الفندق"[1] ، وهو مركز يتجمع فيه التجار يتباحثون في باحاته المسائل التجارية وعقد الاتفاقيات التجارية ، ويوجد فيه فئات من المترجمين والموثقين الذين يعهد اليهم بعقد الاتفاقيات واغلبهم من اصول ايطالية ، وكذلك الرقباء والكياليين والكتاب وبائعي المزاد ، أما ادارة الفندق فتتألف من المأمور والمحلفون الذين هم اعضاء رئيسيين في محكمة الممتلكات ، وكان التاجر الفرنجي يعرض سلعته في تلك الفنادق ويأتي اليه التاجر المسلم فيتفحصها ويشتريها بحضور الشهود[2] ، وضم الفندق كذلك كل ما يحتاجه التاجر من مأوى وكنيسة ومخبز وحمام ، كذلك سُمح للتجار الاوروبيين باقتناء الخنازير وتربيتها في حدائق فنادقهم على الرغم من تحريم الشرع الاسلامي على ذلك[3] .

والفندق ليس بالجديد زمن الحروب الصليبية وإنما هو نمط عمراني معروف منذ امد بعيد ، وقد ورد ذكره عند الرحالة والجغرافيين المسلمين ومنهم المقدسي[4] والمعاصر للقرن الرابع الهجري / القرن العاشر الميلادي والسابق للحروب الصليبية ، فخلال وصفه لمدينة صور يقول بأنها :" ذات فنادق رشيقة وحمّامات انيقة واطعمة

= عكا ، ص124. وهذه الصلاحيات من اختصاص المحتسب ، إذ كان يمنع السوقة من اخراج مصطبة دكانه عن سمت اركان السقائف الى الممر الاصلي لأنه عدوان على المارة . ينظر: الشيزري ، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله (ت590هـ) ، نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، 1365هـ ، ج1 ، ص11.

[1] ويسمى الفندق "فونداكو" ويقول انها مشتقت من كلمة " fondaco " من الكلمة اليونانية "pendocheion". ينظر:

Thompson , Economic and social history of the middle ages,p402.

[2] علي ، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين ، ص85 ؛

Smith, The Government in Latin Syria and the commercial Privileges of foreign merchants, P116 .

[3] عاشور ، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، ص64 ؛ زيتون ، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص246.

[4] احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ج1 ، ص164.

نظيفة " وكان الشاميون يسمون الفنادق "خان" بلغتهم وهذه تكون مخصصة للقوافل التجارية في الطرق والمدائن[1] ، وقد وجدنا كلمة خان كذلك عدة مرات في روايات ابن جبير[2] والتي اشار فيها الى انها محطات راحة بنيت على امتداد الطرق تنزل القوافل فيها ، وهي عنده كالقلاع في الحصانة والوثاقة ، ومنها خان التركمان في حلب ، وخان عكا.

اما بالنسبة الى المكاييل والاوزان والمتعلقة بتحديد الاسعار في الاسواق فأنهم ابقوها على النظم الاسلامية كذلك لم تتبدل[3] ، والهدف من ذلك عدم عرقلة

---

[1] الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (170هـ) ، كتاب العين ، تح: مهدي المخزومي ، دار الهلال ، ج5 ، ص261؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج10 ، ص313.

[2] رحلة ابن جبير ، ج1 ، ص228 ، ص275 .

[3] حسين ، الاسواق في عكا ، ص300. والمكاييل المستعملة في الاسواق الشامية فهي : الغرارة : مكيال يوزن به الحنطة وتعادل 3 ارادب مصرية ، وهو ما يساوي 204,5 كغم . ينظر: هنتس ، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ص64 . القفيز : وهو مكيال متعارف عليه في شيزر يعادل رطلا ونص .المكوك : يعادل اربعة مرازيب كل مرزبان اربع اكيال . سنبل : يعادله في شيزر رطل ونصف . ينظر : الشيزري ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص17؛ هنتس ، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ص63. أما الموازين المستعملة في الاسواق الشامية فأساسها الدرهم والمثقال ، فأما الدرهم الشامي فيعادل ستون حبة ، في حين يساوي المثقال درهم ودانقان ونصف ، وبما يعادل اربعة وعشرون قيراطاً ، وخمس وثمانون حبة . ينظر:الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص17؛ وينظر: هنتس ، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ص9. والوحدات الرئيسة في الموازين عند الشام هي الارطال والتي لم تكن موحدة في البلاد ، فرطل حلب يساوي 724 درهما ، ورطل دمشق 600درهم ، ورطل حمص 864 درهما . ينظر: الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص16. يقول القلقشندي عن ارطال بلاد الشام :" وأما رطلها الذي يعد به موزوناتها فستمائة درهم بدرهمهم المتقدم تقديره، وأواقيه إثنتا عشرة أوقية، كل أوقية خمسون درهما" . ينظر: صبح الاعشى ، ج4 ، ص188. اما القنطار فأوزانه في سوريا تستخرج من مضاعفة اوزان الرطل المحلية مائة مرة . ينظر : هنتس ، صبح الاعشى ، ص42.اما الاطوال في بلاد الشام فتقاس بالذراع ويقول القلقشندي في ذلك :" وأما قياس قماشها فبذراع يزيد على ذراع القماش بالقاهرة =

المعاملات التجارية بينهم وبين الجانب الاسلامي والحفاظ على انسيابتها ، لكن الاختلاف وجد في اسواق المدن التجارية التي كانت تستخدم المكاييل والموازين التابعة للوطن الام وذلك بموجب الامتيازات التي حصلت عليها من قبل ملوك االلاتين ، فقد حصل البنادقة في مدينة صور على حق استخدام مكاييلهم وموازينهم في المعاملات التجارية فيما بينهم او عندما يبيعون لتجار آخرين من غير جلدتهم ، لكن فرضت عليهم المكاييل الملكية إذا اشتروا سلعا من تجارا آخرين ، ولم يقتصر هذا الامتياز على تجار البندقية وإنما شاركهم في ذلك تجار بيزا ، ففي عام583هـ/ 1187م منح كونراد مونتفيرات[1] للبيزانيين في صور امتيازا مماثل[2] ، وكانت الضرائب والرسوم المفروضة على المشتريات من الاسواق الايطالية تتراوح بين12-4% يدفعها المشتريين[3] .

اما الطرق المستخدمة في عمليات البيع والشراء في الاسواق الصليبية فهي طرق قديمة لم يجر فيها تغيير ، واخص بالذكر المقايضة ، والمزاد والبيع بالنقد ، والبيع بالاجل ، واهم هذه الطرق المقايضة ؛ والسبب في ذلك تنوع المنتجات والسلع القابلة

= بنصف سدس ذراع وهو قيراطان" ينظر: صبح الاعشى ، ج4 ، ص188.اي ان الذراع الشامي كان يساوي اثني عشر قيراطاً. ينظر: حسين ، الاسواق في عكا ، ص305.

[1] كونراد دي مونتفرات: وهو ابن وليم الثالث دي مونتفرات ، لعب دوراً كبيراً في الحفاظ على مملكة الصليبيين ونظم صفوفهم في مدينة صور بعد خسارتهم امام صلاح الدين في معركة حطين ، ونتيجة لتلك الجهود توج ملكاً عليهم ، لكنه لم يهنأ كثيراً في الحكم مدة طويلة بعد اغتياله من قبل الاسماعيلية سنة 588هـ / 1192م. ينظر: عماد الدين الاصفهاني ، الفتح القسي ، ص330 ؛ وينظر: عاشور ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص820 .

[2] Prawer , The latin kingdom of Jerusalem , p412 ؛ Smith , The Government in Latin Syria and the commercial Privileges of foreign merchants, p118.

[3] البنا ، اسواق الشام في عصر الحروب الصليبية ، ص122.

للتبادل من المواشي والحيوانات الاخرى والقماش والمسك[1] ، والمعروف ان العرب عرفت نظام المقايضة حتى قبل الاسلام وهي طريقة كانت الغالبة في معاملات البيع والشراء في اسواقهم[2] .

من الوظائف المرتبطة بالاسواق " المحتسب " وهي وظيفة وجدت في النظم الاسلامية ، فاصطنعها الصليبيين وأخذوها عنهم وطبقوها في نظمهم الاقتصادية ، ويتلخص عمله في مراقبة الاسواق ونظافتها كذلك الاشراف على معاملات البيع والشراء وحماية المشترين من تلاعب السوقة بالكيل والميزان[3] .

من هنا نلاحظ ان الصليبيين عملوا جاهدين لتنظيم الاتجار وتهيئة السبل لمزاولة الانشطة الاقتصادية خدمة لمصالحهم كذلك كانوا بارعين في جباية الرسوم والمكوس وكل ما من شأنه في زيادة ارصدتهم المالية ، وقد كان لمجاورتهم للقوى الاسلامية اثر كبير في تطوير انظمتهم الاقتصادية فهم حديثي العهد بالتجارة إذا ما قورنوا بدولة مثل مصر وبلاد الشام .

لم تكن الاسواق الساحلية على حالة ثابتة من الاستقرار ، ويعود ذلك الى ارتباطها بالعامل الاقتصادي والسياسي ، فحينما تكون هناك اسواق متعددة في منطقة واحدة فأن ذلك يؤدي الى التنافس بينهما ، كما هو الحال في اسواق المدن الايطالية

---

[1] الطحاوي ، الاقتصاد الصليبي ، ص151 ؛ الحويري ، الاوضاع الحضارية في بلاد الشام، ص142.

[2] علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج10 ، ص281.

[3] Smith,The feudal nobility and the kingdom of Jerusalem 1174- 1277 , P86-87 ؛ بوس ، ادريان ، مدينة بيت المقدس زمن الحروب الصليبية ، ترجمة : علي السيد علي ، ط1 ، القاهرة ، 2010م ، ص59 ؛ رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج2 ، ص353. وللإطلاع على مهام المحتسب حسب الاحكام الاسلامية ينظر : الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت450هـ) ، الاحكام السلطانية ، دار الحديث ، القاهرة ، ج1 ، ص368-369؛ الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ج1 ، ص11-18 ؛ ابن الاخوة ، محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد(729هـ) ، معالم القربة في طلب الحسبة ، دار الفنون ، كمبردج ، ص78-80 ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج4 ، ص38.

والاسواق الملكية التابعة الى الملوك والامراء، إذ خيم التنافس عليهما وفي كل مرة تنجح الاسواق الايطالية في التفوق والازدهار على غريمتها الملكية وهذا ما يدفع السلطات الى ان تبذل قصارى جهدها في منع رعاياها من ارتياد اسواق الايطاليين[1] ، والراجح بأن سبب ازدهار الاسواق الايطالية يعود الى ان التاجر الايطالي هو الذي يتولى بنفسه او عن طريق وكلاء عنه مهمة توفير البضاعة وجلبها الى الاسواق ومن ثم يكون عنصرا مباشر في تحديد العرض والطلب للسلع وبالتالي يفرض السعر بحسب رغبته .

اما فيما يخص العامل السياسي فكان تأثيره على الاسواق كبيرا ، فنتيجة الحروب مع المسلمين والمنازعات الداخلية فيما بين الامراء ان تضررت هذه الاسواق وتدهورت ، بل ان في بعض الاحيان قد تغلق اسواقا كاملة كما هو الحال مع عكا خلال الحملة الصليبية الثالثة وحصار الفرنج لها وكما بينا سابقاً[2] ، فأوجدت الضرورة العسكرية انشاء سوق مؤقت لتلبية احتياجات الجند سمي " بسوق العسكر" بالقرب من عكا كان مفتوحا طيلة ايام الحرب ، ويصف المقريزي[3] هذا السوق نقلا عن العلامة والفيلسوف عبد اللطيف بن يوسف البغدادي المعروف بابن اللباد بقوله :" كان السوق الذي في عسكر السلطان على عكا عظيما ، ذا مساحة فسيحة ، فيه مائة واربعون دكان بيطار ... وكنت احفظ عدد الدكاكين ؛ لأنها كانت محفوظة عند شحنة السوق ، واظنها سبعة آلاف دكان ، وليست مثل دكاكين المدينة ، بل دكان واحد مثل مائة دكان " ، وعلى الرغم من مبالغة الراوي في تقدير عدد وحجم الدكاكين والتي لا يقبلها عقل لان سبعة آلاف عدد ضخم قد لا يصل الى ربع عدد اسواق البلاد كلها، فأن هذا السوق كان فعلا موجود وقد ورد ذكره في روايات ابن

---

[1] Smth , Government in latin Syria and the commercial trivileges of foreign , p121 ؛

الطحاوي ، الاقتصاد الصليبي ، ص143 .

[2] ينظر: ص68.

[3] السلوك ، ج1 ، ص208.

شداد[1] خلال تردد رسل الفرنج الى معسكر صلاح الدين طلبا للصلح ، إذ يقول : " غير أن السلطان أكرمهم من سوق العسكر وتفرجوا فيه وعادوا تلك الليلة إلى عسكرهم".

ثانياً : العملات

حينما وطأت اقدام الصليبيين سواحل الشام في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ، وجدوا نظاما نقديا متطورا يختلف عما الفوه في بلدانهم، فهم على عكس عملتهم الفضية ، وجدوا النقد مسكوكاً من الذهب وعملته كانت "الدينار"[2] ، والدينار اما ان يكون بيزنطياً "توميسما"[3]، او ديناراً فاطمي سك في عهد الخليفة المستنصر (427-487هـ/ 1035-1094م)[4] وهذا كان متداولا في كثير من المدن الساحلية التابعة للدولة الفاطمية .

---

[1] النوادر السلطانية ، ج1 ، ص255 .

[2] النبراوي ، النقود الصليبية في الشام ومصر ، ص171 . ذلك ان اوروبا كانت غارقة في نظام نقدي يعتمد على الفضة كأداة للتبادل التجاري والمعاملات المالية ، ولم تكن هناك ضرب للعملات الذهبية في غرب اوروبا باستثناء صقلية والاندلس المسلمة ، إذ توقف الذهب ليستخدم كأداة للدفع ، بسبب انقطاع تجارة البحر المتوسط وتوقفها عن غرب اوروبا لقرون عديدة . ينظر: زيتون ، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص46؛ رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ، ص419. فكان اغلب عملاتها محلية إذ كانت تفتقر الى عملة دولية تسير معاملاتها التجارية . يقول بيرين :" لم يبدأ سكان الغرب في معرفة اهمية النقود في تسيير المعاملات الدولية الّا من خلال الحروب الصليبية " ينظر: تاريخ اوروبا في العصور الوسطى ، ص176.

[3] Prawer , The latin kingdom of Jerusalem , p383 ؛ Weschke and Ursula Hagen , Gold middle ages, 1983 ,P12.

[4] النبراوي ، النقود الصليبية في الشام ومصر ، ص37؛

Ali ,Wijdan , Islamic coins during the Umayyad ,Abbasid, Andaiusian and Fatimid dynasties , the American University in Cairo , 1999,p10.

اعتمد الصليبيون على هذه العملات وكذلك عملاتهم الفضية المرسلة اليهم من وراء البحار في معاملاتهم الحياتية ومنها صكوك البيع والتنازل عن الاراضي ومعاهدات السلام وعقود الزواج ، او القروض الممنوحة لتجار بيزا او جنوة او للدفع الفدية سواء الملك او اللوردات الذين وقعوا في ايدي المسلمين او لشراء خيانة الامراء والحكام[1] .

وبمرور الوقت وبعد ان توطد نفوذهم وتجذرت دولتهم ، قرر الصليبيون ان تكون لهم سياسة مالية يسيرون عليها وان تكون لهم عملة يكملون بها سيادة دولتهم الناشئة خاصة بعد ان اصبحت لهم اسواق ضخمة في الساحل الشامي والتي كان ينقصهم فيها اداة للتعامل المالي مع الاطراف الاخرى ، فوجد اهل الرأي عندهم ان انسب حلا لذلك هو اصدار عملات تتمتع بمقبولية لدى الاطراف المتواجدة ، على شرط ان تكون تقليدا ومحاكاة للعملات المتداولة ، فوقع اختيارهم على نسخ العملات الفاطمية المعاصرة دون البيزنطية منها[2] ؛ والسبب في ذلك ان الدينار الفاطمي تمتع بمقبولية عالية في الاوساط التجارية وله سمعته الكبيرة في عالم البحر المتوسط وامتداد تأثيرة الى اوروبا ، اضافة الى ارتفاع نقاوته إذ كان نسبة نقاء الذهب عالية جدا تصل الى اكثر من 90% لذا حمل عبارة "مستوى عال"[3] .

---

[1] L avoix , Henrix , Monnales alegendes Arabes frappes en Syrie par les croises , Paris , 1877 , P 52 ؛

نسيم ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ط3، دار الكتب الجامعية ، الاسكندرية ، 1971م، ص327.

[2] النبراوي ، النقود الصليبية في الشام ومصر ، ص25.

[3] Ali, Islamic coins during the Umayyad ,Abbasid, Andaiusian and Fatimid dynasties , P11 ؛ Schlumberger , Numismatique Lorient Latin , paris ,P130.

وهذا التفوق المصري في عملات الذهب يعود الى ان تاريخ هذه العملة في هذا البلد كان موغلاً منذ القدم ، وفي ذلك يقول المقريزي:" أما مصر من بين الامصار فما برح نقدها المنسوب الى قيم الاعمال وأثمان المبيعات ، الذهب خاصة كل سائر دولها جاهلية وإسلاما ، يشهد لذلك =

ويعود السبب في عدم اصدار الصليبيين عملات جديدة بإسمهم ؛ ذلك ان العملات الجديدة ذات الاصدار الجديد قد لا تستطيع منافسة العملات القديمة التي تتمتع بقوة شرائية هائلة في الاسواق التجارية والتي تؤمن لمقتنيها الحماية الكافي من مخاطر تقلبات الاسواق ، كما ان العملات الجديدة قد لا تكون محل ثقة من قبل التجار الذي كانوا ينظرون الى هذه المملكة بانها كيان طارئ قد يتلاشى في اي لحظة وينهار مؤسساته ومنها عملاته فيتعرضون الى خسائر تكون وطأتها عليهم شديدة.

نقوش النقود الصليبية المقلدة وكتاباتها كانت استنساخ للنقود الفاطمية ، إذ نقشت عليها الكتابات نفسها المسجلة على تلك النقود المتضمنة لفظ الجلالة " الله " ، واسم النبي "محمد" ، وأسماء الخلفاء ، ودور السك الاسلامية والتواريخ الهجرية تماما[1] ، وعلى الرغم من حرص الصليبيون في ان تكون العملات الجديدة صورة طبق الاصل من العملات الاسلامية ، الّا انهم كانوا يعوزون المهارة والدقة في الخط والكتابة فكان عيبها بأنها لم تكن مفهومة ، ولأنها صنعت بأيدي نقاشين غربيين يجهلون العربية والذين كان همهم فقط اعادة انتاج عملات غير معروفة معناها، تميزت نقودهم بكثرة الاغلاط فيها اضافة الى نسيان بعض الحروف والتواريخ ، وقد

= بالصحة أن مبلغ خراج مصر في قديم الدهر حديثه إنما هو الذهب اما الفضة فكانت بمصر تتخذ حليا واواني " . ينظر: اغاثة الامة ، تح : كرم حلمي فرحات ، ط1 ، عين للدراسات ، 1427هـ/ 2007، ص137 ، في حين ان الدينار البيزنطي تدهورت قيمته ولم يحافظ على مستواه اثر وفاة الامبراطور باسيل الثاني عام 415هـ/1024 م ، وما اعقبه من سوء الادارة وفقدانهم مناطق واسعة من آسيا الصغرى بعد هزيمتهم على يد السلاجقة ، وبمرور الوقت انخفضت درجة نقاءه تدريجيا واصبح اخف وزنا واقل قيمة ، اي ان السبيكة الذهبية اخذت تحتوي على كميات كبيرة من الفضة مقارنة بالذهب . ينظر:

Joachim ,Wesshkm and Ursula Hagen , Gold coins of the middle ages printed by Giesecke ,1983 ,p10.

[1]Prawer , The latin kingdom of Jerusalem , p385

؛ النبراوي ، النقود الصليبية في الشام ومصر ، ص27.

انتبه الصليبيون لذلك واعيدوا ضبطها خلال المرحلة الثانية حينما نسخت دنانير الخليفة الفاطمي ابي علي المنصور الآمر بأحكام الله 495-524هـ/ 1101-1129م[1] ، فكانت اكثر دقة من الاولى فوصل التقليد الصليبي للدينار الى نقطة اصبحت فيها العديد من الاحرف او الكلمات مثل التواريخ ومكان سكها قابلة للقراءة[2].

لقد كان اقتباس الصليبيين للتصاميم والنقوشً الاسلامية في عملتهم الجديدة خلال تجارتهم مع المسلمين ضرورة اقتصادية ، فلو استخدم الصليبيون نقوشاً مسيحية صريحة فأن ذلك قد يثير غيض المسلمين بوصفها تكريساً لحالة الاحتلال والموافقة عليه ، او تعد اساءة الى رموزهم ومقدساتهم الدينية ، فيدفعهم ذلك الى رفضها في عمليات التداول او قد يؤدي الى تحريمها من قبل رجال الدين .

اما اماكن ضرب هذه النقود فلم يهتم الصليبيون كثيرا في البحث عن دور جديدة وإنما اعتمدوا على الدور القديمة والموجودة في مدن الساحل التي كانت اماكن تقليدية في السابق لضرب العملات الفاطمية في بلاد الشام خاصة صور ، وطرابلس ، وعسقلان ، وعكا وكذلك في صيدا[3] .

عرفت النقود الصليبية الجديدة عند الغرب بإسم "Byzantini Saracenati " او "البيزنت الصليبي" ، وفي المصادر العربية بإسم "الدينار الصوري"[4] ، وهذه التسمية

---

[1] الآمر بأحكام الله : بن المستعلي بالله ، ولد سنة تسعين وأربعمائة، وبويع له من قبل الافضل ونصبه مكان ابيه بالخلافة وله من العمر خمس سنين، توفي من غير عقب عام 524هـ/1129م ينظر: المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ، ج3 ، ص31 ؛ ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص174.

[2] Schiumberger ,Numismatique Lorient Latin , P132-136.

؛ العش ، محمد ابو الفرج ، النقود العربية الاسلامية ، ط3 ، الدوحة ، 2003م ، ص45.

[3] Schiumberger ,Numismatique Lorient Latin ,Paris ,1877 P142.

[4] النبراوي ، النقود الصليبية في الشام ومصر، ص25 . المصادر الاسلامية التي ذكرت الدينار بهذا الاسم فهي : ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ج1 ، ص274 ؛ ابن الاثير ، الكامل=

جاءت اليها اما نسبة الى مدينة صور والتي كانت ايام الفاطميين دار لضرب النقود في الساحل الشامي ، او لعلها دنانير صليبية مصورة أي منقوش عليها صور ملوك مملكة بيت المقدس[1] ، والباحثة ترجح الراي الاول مع الاعتقاد ان هذه المدينة قد شهدت اول عملية سك لأصدار النقود الصليبية فنسبت اليها التسمية الصورية.

وعلى الرغم من ان الدينار الصليبي حمل شكلاً مشابه للدينار الفاطمي الّا ان محتواه كان مختلف فهو اقل قيمة واخف وزنا ، إذ يبلغ 3,5 الى 3,7 غم ، اما وزن الدينار الفاطمي فيبلغ 25 ،4 غم ومن ثم فأن الدينار الصليبي كان يمثل تقريبا ثلثي الدينار الفاطمي[2] ، وهذا كان واضحا من خلال رواية ذكرها ابي شامة للعماد الدين الاصفهاني[3] خلال مرض صلاح الدين الايوبي سنة 581هـ/1185م قال فيها: " أَمرني أَن أكتب الى نائبه بدمشق الصفي بن القابض يتصدق بخمسة آلاف دينار صورية فقلت ما عنده غير دنانير مصرية فقال يتصدق بها مصرية خمسة آلاف لنفوذ من الثواب بأضعاف" ، وهذا يعني ان النقود المصرية كانت اكثر قيمة شرائية من النقود الصليبية .

الفرق في وزن العملتين كانت له نتائج اقتصادية سيئة في الديار الاسلامية ، فحينما تدفقت العملات الصليبية المقلدة الى الاسواق العربية ومنها مصر خلال العهد الايوبي ، سببت هذه العملات ارباكا في المعاملات التجارية ، وتدهور على اثرها قيمة الدينار المصري ، كما كثرت حالات الغش بها خاصة وان الاغلبية من عامة الناس كانوا جاهلين بها فأدى ذلك الى خسائر اقتصادية ، الامر الذي دعا

= في التاريخ ، ج9 ، ص395 ؛ ابي شامة ، عيون الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ج3 ، ص29 ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج15 ، ص499.

[1] النبراوي ، النقود الصليبية في الشام ومصر ، ص30.

[2] Prawer , The latin kingdom of Jerusalem , p385

؛ رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ، ص419.

[3] عيون الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ج3 ، ص241.

صلاح الدين الايوبي الى ابطال هذه النقود ومنع تداولها وان يكون ما يضرب من الدنانير ذهباً مصريا[1].

لقد كان سك النقود الذهبية من الحقوق الملكية التي لا يمكن ان يتجاوزها الامراء، لكن هذا الامر لا يشمل النقود النحاسية ، فقد ثبتت الاكتشافات الاثرية وجود مثل هذه النقود تعود الى أمراء من مدن ساحلية عدة ومنها يافا وصيدا وبيروت وصور اغلبها تعود الى النصف الثاني من القرن 7هـ / 13م[2] ، وفي طرابلس كان الوضع فيها مختلف ، فكان حق سك العملات من قبل تجار البنادقة وتحت ادارة شخص مسؤول يدعى "صاحب السكة"[3] ، فسكت فيها البيزنتات الذهبية والدراهم الفضية ، وانصاف الدراهم ، والعملات النحاسية ، وهذه البيزنتات تتشابه كثيراً مع العملات الفاطمية التي سكت في عهد الخليفة المستنصر وحفيده الآمر بأحكام الله[4].

لم تحافظ النقود الصليبية على معيارها النقدي من الذهب فسرعان ما تعرضت الى الانهيار بعد انكماش الاسواق التجارية في الساحل الشامي وذلك اثر معركة حطين 583هـ/ 1187م ، كما ان البلاد الاسلامية في عهد صلاح الدين شهدت انخفاضا كبيرا في الذهب فاستبدل بالعملة الفضية[5] ، فاضطرت السلطات الصليبية

---

[1] المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج1 ، ص212.

[2] Prawer , The latin kingdom of Jerusalem , p391

؛ ماير ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص295.

[3] سالم ، طرابلس الشام ، ص205؛ زيتون ، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص167.

[4] الطحاوي ، الاقتصاد الصليبي ، ص164 .

[5]John Porteous , Crusder coinage with Greek or Latin , p379

؛ البنا ، اسواق الشام في عصر الحروب الصليبية ، ص136. وتجدر الاشارة انه منذ عهد صلاح الدين اصبح الذهب نادرا وفقد مكانته كمعيار نقدي ثم تم اعتماد الفضة كمعيار رسمي واصبح الذهب سلعة ليس لها قيمة ثابتة تخضع الى سعر السوق المتقلب ، ويمكن ان نرد اسباب ندرة الذهب في عصر الايوبيين الى عاملين رئيسيين : اولهما "الاكتناز" الذي لجأ اليه سلاطين الدولة الايوبية للاحتفاظ بالنقود الجيدة فقط من الدنانير الذهبية دون غيرها ، =

الى سك الدراهم الفضية وتقليد النقود الاسلامية كما هو الحال حينما تم تقليد دراهم الملك الظاهر غازي[1] والتي ضربت بدار سك النقود في عكا[2].

نقشت النقود الصليبية في مراحل لاحقة بايدي الاسرى الشاميين الذين كانوا يتقون العربية ، فنرى كتابات الدراهم المقلدة للدرهم المسكوك في عهد الملك الكامل[3] متقنة وليس فيها من العيوب والاخطاء الامر الذي لا يمكن تمييزها عن النقود الايوبية الصحيحة المضروبة بدمشق[4] ، وبمرور الوقت وفي سنة 658هـ/1260م واثناء حكم السلطان المملوكي سيف الدين قطز[5] قام الصليبيون بتزييف الدراهم الاسلامية المعروفة " اليافيه " ونجحوا بتسريبها الى المعاملات المالية في بلاد الشام مما نتج عن ذلك ان كثرت النقود وتدهور قيمتها مما اصاب الناس غلاء شديد في جميع

= وثانيهما تسرب الذهب من البلاد لسبب أو لأخر خلال العمليات الحربية التي ارتبطت بها مصر منذ أواخر العصر الفاطمي واوائل العصر الايوبي. ينظر: ابن بعرة ، منصور الكاملي ، كشف الاسرار العلمية بدار الضرب المصرية ، تح : عبد الرحمن فهمي ، القاهرة ، 1966م ، ص40؛ Baul, History of the Dirhem in Egypt from the Fatimid conquest until the collapse of the Mamluk Empire ,2018 ,p113. Balog,

[1] الظاهر غازي : أبو الفتح وأبو منصور غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولد بالقاهرة 568هـ/1172م ، اعطاه والده مملكة حلب سنة 582هـ /1186م وبقي فيها الى ان توفى عام 613هـ /1216م ينظر: ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج4 ، ص6-7.

[2] علي ، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين ، ص120.

[3] الملك الكامل : ابو المعالي محمد ، ابن الملك العادل ابن ايوب ، ولد سنة 576هـ ، وتملك الديار المصرية اربعين سنة ، وكان اجل اخويه المعظم والاشرف واعقلهم ، توفي سنة 635هـ. ينظر: ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج5 ، ص79 ، ص83؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج22 ، ص127.

[4] النبراوي ، النقود الصليبية ، ص61.

[5] سيف الدين قطز: احد المماليك الذي تولى عرش مصر سنة 657هـ / 1259م مكان ابن استاذه الملك المنصور فخلعه من السلطنة وحل مكانه وتلقب بالملك الظافر ، هزم المغول في معركة " عين جالوت " ينظر: ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج3 ، ص199-207 ؛ الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، ج3 ، ص291.

الأشياء منها المأكول والملبوس وغيرهما وفي ذلك يتحدث اليونيني[1]:" أنه كان في المائة نحو خمسة عشر درهماً فضة والباقي نحاس وكثرت في أيدي الناس وتحدث في إبطالها مراراً فبقي كل من عنده شيء حريص على إخراجها خوفاً من بطلانها فتراه يدب في شراء أي شيء كان فيتزايد في السلع بسبب ذلك إلى أن بطلت في آواخر هذه السنة فعادت".

استمر تداول العملات الذهبية والفضية ابتداء من حكم بلدوين الثالث(547-558هـ/ 1152-1162م) حتى عام 1250م / 648هـ عندما حضر المندوب البابوي بصحبة الملك لويس التاسع ملك فرنسا[2] الى عكا ، وانصدم برؤيته النقوش الاسلامية على عملات مسيحية ومنها اسم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وتاريخ ميلاده ، فاوصل خبرها الى البابا انوسنت الرابع الذي رفض ذلك ودعا الى سك نقود جديدة والّا يكون عقابهم الحرمان، فامتثلت السلطات الصليبية لهذا الطلب بطريقة لا تثير غضب التجار المسلمين وتؤدي بهم الى مقاطعتها ، فقامت بسك عملات ذهبية جديدة وابقت فيها الكتابة باللغة العربية لكن كانت محتوياتها مسيحية ومنها نقش كلمات العقيدة المسيحية وهي (الاب ، الابن ، روح القدس)[3] .

---

[1] قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد(ت726هـ) ، ذيل مرآة الزمان ، ط2 ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، 1413هـ/ 1992م ، ج1 ، ص376.

[2] الملك لويس التاسع اشتهر بورعه وتقواه حتى لقب بالقديس ، تولى الحكم في فرنسا سنة623هـ/ 1226م وقد اصيب بمرض خطير اواخر عام642هـ/ 1244م ، فنذر اثناء مرضه ان يقوم بحملة صليبية إذا شفى ، ولما تم شفاؤه وجد في تلك الحملة فرصة طيبة للوفاء بنذره ، فتوجه الى الشرق عام646هـ/ 1248م قائداً للحملة الصليبية السابعة ، توفي عام668هـ/ 1270م . ينظر: عاشور ، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى ، ص229- 234.

[3] Prawer , The latin kingdom of Jerusalem , P386 ؛ John Porteous , Crusder coinage with Greek or Latin Inscriptions , Insetton , v6 , 1969 , P 459 ؛ Schlumberger , Numismatique Lorient Latin, p140.

ثالثاً : النظام الائتماني

كان تنظيم الائتمان أداة اخرى للمنافسة التجارية[1] ، وفي عصر الحروب الصليبية ونتيجة لأتساع حركة التبادل التجاري واقامة علاقات تجارية بين الصليبيين والمسلمين وتنوع العملات المسكوكة وتقلب اسعار العملات خاصة بعد وجود العملات الاوربية مثل العملات الفرنسية والتي تتميز بكونها غير مستقرة ومعرضة للتخفيض من قبل حكوماتها ان نشط الاهتمام بالعمليات المصرفية والاقبال عليها ، فمرت هذه العمليات بمراحل متعددة ، ففي المرحلة الاولى ونتيجة لكثرة المعاملات التجارية في السواحل الشامية وازدحام التجار ان تطلب وجود وظيفة مثل " الصراف" تكون مهمته تبادل العملات الاوروبية بالعملة المحلية بعد حساب فرق العملة ، كذلك كان عليه ان يحتفظ بالودائع المالية للتاجر مقابل الحصول على عمولة تقدر بدرهم عن كل دينار ويحصل منه المودع على صك بما دفعه وكلما اشترى بضائع سدد ثمنها بهذه الصكوك ، وهذه الطريقة تعرف "بالسفتجة او الحوالة" ، والتي استخدمت لتفادي خطر نقل المعادن الثمينة كالذهب والفضة[2] .

مورست الاعمال الصيرفية في المراكز التجارية الكبرى في الساحل الشامي ، خاصة في عكا وفي قيسارية وفي طرابلس وفي صور ، وقد خصصت لهم شوارع او ساحات خاصة ، واغلب هؤلاء الصرافون كانوا من الايطاليين واليهود والباقي من اهل البلاد الاصليين المسيحيين[3] .

---

(1) Lopez , The commercial revolution of the middle ages , p103.

(2) براور ، عالم الصليبين ، ص168 ؛ علي ، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين ، ص113؛ زيتون ، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص54.

(3) Smth,The feudal nobility and the kingdom of Jerusalem 1174-1277, p8 P ؛ Prawer , The latin kingdom of Jerusale, p383.

؛ براور ، الاستيطان الصليبي ، ص458.

ومن مهن الصراف ايضاً تمييز النقود ومعرفة ما زيف منها[1] ، وقد بان اهمية هذا العمل بعد ظهور النقود الصليبية المقلدة خاصة وأن اغلب الناس قد لا يستطيعون التمييز بين الخبيث والطيب منها فيقعون في حبائل النصب والاحتيال من قبل التجار انفسهم ، وهذه الوظيفة كانت معروفة في النظم الاسلامية بأسم "الجهبذ" وهو الناقد العارف بجيد المال ورديئه[2].

لم تكن الاعمال المصرفية بالشيء الجديد عند المسلمين على عكس اوروبا التي لم تعرفه الّا من خلال الحروب الصليبية ، فقد تعامل المسلمون به منذ فترة طويلة خاصة صيارفة الكوفة ، ثم تطور عمل الصيارفة خلال توسع العمليات التجارية في العصر العباسي الثاني الى ان تم انشاء اول مصرف تجاري عام 301هـ / 913م[3] ، وقد اخبرت كتب الجغرافيين والرحالة بمعرفة العرب المسلمين بهذه الحرفة وأنها لم تكن عليهم بالجديدة ومنهم ابن حوقل[4] الذي رأى صكاً في سجلماسة[5] خلال رحلته للمغرب في القرن الرابع الهجري كتب بدين شهد عليه العدول بيد تجار البصرة والكوفة، كما ذكر ايضاً الرحالة ناصر خسرو[6] اثناء جولة له في البصرة سنة 443هـ/1051م بأن هناك في اسواقها صراف يودع عنده المتبضعين اموالاً فيقوم هو بأصدار صكوكاً لهم فيشترون كل ما يلزمهم دون ان يدفعوا شيئاً للبائعين .

---

[1] براور ، عالم الصليبيين ، ص168.

[2] ينظر: القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج5 ، ص438 ؛ وينظر: القوصي ، اليهود في ظل الحضارة الاسلامية ، مركز الدراسات الشرقية ، القاهرة ، 1422هـ ، ص92-93.

[3] العمر ، فؤاد عبد الله ، مقدمة في تاريخ الاقتصاد الاسلامي وتطوره ، ط1 ، جدة ، 2003م ، ص249.

[4] صورة الارض ، ص61.

[5] سجلماسة : مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان ، بينها وبين البحر عدة مراحل وأهلها أخلاط والغالبون عليها البربر وأكثرهم صنهاجة. ينظر: اليعقوبي ، البلدان ، ج1 ، ص198 ؛ القزويني ، آثار البلاد واخبار العباد ، ج1 ، ص42.

[6] سفر نامة ، ج1 ، ص146.

وقد تطورت الاعمال الصيرفية في المملكة الصليبية والحقت بها "المقارضة " وهذا النظام يقوم على مال يدفعه شخص الى تاجر يقوم بتشغيله والتجارة فيه على ان يكون الربح منه بشروط مخصوصة ، وتكون الخسارة فيه على صاحب رأس المال[1].

كان اكثر المتصرفين هم من التجار اليهود[2] ، ثم توسع هذا النشاط ليشمل الهيئات الدينية المسيحية بعد ان عدته الكنيسة اول الامر خطيئة مميتة ، فتراجعت عن موقفها المتشدد هذا وسمحت لأتباعها المشاركة بهذه الاعمال[3] ، وبموجب هذا التسامح اشتغلت الداوية في هذا الميدان ؛ ولأنها تحظى بتأييد عالمي خاصة في كل اوروبا والشرق اصبحت في القرن 7هـ / 13م من اكبر الهيئات المصرفية في العالم، وقد اشتهرت بسمعة مالية كبيرة فحازت على ثقة التجار حتى ان المسلمين استفادوا كثيراً من اموالهم في تمويل مشاريعهم التجارية[4] ، وهذا ما نلحظه في تجارة اثنين من تجار دمشق يذكرهما ابن جبير في روايته احدهما يدعى نصر بن قوام والثاني ابي الدر ياقوت جاءا الى الساحل الشامي في القرن 6هـ / 12م لتشغيل تجارتهما فيقول في ذلك :" ولهما الامناء من المقارضين" ويبدو ان المقصود بالامناء هم الداوية الذين ازداد ثراؤهم حتى اعمت الاموال ابصارهم ولم يعد يهمهم قضيتهم الدينية ، فازدادت عروضهم في اقراض الاموال مقابل فوائد مرتفعة[5]، حتى غدوا في في

---

(1) علي ، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين ، ص115.

(2)The feudal Nobility and the Kingdom of Jerusalem 1174-1177,P81.

(3) كولتون ، عالم العصور في النظم والحضارة، ترجمة : جوزيف نسيم ، ط3، دار النهضة ، بيروت ، 1981م ، ص294 ؛ بيرين ، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى ، ص133. أذ خفف التحريم بحالات مختلفة ، منها أذا حدث خسارة كبيرة للاموال ، او انقطاع المكسب ، أو ضياع رأس المال.

(4) رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ، ص420؛ سوريال عطية ، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ، ص180.

(5) Rey , Les colonis franques de syrie,p118.

القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي هم سادة النشاط المصرفي في عكا واصبحوا اكثر قوة وتمردا من ذي قبل حتى انهم رفضوا منح فيليب لويس ملك فرنسا قرضا اثناء الحملة الصليبية الثانية ، فشكاهم الى كبيرهم ابرار دي بارو فارسل هذا من انطاكية النقود المطلوبة على ان تسدد في فرنسا[1] .

ومن القروض التي انتشرت عهد الحروب الصليبية قرضٌ يستثمر بها التاجر أمواله في المشاريع التجارية عبر البحر يسمى " القرض البحري" " The sea loan" ، وهو احد اقدم اشكال العلاقة التعاقدية بين الافراد ويمثل مزيج من عقد القرض وعقد التأمين والذي تم تكييفه ليتوافق مع احتياجات التجارة البحرية ، فمثلاً تاجر من جنوة يحتاج الى أموال لشراء سلع من الشرق فيوفرها المقرض شريطة ان يدفع له فائدة ، وهذه الفائدة تفسر على انها ليست ربا وإنما مجرد مكافأة أو تأمين لمخاطر الطريق[2].

---

[1] زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ص165-166؛ رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ، ص420؛ البنا ، اسواق الشام ، ص155.

[2] Hover , Calvin ,The sea Loan in Genoa in the Twelfth Century , The Quarterly Journal of Economice ,Vol. 40 , No.3, 1926 , P.495 ,p.501,p.502.

الفصل الرابع

الآثار الناجمة
عن المتغيرات الاقتصادية لسواحل بلاد
الشام ابان الحروب الصليبية

المبحث الاول: اثر المتغيرات الاقتصادية على الاستيطان الصليبي في سواحل بلاد الشام ابان الحروب الصليبية

سكن بلاد الشام اقوامٍ مختلفة منذ اقدم العصور وذلك بحكم موقعه المطل على البحر المتوسط واتصاله بدول عديدة ، وهذه الاقوام تنتمي الى اجناسٍ شتى فمنهم المصريين والحيثيين والآشوريين والفرس واليونان والرومان ، اما الساحل الشامي ولأهمية موقعه فكان يسكنه خليط من مولدي الرومان واليونان[1]، ومنذ حروب التحرير الاسلامية وما تلاه من العصور ، ونتيجة لسياسة الامويين وكما بينا في الفصل الاول تغلب العنصر الاسلامي في هذا الاقليم[2] ، وبمرور الوقت وعلى اثر امتداد نفوذ الدولة الفاطمية الى ارضه شكلت الفسيفساء الشيعية التيار السائد فيها ، فظهرت اسر عربية تدين بالمذهب الشيعي تمكنت وكما بينا سابقاً من تأسيس أمارات لها في صور وطرابلس[3] ، كما سكن الساحل الشامي وبالذات في الجبال المعروفة بالنصيرية الطائفة "العلوية او النصيرية"[4] ، في حين تواجدت طائفة الدروز وهم

---

[1] زكي ، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والفرنج خلال الحروب الصليبية ، ص78 –79.

[2] ينظر: ص30.

[3] ينظر: ص41–42.

[4] العلوية او النصيرية : وهؤلاء يؤمنون بنبوة رجل يقال له محمد بن نصير النميري ، يفرطون في حب الامام علي بن ابي طالب (ع) الى حد التأليه لذا اطلق عليهم بالعلويين . ينظر: النوبختي ، الحسن بن موسى (ت في القرن الثالث) ، فرق الشيعة ، ط1 ، منشورات الرضا ، بيروت ، 1433هـ / 2012م ، ص148؛ الشهرستاني ، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت548هـ) ، الملل والنحل ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1413هـ/ 1992م ، ج1 ، ص192 ؛ وينظر ايضاً : الحريري ، ابو موسى ، العلويون النصيريون ، ط1، بيروت ، 1400هـ/ 1980م ، ص209–210.

جماعة ادعت بآلوهية الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله[1] في جبال لبنان بالقرب من صيدا وبيروت[2] ، واما طائفة الاسماعيليين المعروفة "الاسماعيلية النزارية"[3] فقد سكنت في دائرة من القلاع المنتشرة في الساحل، ومن اهم هذه القلاع قلعة المصياف قرب طرابلس[4] ، وقلعة المرقب ، وقلعة الكهف الى الشمال من طرطوس[5] .

انتشار الاسلام في الساحل الشامي لا يعني نهاية الوجود الذمي من مسيحيين ويهود، إذ ان هؤلاء ونتيجة للحرية الدينية وروح التسامح التي تمتعوا بها في كنف الدولة الاسلامية خاصة خلال السيطرة الفاطمية فيما عدا فترة الحاكم بالله ، كانوا يعيشون جنباً الى جنب المسلمين ومنهم المسيحيون واليهود ، ولهم حقوق متساوية مع المسلمين ومنها حرية ممارسة شعائرهم الدينية[6] .

---

[1] وأول من دعا الى هذه المقالة محمد بن اسماعيل الدرزي في مصر خلال فترة الحاكم الفاطمي سنة 408هـ ، لكن دعوته قوبلت بالرفض من قبل الناس فهرب على اثرها الى الشام وخرج الى الجبال هناك ونشر دعوته فيها . المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ، ج2 ، ص113 ؛ ابن تغربردى ، النجوم الزاهرة ، ج4 ، ص184.

[2] كرد علي ، خطط الشام ، ج6 ، ص264.

[3] الفرقة الاسماعيلية النزارية : فرقة انحرفت عن خط الاسماعيلية بعد وفاة الخليفة المستنصر بالله 487هـ/ 1094م وقيام وزيره الافضل بمبايعة ابنه المستعلي خليفة من بعد ابيه دون اخيهالاكبر نزار ووالمنصوص له بالخلافة ، رئيس هذه الفرقة الحسن بن صباح الذي ادعى بأنه سمع من المستنصر بأن أبنه نزار هو صاحب الامر من بعده . ينظر : المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ، ج3 ، ص11 وينظر : حسين ، محمد كامل ، طائفة الاسماعيلية تاريخها . نظمها وعقائدها ، ط1 ، مطبعة التأليف والنشر ، القاهرة ، 1959م، ص62.

[4] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص144.

[5] زيد ، الصليبيون واسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، 1980م ، ص89-96؛

Lammens , La Syrie précis historique , p221.

[6] رمضان ، المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، ص60.

كانت اغلب مناطق النفوذ المسيحي تتركز في الساحل الشمالي وذلك نتيجة السيطرة البيزنطية عليها خاصة في انطاكية والتي لم تغير سيطرة السلاجقة عليها من تركيبها الديني والتي اغلب سكانها كان من انصار مذهب اليعاقبة ويتبعون مذهب الكنيسة الارثدوكسية[1] ، لكن اكثر الطوائف المسيحية انتشاراً هم الموارنة الذين ينتمون الى الكنيسة الكاثوليكية[2] ، وهؤلاء سكنوا الجبال المجاورة بالقرب من بيروت وطرابلس ، وقد سهل هؤلاء النصارى مهمة الصليبيين في غزو بلاد الشام واصبحوا لهم أدلاء ومرشدين عبر تعريفهم بأيسر الطرق الى بيت المقدس بل هم الذين نصحوهم بأتخاذ طريق الساحل في عبور عساكرهم اليه[3] ، اما اليهود فهم اقلية في البلاد الشامية ، وقد تعرضوا في مدينة القدس خلال الحملة الصليبية الاولى الى عمليات ابادة على يد القوات الصليبية فتم حرقهم وهم احياء ، كما بيعوا عبيداً في اسواق اوروبا مما ادى الى نزوحهم الى المدن الساحلية[4] وهذا ما نلاحظه نلاحظه من خلال احصائية قام بها بنيامين التطيلي[5] خلال رحلته الى بلاد الشام سنة 561هـ/ 1165م ، احصى فيها مجموع اليهود على ستة وسبعون الفا كانوا موزعين على المدن الساحلية وهو عدد كبيراً إذا ما قارناه بالمدن الاخرى ، وعلى الرغم من قلة اعداد هؤلاء اليهود لكن دورهم في نشاطها الاقتصادي كان كبيراً وكما

---

(1) الصوري ، الحروب الصليبية ، ج1 ، ص333 .

(2) الكنيسة الكاثوليكية : وهي كنيسة روما والتي تتبع المذهب الذي يقول بان للمسيح طبيعتين ومشيئتين فالمسيح اقنوم آلهي بحت ولكن له ذاتان وكيانان هما الإله والانسان. ينظر : شلبي ، المسيحية ، ص194.

(3) الصوري ، الحروب الصليبية ، ج2، ص62؛ وينظر: سالم ، طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي ، ص227 ؛ رمضان ، المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، ص62.

(4) براور ، الاستيطان الصليبي ، ص284-285.

(5) والاحصائية التالية تبين عدد اليهود في المدن الساحلية الشامية : اللاذقية 3200، جبلة 4 ، جبيل 5150 ، بيروت 650 ، صيدا 720 ، صور 9400، عكا 10200، حيفا 11، قيسارية 13200 ، يافا301 ، عسقلان 33200 . ينظر: رحلة بنيامين التطيلي ، ص49.

بينا ذلك من خلال انخراطهم في الاعمال التجارية والصناعية والتي جلبت الازهار الاقتصادي لهذه المدن .

خلال الحروب الصليبية وعلى الرغم من محاولات الغزاة المتكررة استيطان الارض وخلق مجتمع غربي في مدن السواحل الساحلية عبر طرد المسلمين وخلخلة البنية السكانية لها وذلك اما بالقتل او التهجير[1] ظل الطابع الاسلامي هو السائد فيها بعد ان عاد المسلمون ثانية ليستقروا في المدن والقرى[2] ، وهذه الحقيقة اكدها الرحالة ابن جبير خلال مروره لمدن الساحل الشامي بعد فترة طويلة من الاحتلال وبالتحديد سنة 578هـ/1182م وذلك بقوله:" وكل ما بأيدي الإفرنج من المدن بساحل الشام على هذه السبيل رساتيقهم كلها للمسلمين وهي القرى والضياع"[3] ، وعلى الرغم من محاولات الغزاة تأسيس مملكة استيطانية وبناء مجتمع يكون طابعه غربي الّا ان هذه المحاولات كانت عقيمة ؛ والسبب في ذلك انقسام الصليبيين الى

---

[1] روت الكثير من المصادر الاسلامية واللاتينية المجازر التي اقترفها الفرنج بحق السكان المسلمين في الساحل الشامي ، ومنهم السمعاني وهو شاهد عيان لما حصل من تهجير لهذه المدن يصف الحال في قيسارية حينما زارها بعد استيلاء الفرنج عليها ويقول :" دخلتها يوم الجمعة وقت الصلاة فلم أجد بها من المسلمين إلا رجلا واحدا وأهله" . ينظر: عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت562هـ) ، الانساب ، تح: عبد الرحمن بن يحيى ، ط1 ، حيدر آباد ، 1382هـ/ 1962م ، ج10 ، ص537. ومن المؤرخين اللاتين من يؤيد هذا الكلام ومنهم الشارتري الذي وصف الحالة السياسية لمدينة عكا عند دخول الفرنج اليها :" بعد ان سقطت المدينة بهذا الشكل قتلوا كثيراً من الشرقيين ، ولكنهم سمحوا لبعضهم بالحياة واخذوا جميع ممتلكاتهم" ينظر: تاريخ الحملة الى القدس ، ص131 . وظاهرة التغيير هذه نتجت عن نزوح سكان المدن الاصليين في السواحل الشامية منها بعد ان تغلب عليهم الفرنج ، فهاجروا الى المدن الداخلية ومنها دمشق ، وحلب ، ومصر والعراق طلباً للأمان. ينظر: سلامة ، جلال حسني ، التهجير القسري لسكان فلسطين في العهد الصليبي في المدة الواقعة بين (492-551 هـ/1099-1156م)، مجلة جامعة القدس ، العدد 13 ، 2008م ، ص210.

[2] براور ، عالم الصليبيين ، ص76.

[3] رحلة ابن جبير ، ص275

عناصر تنتمي الى جنسيات مختلفة ومنهم الفرنسيون ، والالمان ، والنورمان ، والهنغاريون ، والفلمنك ، والاسكندنافية ، والبلغار ، والانجليز ، والاسبان[1] ، وهذه العناصر تنتمي الى طبقات عديدة اهمها: النبلاء والفرسان : وهي الطبقة الحاكمة للمدن الصليبية والتي تشكل العمود الفقري للمجتمع الصليبي وهؤلاء كانت اعدادهم تتناقص بسبب الحروب وعودتهم الى بلادهم[2] ، وبعد الطبقة الحاكمة تأتي طبقة المحاربين : واغلب من فيها هم من عامة الصليبيين من غير النبلاء ولا الفرسان ، عملوا مشاة في الجيش وتزاوجوا مع سكان البلد من المسيحيين فأثمر عن ذلك طبقة البولانيين ، ثم تأتي طبقة التجار الايطاليون الذين سكنوا الموانئ الساحلية وادوا دوراً كبيراً في تأسيس المستعمرات الصليبية ، وبمرور الوقت انصهروا مع الفرنج عبر الزواج من ابناء ساداتهم ، واستحوذوا على اقطاعات عديدة في المدن الصليبية كما هو الحال مع اسرة امبرياكو التي حصلت على جبيل بصورة كاملة[3] .

تمكن التجار الاوروبيون من تغيير البناء العمراني للمدينة الساحلية عبر تأسيس كيانات تجارية لهم نمت وتوسعت واصبح لها القدرة على الاستقلال عن المدينة الام، وتعرف هذه المستعمرات "القوميونات" ، وكانت بمثابة دولة داخل دولة تحكم نفسه وفق قوانين دولتها[4] ، وقد هيأت الامتيازات التي قدمها الملوك للمدن الايطالية

---

[1] الحويري ، الاوضاع الحضارية في بلاد الشام ، ص49.

[2] عاشور ، الحركة الصليبية ، ج1 ، ص492.

[3] عاشور ، الحركة الصليبية ، ج1 ، ص493 ؛ عطية ، امارة انطاكية الصليبية ، ص163.

[4] براور ، الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص110 ؛ زابوروف ، الصليبيون في الشرق ،ص249. واختلف الباحثين حول طبيعة وجودها والهدف منها ، ومنهم ماير ويؤكد بانها" اجسام غريبة في المدن ولم تضع نفسها في ظل أي مجموعة" ينظر: تاريخ الحروب الصليبية ، ص310-311 . ويقول سمث Smith عنهم : :" بأنها هيئات ثرية تستفيد من السياسات الخاطئة للحكام المتعاقبين " ينظر:

The Government in Latin Syria and the commercial Privileges of foreign merchants ,p109. =

الخطوة الاولى لتأسيسها ، ففي المعاهدة التي عقدتها تجار البندقية مع الوصي على مملكة بيت المقدس وليم دي يورز عام535هـ/ 1124 م اشترط فيها البنادقة مقابل الاستيلاء على عسقلان وصور ، على ان يصير اليها ثلث ايرادات كل المدينتين ويبقى الثلثان الآخران للملك ، اضافة الى انه يخصص للبنادقة في كل مدينة شارع ، وميدان، وكنيسة ، وحمام وفرن ، كما لهم حق الاعفاء من الضرائب والرسوم[1] ، ولم يكتف تجار هذه المدينة بكل هذا بل حصلوا على احياء كاملة في كافة مدن مملكة بيت المقدس ، وبخاصة عكا يقيمون فيها مؤسساتهم المختلفة اللازمة لإقامتهم ومباشرة نشاطهم التجاري ، كالفنادق والمخابز والطواحين والحمامات ، وهذه المؤسسات معفاة من الضرائب والمكوس[2] ، وبذلك استفاد هؤلاء التجار من حملاتهم في الحصول على موطئ قدم في بلاد الشام مما كان ضروريا لحياتهم التجارية ، حتى وصلت ممتلكاتهم في حدود 7هـ / 13 م اكثر من ثمانين قرية في صور وحيفا وعكا وطرابلس وعسقلان[3] .

= في حين يقول لوبيز Lopez :" كانت القوميونات الايطالية في الاساس حكومات للتجار من قبل التجار " . ينظر: Robert , The Commercial Revolution of the Middle age 950-1350 ,Cambridge University Press , 1976 ,P70. . وعلى الرغم من اختلاف هذه الآراء تبقى هذه الكوميونات ككيان لا يمكن الغاؤها في بنيان الدولة الصليبية اذ اصبح لها نصيب كبير في ادارة الدولة خاصة واصبحت اقوى سلطة تتحكم في تجارة البحار وتحسم القتال في البر . وللأطلاع على نموذج من هذه القوميونات ينظر: خريطة رقم (8) ص239.

[1] عمران ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص52 ؛ هايد ، تاريخ التجارة ،ج1 ، ص156.

[2] الصوري ، الحروب الصليبية ، ج2 ، ص379 ؛ وينظر: عاشور ، الحركة الصليبية ، ج1 ، ص519-520.

[3] Byrne , Eugene , Genoese Trade with Syria in the Twelfth Century , Vol 25 , 1920 , p 194 ؛ Conder , The Latin kingdom of Jerusalem , =

اما تجار جنوة فقد منحهم بلدوين الاول(494- 512هـ / 1100-1118م) قبال اخضاع مدينتي ارسوف وقيصيرية وعكا ، ثلث مساحة هذه المدن اضافة الى ثلث ايرادات جمارك ميناء عكا ، ومنحهم كذلك حيا في كل مدينة يستولي عليها[1]، وبعد الاستيلاء على طرابلس عام502هـ/ 1108م كوفؤا ايضاً بحصولهم على ثلث ايرادات المدينة ، ومنح لهم برتراند (521-525هـ/ 1109-1113م) جبيل كاملة كمستعمرة جنوية، إذ نجحت عائلة امبرياتشي[2] على حق الحكم الوراثي فيها مقابل مبالغ سنوية[3] ، كما ضمنت هذه العائلة جميع العائدات المالية للمستعمرات الجنوية في بلاد الشام من خلال الرسوم والضرائب المتأتية من تلك المستعمرات[4] .

واما تجار بيزا وعلى عكس اختيها وكما وضحنا سابقاً فالامتيازات التي حصلت عليها كانت قليلة[5] ، فاقتصرت على حياً في كل من اللاذقية وانطاكية يمارسون به تجارتهم منحهم اياهما تانكرد صاحب انطاكية(504- 506هـ/ 1110-1112م) بعد مساعدتهم له في الاستيلاء على اللاذقية عام501هـ/1107م[6].

= P208 ؛ Thompson, Economic and social history of the middle ages, ,p403.

(1) Richard , Royaume Latin de Jerusalem, p 219.

؛ هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص152-153.

(2) امبرياتشي : وهي عائلة ذات اصل فيكونتي ، سميت بهذا الاسم نسبة الى احد افرادها كان من أمراء البحر وقائد الاسطول الجنوي في الحروب الصليبية . ينظر: عاشور ، الحركة الصليبية ، ج1 ، ص360؛ بالار ، الحملات الصليبية والشرق ، ص304.

(3)Byrn ,Eugene , Genoese trade with Syria in the twelfth century , P195

؛ عامر ، الصليبيون في فلسطين ، ص35.

(4) Byrn, Genoese trade with Syria in the twelfth century , P201.

(5) راجع ص90.

(6) هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص158؛ عطية ، امارة انطاكية الصليبية ، ص133.

تمتعت هذه القوميونات باستقلالها السياسي والقضائي ، فلا يستطيع الامراء الاقطاعيون التدخل بشؤونها ، كما كانت لها عملات خاصة بها[1] ، وكان يتولى شؤونها رئيس له صلاحيات واسعة يسمى القنصل او الفيكونت[2] ، ويعرف عند مدينة البندقية البايل "Bail"[3]، وهو حاكم مرسل من الوطن الام ، يدير المصالح التجارية لبلاده ، ويعد واسطة بين القوميون وبين الملوك اللاتين ، يسانده في ذلك مجلس يضم موثقين تابعين له ، كما انه مسؤول عن المحكمة التي تهتم بالفصل في القضايا التي تخص مواطنيهم وحسب اصول المحاكمات في بلادهم ، ويستثنى منها فقط الجرائم التي تكون عقوبتها الموت كالقتل والاغتصاب ، كما ان له صلاحية بيع العقارات والاملاك ، والنظر في الديون، وبعد الانتهاء من كل ذلك ينهي الفيصل خدماته بتقديم تقرير يبين فيه حالة المستعمرات التجارية التي اوكلت اليه[4] ، وقد مثل مارسيليو جورجيو قنصل عكا للأعوام 638-642هـ/1240-1244م ، وهذا

---

(1) John Porteous , Crusder coinage with Greek or Latin Inscriptions , P378.

فمثلاً عملة البندقية هي الدوكات وكان معيارها من الذهب وبوزن 3,55غم و3,56 ونسبة الذهب فيه 99,7. ينظر: زيتون ، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب ، ص49.

(2) براور ، الاستيطان الصليبي ، ص115 ؛

Deepping ,Histoire Du commerce Le levant et Europe , p22-23.

(3) ديل ، البندقية جمهورية ارستقراطية ، ص34؛ زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ص208. وكان بايل البندقية ينتخب من قبل مجلس البندقية الكبير ، ويظل في منصبه لمدة عامين فقط وبراتب قدره 200 من الدوكات وله شخصية مميزة يشارك ابناء حيه في المناسبات والاحتفالات، وله لباس يختلف به عن الآخرين حيث يرتدي عباءة حمراء مطرزة بالذهب. ينظر:

Rey , Les colonis franques de syrie, p109.

(4) Rey , Les colonis franques de syrie , p69-72

؛ براور ، عالم الصليبيين ، ص121؛ الاستيطان في فلسطين ص115 ؛ حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج2 ، ص257 ؛

الشخص امتاز بقوته وقدرته على حل مشاكل جماعته ، إذ استطاع ان يستعيد حقوق المواطنين البنادقة بعد ان انتزعها الملوك اللاتين منهم بالقوة[1] .

تعد وظيفة القنصل علامة بارزة على تطور النظم التجارية بين الدول ومؤشراً على نمو العلاقات الاقتصادية واتساعها خلال العصور الوسطى ولأهميتها استمر وجودها حتى الوقت الحاضر في حين يدير شؤونها في مكان تدعى " القنصلية" .

عرف المسلمون هذه الوظيفة في فترة سبقت الحروب الصليبية فعند تتبعنا للعلاقات الاقتصادية امكنا ان نحدد تاريخ وجودها من خلال روايات رحلة التاجر السيرافي[2] والتي توضح من ان نظام القناصل كان معروفا عند المسلمين في حوالي القرن3هـ /9م حيث يذكر هذا التاجر ان في خانفو وهو ميناء في الصين يوجد فيه رجل مسلم يعد بمثابة القنصل ويكون موكل من قبل ملك الصين يحكم بين التجار المسلمين الذين يقصدون هذا الميناء وفق احكام الشريعة الاسلامية .

والظاهر ان وظيفة القنصل التي عرفها العرب كانت اختصاصتها محدودة بالشؤون التجارية ولم تكن لها صلاحيات واسعة مثل ما هو موجود في تلك القوميونات .

يوجد في قلب القوميون السوق وهو الركيزة الاقتصادية الاساسية والتي تجري فيه عمليات البيع والشراء وفيه الخانات والفنادق التي تقدم الوجبات الايطالية ، ويوجد فيه ايضاً المخابز والافران والحماماته اضافة الى الكنائس التي تهدى من كنائس الوطن الام ، واهم هذه الكنائس ، كنيسة القديس مرقس[3] في صور ، وعكا

---

[1] هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص334؛ حسين ، الاسواق في عكا ، ص100.

[2] ينظر: ابو زيد ، حسن بن يزيد (ت بعد 330هـ) ، رحلة السيرافي ، د . ط ، ابو ظبي ، 1999م ، ج1 ، ص24.

[3] القديس مرقس: احد تلامذة حواري السيد المسيح ، كان هناك اختلاف في محل ولادته فمنهم من يقول انه ولد في الجليل احدى مدن فلسطين ، ومنهم من يقول انه ولد في ليبيا ، نشر المسيحية في مصر واسس كنيسة الاسكندرية ، قتل سنة 68م على يد الوثنيين ، فنقلت جثته الى ايطاليا وبنيت حولها كنيسة سميت بأسم مرقس كذلك . ينظر: الواقدي ، فتوح الشام ، =

وبيروت[1] ، وسكان هذه القوميونات اغلبهم من ابناء الجالية الايطالية والبروفنساليين ، والاسبان[2] ، ويتكلمون فيما بينهم اللغة الايطالية ، اما الاتفاقايات فكانت تكتب باللغة اللاتينية المحشوة بالتعابير التجارية الايطالية[3].

تتطلب قيام المستوطنات التجارية في الساحل الشامي وقتاً طويلاً ، ويؤكد براور[4] انه في البداية كان وجود هذه القوميونات امرا مؤقتا ، وان عدد التجار فيها قليلا ، وذلك لأن التاجر كان مقيدا برحلته ، إذ كان يقضي من ثلاثة الى ستة اشهر في موسم الابحار ، ويقيم في الموانئ الشامية فقط في فصل الشتاء ، ويسمي فترة استيطانه تلك " فترة الاستقرار الشتوي" لكن بمرور الوقت ادى تضائل الخطر الاسلامي ، وازدياد الهجرة من اوروبا وتحول المستوطنات الصليبية الصغيرة الى مستعمرات كبيرة كل ذلك ساعد على توسيع التجارة ونمو هذه المستعمرات التجارية بصورة كبيرة[5] ، وحينما ازداد توجه اعداد كبيرة من التجار الايطاليين الى المدن الصليبية ، خلال النصف الثاني من القرن 6هـ / 12م تم بلورة هذه المستعمرات واتخاذها الشكل النهائي لها ، فتحول الاستقرار المؤقت الى دائم ، خاصة بعد ان

= ج2 ، ص73 ؛ حسين ، الاسواق في عكا ، ص72 ؛ صالح ، رباب عادل ، القديس مرقس مؤسس الكنيسة القبطية ، المجلة المصرية للدراسات السياحية ، مج9 ، العدد1-2 ، 2010م ، ص76-77.

[1] براور ، عالم الصليبيين ، ص121 ؛ بالار ، الحملات الصليبية والشرق ، ص302

[2] براور ، الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص110. والبروفنساليين ، والاسبان هم عناصر اوروبية وفدت الى بلاد الشام مع الصليبيين. الحويري ، الاوضاع الحضارية في بلاد الشام ، ص49.

[3] Prawer, Crusader insitutions , p220 .

[4] الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص114.

[5] Prawer , Crusaer Institutons , P221.

ازدهرت الاعمال التجارية وتحول السوق الموسمي الى سوق دائمي[1] ، وكان اكبر هذه الاحياء تلك التي موجودة في عكا ، فقد شغل القوميون البندقي منطقة واسعة على هيئة هلال يطل جزءه الجنوبي على البحر[2] ، اما الحي الجنوي فيعد اهم الاحياء في هذه المدينة واقدمها لكنه بلا منفذ الى البحر ، ويفصله عن حي البنادقة شارع السوق[3] ، ويتميز بثلاثة معالم رئيسة : قصر البايل ، والفندق الكبير ، والبرج القريب من البحر ، أما القصر فكان عبارة عن مبنى من طابقين او ثلاثة طوابق ، ويشغل الطابق الارضي ستة عشر متاجر كبيرة مع عدة غرف اخرى موزعة على ثلاثة طوابق ، ايجار الغرف يتراوح بين 6-34 بيزنت الصليبي، والفندق هو نزل ومخزن وسوق في آن واحد ، اما البرج فارتفاعه ثلاثة طوابق وفي اسفله غرفة مقببة بمثابة سجن[4] .

اما الحي البيزي فهو اصغر الاحياء ويسمى بإسم بيسان ، وتم امتلاكه عام564هـ/ 1168م ، ويوجد فيه مخبر وحمام ومساكن وحانة اضافة الى خان بمثابة مخزن ومعيشة لتجار البيازنة ، وتأثر هذا الحي بالاحداث السياسية التي مرت بالمنطقة، خاصة واقعة حطين583هـ /1187م وكذلك الحروب بين جنوة وبيزا، وفي كل مرة يتم تدميره واعادة اعماره من قبل التجار[5] ، وعند ذكر القوميونات في عكا فأن هذا لا يعني انها مقتصرة على تلك المدينة دون سواها ، إذ وجدت في مدن اخرى مثل طرابلس، وبيروت فبحدود النصف الاول من القرن7هـ/ 13م ظهرت

---

(1) براور، الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص114. وابرز هذه الاسواق سوق عكا. ينظر: حسين ، الاسواق في عكا زمن الحروب الصليبية ، ص114 .

(2)Prawer, Crusader insitutions , p230.

(3) بالار ، الحملات الصليبية والشرق ، ص176.

(4) Prawer , Crusaer Institutons , p233-234 ؛ Benvenisti, The crusaders in the holy land , p100 .

(5) Rey , Les colonis franques de syrie , p71 ؛Benvenisti, The crusaders in the holy land, P100.

الاحياء في طرابلس وتركز نشاطها في نقل المنتجات التي تشتهر بها هذه المدينة مثل الحرير والصناعات الزجاجية وقصب السكر الى اوروبا[1] .

وفرت القوميونات اموالاً ضخمة للملكة الصليبية من خلال الضرائب والتي كانت تأتي من الايجارات وعقود الايجار ورسوم الموانئ والغرامات القضائية[2] ، واصبح التاجر يتمتع بمزايا وامتيازات فاقت اقرانه في البلدان الاخرى ، فإذا اراد ان يقيم في البلد ، فأنه يختار الاحياء التي تنتمي لمدينته ، حيث النظام الاداري والشرطة في خدمته ، وكان لزاماً على السلطات اللاتينية توفير الحماية له[3] .

وخلاصة ما تم بيانه نستطيع ان نقول ان هذه القوميونات التجارية قدمت خدمات جليلة الى مملكة اللاتين ، إذ انها اسهمت الى حد كبير في الرفاهية الاقتصادية للمدن الساحلية وذلك من خلال خلق تيار تجاري هناك نتج عن تبادل للبضائع الشرقية والاوروبية الصادرة والواردة ، وبمرور الزمن اصبحت هذه القوميونات عامل ضعف للملكة ، إذ خلقت الاطماع التجارية واستثمار الاموال تنافساً كبيراً مشحوناً بالمصادمات بين سكان هذه الاحياء وقد يصل بها الى حد الحروب والاقتتال بينهم ، مما نتج عنه اوضاعاً غير مستقرة لمملكة ما وراء البحار ادت بها الى الانهيار والتلاشي.

---

(1) هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص337 ؛ زيتون ، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص165.

(2) James , Brundage , The crusades motives and Achievement ,printed in the U.S.A , 1964 , P61.

(3) هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص175.

المبحث الثاني : اثر المتغيرات الاقتصادية على الملاحة البحرية

شهدت حركة الملاحة البحرية تقدما كبيراً أبان الحروب الصليبية ، وكان لاستيلاء الفرنج على الموانئ الشامية اثر كبير في ذلك ، إذ اخذت اساطيل المدن الاوروبية تغدي وتروح في حركة مستمرة بين السواحل الشامية والاوربية من البحر المتوسط ، فبالإضافة الى خط متواصل من السفن القتالية يمر ذهابا وايابا بين موانئ شرق وغرب البحر المتوسط لنقل الامدادات الى الجنود[1]، كان هناك اساطيل تجارية تسير في رحلة بحرية ، وهذه الاساطيل يطلق عليها " قوافل " وتتألف من ثلاث الى عشر سفن ، والتي تسمى عند البنادقة "مراكب المدة " وتعني " القافلة الدورية " ، وبمرور الوقت اختفت كلمة مراكب واصبح الاسم مقتصراً على " مدة " ثم تطورت لتشير الى اوقات وصولها ورحيلها[2]، وهذه السفن تكون على انواع منها الهياكل ، والفوستاس ، والمربعات والتروس او السفن المستديرة ، والغليون والدرموند ، والسماك وسفن تسمى " Tarana " وهو نوع ثقيل مزود مزود بالمجاديف والاشرعة يستخدمه الجنويين لنقل الخيول والمؤن للصليبين[3] ، وهناك سفن اخرى تصل الى ميناء عكا وتكون على انواع مثل الكوكا والشلندي والبطسة تحمل السلع والتوابل وكميات كبيرة من الذهب والفضة وبداخلها اماكن للتجار والجنود والحجاج وسلع اخرى ، وتم بناء هذه السفن من قبل البنادقة وجنوة ومرسيليا[4] ، وكان بحارتها يجمعون بين الملاحة

---

[1]Meludi ,James , The age of the crusades , 1914 ,P378.

[2] فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، ص267؛

Heaton ,Economic history of Europe,p154.

[3]Mack , The merchant of Genoa,The crusades , The Genoa and the Latin East 1187-1220, P155 ؛ Conder , The latin kingdom of Jerusale, P213.

احمد ، الساحل الشامي في القرن الثاني عشر / السادس الهجري ودوره في الصراع الاسلامي الصليبي ، ص77.

[4]Rey , Colonies franques de syrie ,159 ؛ =

والتجارة فهم يستثمرون اعفائهم من اجور النقل لجلب سلع تجارية من الشرق وبيعها في الموانئ الاوروبية[1] ، ولتجنب مخاطر الطريق ومنها القرصنة في مياه البحر المتوسط[2] ، ترافق هذه القوافل سفن قتالية تدعى " القوادس[3]"[4] ، وكانت ادوات

= براور ، الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص420 ؛ حسين ، الاسواق في عكا ، ص298-299.

[1] براور ، الاستيطان الصليبي ، ص237.

[2] Conder ,The latin kingdom of Jerusalem ,p212

Tacchella , Cludia , The Genoese ships in the 12th and and 13th centuries , p4

؛ حمودي ، امام محمد واشرف صالح ، القراصنة في البحر المتوسط خلال عصر الحروب الصليبية ، بحث مقدم الى مجلة كان التاريخية ، السنة 11 ، العدد 42 ، 2018م ، ص79-80؛ هنري ، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى ، ص92.ويقول هايد بان القرصنة كانت تأتي دائماً من مواطني المدن الايطالية الثلاث (جنوة ، وبيزا ، وبدرجة اقل البندقية) قبيل الحروب الصليبية ، وكثيرا ما كانت هذه المدن والكلام لهايد تتسامح مع مواطنيها بخصوص هذا الموضوع ، وعند نشوب الحرب تولى بعض من هؤلاء القراصنة قيادة الاساطيل الحربية المتوجهة الى بلاد الشام . ينظر: تاريخ التجارة في الشرق الادنى ، ج1 ، ص244. ويتفق آرشيبالد مع هذه الرؤية لكنه يفرد جنوة وبيزا عن البندقية في قيامهما باعمال القرصنة والتي كانت تستهدف التجارة الاسلامية ومدن المسلمين المسيحية ، وذلك بدءاً من عام 1034م. ينظر: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ص315. والظاهر ان هذه الاعمال هي جزء من حروب بحرية جرت بين القوى المتنافسة للسيطرة على اجواء الملاحة في البحر المتوسط وازدادت فترة الحروب الصليبية.

[3] القوادس : سفن طويلة وضيقة مدفوعة بأشرعة ومجاديف مصممة للسرعة والقتال ، طولها 30-40 متر وعرضها 6 امتار وطاقمها حوالي مائة رجل ويحملون صفا واحدا من المجاديف ، كما تحمل مجموعة من الرماة . بيرين ، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى ، ص154.

[4] Mack , The merchant of Genoa,The crusades , The Genoa and the Latin East 1187-1220 , p154 ؛Rey , Colonies franques de syrie , p158-161 ؛ Depping, Histoire Du commerce Le levant et Europe , P 164 ؛Conder , The latin kingdom of Jerusalem , p214.

تسليحها هي القسي والاقواس والرماح والحجارة و(النار الاغريقية[1])[2].

تبحر الرحلات التجارية الى موانئ المستعمرات الصليبية بالشام مرتين سنوياً ، الاولى في الربيع والاخرى في الخريف[3]، ويعلل ابن جبير[4] سبب ارتياد السفن البحر في هذه الاوقات الى هبوب الريح الشرقية التي لا تهب فيها إلا في في هذين الفصلين والسفر لا يكون إلا فيهما ، وكان سير هذه السفن بطيئاً في البحر ، إذ ان اجتياز المسافة بين مرسيليا الى عكا يتطلب خمسة عشر يوما الى عشرين يوما ، بعد ان تجتاز المحطات التجارية ومنها جزر كريت وقبرص[5] ، وكانت الوسيلة الوحيدة لديهم لتحديد موقعهم في البحر هي تقدير المسافة التي قطعوها من نقطة معروفة ، إذ لم يستخدم هؤلاء الفرنج البوصلة في الملاحة الاّ بعد الحروب الصليبية وبالتحديد في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي على الرغم من ان العرب نقلوها لهم خلال الحروب الصليبية وبالتحديد في وقت مبكر من القرن السادس الهجري / الحادي عشر الميلادي[6]، ولمعرفة مسارهم كان عليهم الاعتماد

---

[1] النار الاغريقية : هي مركب كيميائي يتكون من مزج كبريت مع حامض الطرطريك والنترات وصمغ الفارسي والقار الخام ، يخلط الجميع وتغمس فيه نسيج كتان وتشعل فيها النار فينتشر اللهب منها سريعاً ، وسميت هذه النار بهذا الاسم نسبة الى الاغريق الذين قاموا باكتشافها. ينظر: العدوي ، الامويين والبيزنطيون ، ص168-169.

[2] البنا ، اسواق الشام ، ص103.

[3]Lammens , La Syrie précis historique , p254.

[4] رحلة ابن جبير ، ج1 ، ص284.

[5]Archer and charles lethbridge,The crusades the story of the latin kingdom of Jerusalem , Britiain , p365.

؛ عمران ، حضارة اوروبا في العصور الوسطى ، ص166

[6]Rey , Les colonis franques de syrie , p161 ؛ Day, History of commerce , p72

؛ سوريال عطية ، الحروب الصليبية وتأثيرها ، ص165.

على النجوم والشمس والتي في بعض الاحيان تحجبها الظروف الجوية غير الملائمة مثل الطقس العاصف[1].

ولتنظيم الملاحة البحرية وضبط امورها وضع الصليبيون قانونا يخص البحار والسفن ، وكان ذلك في زمن الملك عموري (558- 570هـ/ 1162-1173م) ، وتحت عنوان "Del mall consolato" اي "القانون البحري لمملكة بيت المقدس" ويخص كافة العمليات المتعلقة بالتجارة البحرية وعلى طول البحر المتوسط[2] ، اما تطبيق هذا القانون فيقع ضمن اختصاص محكمة البحر والمعروفة بإسم " محكمة السلسلة" ، والتي من بين مهامها الفصل في المنازعات المتعلقة بالتجارة البحرية وجرائم البحر التي يرتكبها البحارة على متن سفنهم[3] .

ومن بين المشاكل الملاحية التي تتطلب معالجتها هذه المحكمة حمولة السفن وملائمتها لوزن السفينة بحيث لا تتعرض الى الغرق في حال حمولة زائدة ، وكان القنصل او من ينوب عنه يحرص على مراقبة هذا الامر بشده ، وإذا ما وجد مخالفة فأنه يقوم بفرض غرامة مالية على ربان السفينة[4] ، لكن في حالة تعرض سير السفن الى طقس سيء او عاصفة شديدة فأن القانون يسمح للبحارة في تخفيف وزن السفينة عبر القاء البضائع في البحر دون اخذ موافقة التجار مالكي هذه البضائع ، ومن ثم وبعد ان ترسي السفينة في الميناء فأن محكمة الميناء تقدر قيمة البضائع التي تم القاؤها في البحر وتعوض التاجر الذي خسر بضائعه ، وبذلك ضمنت هذه

---

(1) Day , History of commerce , p72.

(2)Ludlow , james, Age of crusades , New york ,P378 ؛Conder ,The latin kingdom of Jerusalem ,p213 ؛ Puga diego and Daniel , International trade and institutional change medieval venices response to globalization ,p769.

(3)Chalandon, Histoire Premiere Croisade , P345 .

(4) زيتون ، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب ، ص57-58.

المحكمة حقوق الغرقى والحفاظ على ممتلكاتهم[1] ، فإذا رست سفينة على الشاطئ وتعرضت للكسر او تحطيم بسبب ظرفا ما ، فممتلكات ركابها تكون في مأمن جميعها ويتم تسليمها لهم ، فإذا غرقت السفينة وهلك ركابها فأن الممتلكات تكون لسيد الارض التي يدخل في نطاقها البحر[2] ، ومنها الشراع الرئيس ودفة السفينة المفككة، وهذا يعني ان الملك بوصفه سيد الارض فله الحق في حطام الساحل بأكمله ، وظل يتمتع بهذا الحق حتى منتصف القرن 6هـ/12م ، لكن امام السلطة المتزايدة للبارونات امراء المدن تخلى الملك عن حقه في هذا الامتياز لأمراء المدن[3] .

والجدير بالذكر ان الفرنج بداية الحروب الصليبية كانوا لا يتوانون عن سرقةالسفن المحطمة وممتلكاتها في المياه المحيطية ، والحادثة التي رواها اسامة بن منقذ[4] خير برهان على كلامنا هذا ، ففي احدى الرحلات له سنة560هـ/ 1164م وحينما سار بأهله من مصر الى بلاد الشام في احدى البطس[5] الفرنجية، اقتربت السفينة من ساحل عكا ، فخرج قوم عليها وقاموا بكسرها فاصبحت سفينة شبه محطمة وحينما رست في الساحل اطبق الناس فيه بنهب اموالها وكل ما احتوت من حلى للنساء وسلاح للرجال ، وكل ذلك كان يجري تحت نظر الملك وعينه ، ولما عاتب

---

(1) الطحاوي ، القانون البحري لمملكة بيت المقدس الصليبية قراءة في مجموعة قوانين بيت المقدس ، مجلة كلية الآداب ، القاهرة ، مج 58 ، العدد 4 ، 1988م ، ص486 ؛

Beugnot , Assises de Jerusalem Recueil des histories de croisades , Paris , p36 ؛ Conder , The Latin kingdom of Jerusalem , p212.

(2) Beugnot, Assises de Jerusalem Recueil des histories de croisades , p47.

(3)Prawer , Crusader insitutions , p36.

(4) الاعتبار، مكتبة الثقافة ، مصر ، ج1 ، ص34-35.

(5) البطس : جمع بطسة ، وهي مركب كبير الحجم من عدة طوابق تستخدم في نقل الازواد والميرة وآلات الحرب والحصار ، واعداد من المقاتلة تصل الى سبعمائة. ينظر: عبد العليم ، انور ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، الكويت ، 1979، ص95.

اسامة الملك العمل الشنيع هذا برر ذلك بالقول :"هذا رسم المسلمين إذا انكسر لهم مركب على بلد نهبه أهل ذلك البلد" ، ويعني قول الملك هذا بأن هذا العمل هو عرفٌ متوارث من المسلمين وهو قول فيه الكثير من التجني ، فليس من عادة العرب ان يقوموا بسلب ونهب من يتعرض الى حادث او اعتداء ، بل على العكس فأن هذا العرف كان مألوفاً عند الصليبيون ، وهذا ما لاحظناه في المعاهدة التي عقدتها جمهورية البندقية مع بلدوين الاول عام517هـ/ 1123م حيث اشترطت عليه المحافظة على ممتلكات تجارها الذين يتعرضون للغرق او الموت اثناء الابحار وتسليمها الى ورثته او غيره من سكان البندقية[1] ، كما روى ابن الاثير[2] رواية بيّن فيها تعرض مراكب تابعة للمسلمين عام 567هـ/1171م الى الكسر بعد ان رست بالقرب من مدينة اللاذقية ، فانتهب الفرنج ما فيه من امتعة وتجارة على الرغم من الهدنة التي بينهم وبين نور الدين زنكي ، بحجة ان العادة جارية عندهم بأخذ كل مركب يدخله الماء ، وهذه الرواية تبين تناقض قول ملك الفرنج من نسبة هذا العرف الى المسلمين الذين نصت قوانينهم الاسلامية على منع الاعتداء على ممتلكات الغير وعدت ذلك سرقة ، حتى لو تعرضت السفينة الى الكسر في ارضهم فلا يحق لأحد ان يأخذ حطامها غصباً وكما يقول البهوتي[3] "فالمتاع الذي كان فيها فلا يملكونه" ، اما إذ كان هذا كلام الملك صحيحاً فمن الواقع أنه يندرج ضمن اطار الصراع الاسلامي الصليبي ، وهو ظرفا طارئ ينتهي بزوال المسبب ، فالمعروف بأن العرب هم الذين علموا البشرية اصول الملاحة البحرية والتي تتسم بالامانة

---

[1] Willim , Ahistory of deeds done beyond the sea ,New york , 1943, vol 1 ,p555.

[2] ينظر: الكامل في التاريخ ، ج9 ، ص369.

[3] منصور بن يونس بن صلاح الدين ، كشاف القناع عن متن الإقناع ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، ج4 ، ص201.

والشرف ومراعاة المواثيق والعهود ، ومنها سارت التقاليد البحرية في كل دول العالم[1] .

لم تستثن العلاقات السياسية بين الفرنج والمسلمين امور تنظيم الملاحة البحرية وكيفية التعامل مع البضائع والاشخاص التي تحملها السفن خاصة وان هناك تجارة ازدهرت ايام المماليك ، فكان طبيعيا ان تنتج عنها كثير من القضايا التي تتطلب معالجات ، فمن النقاط الواردة في الاتفاقية التي عقدت بين السلطان قلاوون المنصور[2] وبين حكام الفرنج في عكا سنة 682هـ/ 1284م :

1-الحفاظ على ممتلكات السفن الاسلامية من البضائع وممتلكات في حال ان تحطمت السفن ، وتسلم جميع امتعة التاجر في حال غرقه او بموته الى السلطان او من يمثله ، ويسري هذا الامر على مراكب الفرنج في البلاد الاسلامية ، وهذا ما كان واضحاً في النص التالي :" إذ انكسر مركب من مراكب تجار السلطان وولده التي انعقدت عليها الهدنة ورعيتهما من المسلمين وغيرهم على اختلاف اجناسهم وأديانهم في ميناء عكا وسواحلها والبلاد الساحلية التي انعقدت عليها الهدنة ، كان كل من فيها آمنا على الانفس والأموال والأمتعة والمتاجر فإن اصحاب هذه المراكب التي تنكسر تسلم مراكبهم وأموالهم اليها ، وإن عدموا بموت أو غرق فيحتفظ بموجودهم ويسلم لنواب السلطان وولده ، وكذلك المراكب المتوجهة من هذه البلاد الساحلية المنعقدة عليها الهدنة للفرنج يجري مثلها ذلك في بلاد السلطان، ويحفظ بموجودها

---

[1] عبد العليم ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، ص181.

[2] المنصور قلاوون : سيف الدين ابو المعالي وابو الفتوح ، اصله من القفقجاق ومن قبيلة برج اغلى ، فجلب الى مصر وهو صغير من موالي الملك الصالح نجم الدين ايوب فجعله من جملة المماليك البحرية ، تولى حكم بعد خلع الملك السعيد عام 678هـ / 1279م ، توفي 689هـ/1290م . ينظر: ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج5 ، ص453؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج24 ، ص199.

إن لم يكن صاحبها حاضرا إلى أن يسلم لكفيل المملكة بعكا أو المقدم[1] ، وكانت سنة الصليبيين عندهم إذ توفي احد من التجار او الركاب في البحر ، فأن ممتلكاته تصبح ورثاً لرئيس المركب ، وهذا ما كان واضحاً في رواية ابن جبير[2] حينما توفى ركاب مسلمين ونصارى بلغار في المركب الذي كان يقله ، وذلك بقوله:" ومات فيه رجلان من المسلمين رحمهما الله فقذفا في البحر ومن البلغريين اثنان أيضا ومات منهم بعد ذلك خلق وسقط منهم واحد في البحر حيا فاحتملته الموج أسرع من خطفه البارق وورث هؤلاء الاموات من المسلمين والنصارى البلغريين رئيس المركب لأنها سنة عندهم في كل من يموت في البحر ولا سبيل لوارث الميت إلى ميراثه فطال عجبنا من ذلك" .

2-تأمين سير السفن الاسلامية إذ مرت بسواحل المدن الداخلة وان لا يعترض سبيلها شيء يعرضها للعدوان ، والنص التالي يبين ذلك :" وعلى شواني السلطان وولده إذ عمرت وخرجت لا تتعرض لأذية من البلاد الساحلية التي انعقدت عليها هذه الهدنة "[3].

3-الاتفاق على محاربة القرصنة ومما تسميهم الهدنة حرامية البحر ، وان يمتنع عن كل ما من شأنه تسهيل اعمالهم ، وذلك حينما نصت المعاهدة :" على ان النائب بمملكة عكا والمقدمين يوصون في سائر البلاد الساحلية التي وقعت الهدنة عليها ، انهم لا يمكنون حرامية البحر من الزوادة من عندهم ولا من حمل ماء ، وإن ظفروا بأحد منهم يمسكوه ، وأن كانوا يبيعون عندهم بضائع فيمسكهم كفيل المملكة بعكا والمقدمون حتى يظهر صاحبها وتسلم اليه ، وكذلك يعتمد مولانا السلطان وولده ، ويعتمد امر الحرامية هذا الاعتماد من الجهتين"[4].

---

[1] القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج14 ، ص69-70.

[2] رحلة ابن جبير ، ج1 ، ص258-259.

[3] القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج14 ، ص70.

[4] القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج14 ، ص72.

المبحث الثالث: اثر المتغيرات الاقتصادية لسواحل بلاد الشام على العلاقات التجارية بين المسلمين والصليبيين

على الرغم من حالة الحروب والخصومات المستمرة بين الصليبيين والمسلمين فقد فرضت المصالح التجارية المتشابكة انشاء نمط جديد من العلاقات السلمية بينهما، إذ نتج عن السيطرة الصليبية على الساحل الشامي وما تبعها من متغيرات اقتصادية ومنها تحكمه بالطرق المؤدية الى منافذ التجارة العالمية ، وحاجة المسلمين الى هذه الطرق لتصريف بضائعهم التجارية ، وعلى الكفة الاخرى افتقار الصليبيون الى المواد الاولية والتي تزخر بها الدول الاسلامية ، ان اصبح الطرفان في حاجة ملحة للركون الى طاولة المفاوضات يبحثون فيها ما صلح لبلدانهم وجلب المنفعة لسكانهم ، وفي ضوء ذلك عقدت كثير من المعاهدات والهدن تحت وقع السيوف يضعون فيها اسس للتعايش السلمي بين الطرفين ، فكان ذلك بداية لمرحلة جديدة من العلاقات بين الشرق والغرب والتي اصطبغت بصبغة اقتصادية ، وهذا ما اكده رانيسمان[1] ذلك ويقول " انهم في سبيل الارباح وعدم انقطاع مصدرها كان الصليبيون مستعدين لتناسي خلافاتهم واقامة اوثق العلاقات الاقتصادية مع الدول الاسلامية"، فعمل بلدوين الثاني سنة 514هـ/ 1120م على تكريس هذه السياسة وذلك بأصدار قرار يسمح فيه للغربيين من التجار والحجاج والزوار في نقل البضائع من المملكة والى هذه الدول[2] .

لقد كان مظهر هذه العلاقات الاقتصادية وجود قوافل تجارية من كلا الجانبين اخذت تغدي وتروح في حركة غير مسبوقة ، وهذا ما اخبرنا عليه الرحالة ابن جبير[3] الذي زار بلاد الشام سنة 578هـ/1182م وابدى اعجابه من سير هذه القوافل على الرغم من حالة العداء والحرب بين الطرفين ، فيقول في ذلك:" واختلاف

---

[1] تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ، ص333.

[2] عاشور ، الحركة الصليبية ، ج1 ، ص500.

[3] رحلة ابن جبير ، ج1 ، ص234-235.

القوافل من مصر الى دمشق على بلاد الافرنج غير منقطع واختلاف المسلمين من دمشق الى عكا كذلك. وتجار النصارى ايضا لا يمنع أحد منهم ولا يعترض وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم، وهي من الامنة على غاية وتجار النصارى أيضا يؤدون في بلاد المسلمين على سلعهم، والاتفاق بينهم والاعتدال في جميع الأحوال وأهل الحرب مشتغلون بحربهم، والناس في عافية، والدنيا لمن غلب" .

وحقيقة الامر انه لن يكون هناك مبرراً لتعجب ابن جبير لو كان نظر الى هذه العلاقات من زاوية اقتصادية ، إذ ان من المستحيل ان يبقى الصليبيون معزولين عن محيطهم الخارجي لا سيما الاسلامي وبما يؤدي الى انقطاع المؤن والغلات الضرورية عنهم فهذا يعني لدولتهم انتحارا سياسيا ، يضاف الى ذلك ان هذا الرحالة كان غير مدرك لكثير من حقائق الامور ، فزيارته لبلاد الشام كان سنة 578هـ/1182م وهو زمان تغيرت فيه الكثير من المفاهيم بعد ان مر على الغزو الصليبي فترة طويلة تزيد على ثمان عقود ضعفت فيها روح العصبية الدينية ، واصبح بإمكان المسلم ان يتعايش مع الفرد المسيحي ولا يمكن ان يلغيه باي حال من الاحوال ، وتبعاً لذلك تبدلت سلوكيات الفرنج واسلوب حياتهم وأخذوا يبحثون عن اسباب الراحة والثراء بعد ان ازداد ارتباطهم بهذه الارض ، وقد أشار احد مؤلفي الغرب الى هذا التحول وهو فوشيه الشارتري[1] حينما قال :" ان اولئك الذين كانوا غربيين اصبحوا الآن شرقيين ومن كان روميا او فرنجيا قد تحول في هذه البلاد الى جليلي او فلسطيني ومن اتى من الرايم او الشارتر اصبح الآن مواطنا في صور او انطاكية وقد نسينا الآن امكنة ولادتنا فهي غير معروفة لدى الكثيرين منا الآن ولا يرد ذكرها" ، وفي المقابل وجد التجار المسلمين في اسواق المدن الساحلية مناخاً ملائماً لأقامة نشاطهم وترويج بضائعهم ، ويعطينا ابن جبير[2] صورة اوضح عن تلك

[1] تاريخ الحملة الى القدس ، ص218.

[2] رحلة ابن جبير ، ج1 ، ص253.

العلاقات التجارية من خلال روايته عن التاجرين المسلمين القادمين من دمشق والذين ذكرناهما وكما اسلفنا من خلال حديثنا عن قروض الداوية ، إذ حملت قوافلهما بضائع ضخمة يتم بيعها في اسواق الساحل مما هيأ لهما ثروة اسهمت في تحريك عجلة الاقتصاد في هذا الاقليم ، كما ان نسبة كبيرة من اموالهم كانوا يصرفونها في فداء الاسرى المسلمين ، وكانت تجارتهم تسير بصورة منتظمة ودون عراقيل ، إذ ان المنافع الاقتصادية الكبيرة الناتجة عن تجارتهما دفعت الصليبيون الى عدم اعتراض سبيلهم ، وفي ذلك يقول هذا الرحالة ايضاً:" وقيض الله لهم بدمشق رجلين من مياسر التجار وكبرائهم وأغنيائهم المنغمسين في الثراء: أحدهما يعرف بنصر بن قوام، والثاني بابي الدّر ياقوت مولى العطافي، وتجارتهما كلها بهذا الساحل الإفرنجي، ولا ذكر فيه لسواهما ولهما الأمناء من المقارضين فالقوافل صادرة وواردة ببضائعهما وشأنها في الغنى كبير وقدرهما عند أمراء المسلمين والإفرنجيين خطير وقد نصبهما الله عز وجل لافتكاك الأسرى المغربيين بأموالهما ".

لم تقتصر تجارة السواحل الشامية على الشاميين والغربيين بل اسهم تجار الموصل في تلك التجارة ، فنراهم يأتون بتجارتهم وبدفع وتشجيع من الاسبتارية ويستقرون في عكا، فحوت مستودعاتهم اقمشة حرير من مصانع بغداد والموصل وبلاد فارس ، كذلك حمل هؤلاء التجار سجاجيد من الانواع الفاخرة من ايران والعاج والعطور والبورسلين من الصين[1] .

والظاهر ان هذه الهيئة الدينية ابتعدت عن نشاطاتها وانغمست في التجارة بعد ان رأت المكاسب الكبيرة لها ، فعملت على ان يكون نشاط هؤلاء التجار تحت اشرافها وحمايتها مقابل نسبة من الارباح كانوا يحصلون عليها .

---

[1] Conder ,The latin kingdom of Jerusalem, p330-331 ؛Rey , Les colonis franques de syrie, p199-204 ؛

علي ، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين ، ص62.

وبمرور الوقت وحينما امن التجار الايطاليون جانب المسلمين اخذ البنادقة والبيازنة والجنويين يذهبون بأنفسهم من عكا الى دمشق وحلب لأغراض البيع والشراء[1] ، وتصدرت مدينة جنوة بنسبة تتراوح ما بين 40-70% من حجم تجارة الشرق[2] ، فكانت لهم قصور في الشام يسكنون فيها ، ووصلت العلاقات الاقتصادية اعلى مدى لها في المدة بين الحرب الصليبية الاولى عام 491هـ/ 1097م والثالثة عام 585هـ/ 1189م واصبحت دمشق مركز هذه العلاقات ، خاصة إذ ما علمنا ان هذه المدينة تعد اهم المحطات التي تلتقي فيها قوافل التجارة لبلاد فارس وبلاد ما بين النهرين وآسيا الصغرى مع قوافل مصر وبلاد العرب الاخرى[3] ، وقد اثرت هذه العلاقات بصورة ايجابية على احوال دمشق الاقتصادية فتقوى اقتصادها ونمت مدنها[4] ، أما حلب فحرصت هي الاخرى في اقامة علاقات اقتصادية مع المدن الاوروبية ، ففي عام 604هـ/ 1208م وخلال حكم السلطان الايوبي غياث الدين الظاهر[5] عقدت هذه المدينة معاهدة تجارية مع دوق البندقية "زياني" Ziani تضمنت منح تجارها فندق وحمام وكنيسة ومنحهم الاقامة للراغبين بها ، وعلى الرغم من الآثار الايجابية لهذه العلاقات الّا انها لم تكن تخلوا من سلبيات عانى منها القطاع التجاري بصورة اكثر والسبب في ذلك ؛ ان حكام المدن الاسلامية من الايوبيين كان نظامهم يقوم على الاقطاع ، وهذا النظام يتطلب بفرض

---

[1] Thompson , Economic and social history of the middle ages,p404 ؛ Rey, Les colonis franques de syrie , p191-192

هايد ، تاريخ التجارة في الشرق الادنى ، ج1 ، ص188.

[2] براور ، الاستيطان الصليبي ، ص480.

[3] هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص182.

[4] الحموي ، محمد ياسين ، دمشق في العصر الايوبي ، دار النشر العربية ، دمشق ، 1396هـ/ 1946م ، ص42

[5] غياث الدين الظاهر : أبو الفتح غازي ابن السلطان صلاح الدين ، ولد في القاهرة سنة 568هـ ، وتولى حكم حلب سنة 582هـ واستمر في حكمها الى ان توفى عام 613هـ . ينظر: ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج4 ، ص7.

قيود جديدة لتغطية احتياجات الجند ، ومنهم الملك الكامل الذي قام بفرض ضريبة تجارية لم تكن معروفة من قبل تسمى ضريبة الحقوق ، مما شكل عبئاً ثقيلاً على التجار الصغار الذين شعروا بها اكثر من تجار الجملة فقللت ارباحهم بصورة كبيرة[1] .

اما مصر وهي القوة العظمى في العالم الاسلامي والمنافس القوي لمملكة الصليبيي فأن التجارة بين المدن الايطالية وبينها ظلت مستمرة ولم تنقطع طيلة عهد الفاطميين (358- 567هـ/968-1171م)[2]، وبلغت اقصى اتساع لها زمن الايوبيون(567-648هـ/ 1171-1250م) فتكاثر اعداد التجار الاوروبيين الذين نفذوا من مدن الشام الساحلية الى موانئ مصر دمياط والاسكندرية لشراء منتجات الشرق[3]، وفي المقابل كان الامراء الايوبيون في امس الحاجة الى تجارة الغرب كونها تمد الماكنة الحربية الاسلامية بالمواد الاولية ومنها الخشب والحديد والرقيق ، ولذا قدم الملوك الايوبيين الامتيازات للمدن التجارية ، وتخفيض الضرائب والرسوم والحق في تملك الفنادق[4] ، ونتيجة لذلك أقيمت في القاهرة مستودعات للبضائع القادمة برا من سورية ومستودعات اخرى للبضائع المرسلة من نفس البلد عن طريق البحر[5] .

خلال حكم صلاح الدين(567-589هـ / 1171-1193م) تم عقد المعاهدات بينه وبين الفرنج ، مثل الهدنة التي ذكرناها سابقاً والتي كانت مع ملك القدس بلدوين

---

[1] اشتور ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الاوسط في العصور الوسطى ، ص306.

[2] عاشور ، العلاقة بين البندقية والشرق الادنى الاسلامي في العصر الايوبي ، ص203.

[3] عاشور ، مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ، دار النهضة ، بيروت ، 1972م، ص130.

[4] اشتور ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الاوسط في العصور الوسطى ، ص305 .

[5] Depping , Histoire Du commerce Le levant et Europe, P81.

الرابع (570-581هـ/ 1174-1185م) سنة576هـ/1180م[1]، كذلك ابرم اتفاقاً مع ريمون الثالث امير طرابلس(547-587هـ/ 1152-1187م) ولعدم قدرة منطقة الساحل على توفير الغذاء الكافي لها عام 581هـ/ 1191م لمدة اربع سنوات يقضي بأن يحضر بموجبه كثير من القمح الى اراضي الفرنجة[2]، وقد استفاد التجار فائدة كبيرة من هذه الاتفاقيات واخذوا يتجولون بحرية بين مصر وسورية عبر الاراضي الفرنجية[3] ، فيذكر المقريزي[4] في حوادث 577هـ / 1181م بأن قوماً من الاعراب من قبيلة جذام[5] وثعلبة[6] في مصر كانوا يحملون الغلال الى بلاد الفرنج في بلاد الشام.

عمل صلاح الدين كذلك على تشجيع التجارة مع المدن الايطالية وعقد المعاهدات التجارية معها على الرغم من ادراكه السياسية المزدوجة لهذه المدن حيث سيوفها في يد والتجارة في أيد اخرى ، ففي رسالته الى الخليفة الناصر لدين الله(575-622هـ/ 1180-1225م)[7] عام 578هـ/ 1182م في بغداد هذا نصها :" ومن هؤلاء

---

(1) ينظر: ص66 .

(2) Mohamed,Ahmed, Demographic,socio-economic and architectural structure of Tibnin in the age of the crusades , p170.

(3) رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج2 ، ص505 ؛ بردج ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص215-216.

(4) السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج1 ، ص185.

(5) جذام : احدى قبائل بنو قحطان اولاد عمرو بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. ينظر: ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد(ت456هـ) ، جمهرة أنساب العرب ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1983م ، ج1 ، ص485.

(6) ثعلبة : قبيلة تنتهي نسبها الى قيس عيلان من بني سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد.ينظر: ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج1 ، ص481.

(7) الخليفة الناصر لدين الله : ابو العباس احمد بن المستظيء ، ولد 553هـ وبويع بالخلافة سنة سنة 575هـ ، وفي سنة 622هـ توفي عن عمر سبعين سنة ، قد ملأ القلوب هيبة وخيفة فكان

الجيوش البنادقة والبياشنة والجنوية كل هؤلاء تارة يكونون غزاة لا تطاق ضراوة ضرهم ولا تطفأ شرارة شرهم وتارة يكونون سفاراً يحتكمون على الإسلام فِي الأموال المجلوبة وتقصر عنهم يد الاحكام المرهوبة وما منهم إلّا من هو الآن يجلب إلى بلدنا آلة قتاله وجهاده ويتقرب إلينا بإهداء طرائف أعماله وتلاده وكلهم قد قررت معهم المواصلة وانتظمت معهم المسالمة على ما نريد ويكرهون وعلى ما نؤثر وهم لا يؤثرون"[1] .

ومن اهم تلك المعاهدات معاهدة عقدها مع البندقية سنة 569هـ/ 1173م تتضمن تسهيلات واسعة لتجارهم في ميناء الاسكندرية ، وفي السنة نفسها سمح لجنوة اتخاذ قنصل لها في الاسكندرية للأشراف على تجارها المقيمين في المدينة والمترددين عليها ، ووافق كذلك على طلب سفير بيزا اسمه الديبراندوس بمنحه تسهيلات كبيرة لمدينته تتضمن فندق وحمام وكنيسة واستعمال موازينهم ومكاييلهم في التجارة[2] .

وجد صلاح الدين في تلك الاتفاقيات فرصة كبيرة في التقليل من حجم قيمة تجارة تلك المدن في الموانئ الشامية والتي تذهب نسبة كبيرة من ارباحها لتزويد الايرادات المالية للممالك الصليبية، فلو تمكن وقطع هذا الشريان الحيوي لنجح في أضعاف قوة الصليبيين وانهائها.

وعلى الرغم من مساهمة المدن التجارية في تجهيز الحملات العسكرية ضد المسلمين ظلت العلاقات التجارية بينهما قائمة ولم تنقطع ، ففي الحملة الصليبية

يرهبه أهل الهند ومصر كما يرهبه أهل بغداد . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج22 ، ص193 .

[1] ابو شامة ، عيون الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ج2 ، ص364.

[2] هايد ، تاريخ التجارة في الشرق الادنى ، ج2 ، ص47 ؛ ابو دمعة ، أمين ، الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الايوبي ، رسالة ماجستير منشورة مقدمة الى جامعة دمشق ، كلية الآداب ، 1409هـ/ 1988م ، ص180.

الثالثة 585هـ/ 1189م والتي تعثرت في اعقابها تجارة مصر ، لم يثن صلاح الدين تحريم التعامل التجاري مع الفرنج ، فكان من بنود صلح الرملة التي لم تذكرها المصادر التاريخية استمرار العقود والتجارة بين المملكة اللاتينية في الساحل وبين المسلمين[1] ، فصار لتجار المسلمين الحرية في الدخول الى بلاد الفرنج وذهبت جماعة منهم الى يافا في طلب التجارة ، وامّن لهم صلاح الدين مخاطر الطريق[2] ، وهذا ما اكده ايضاً ابن تغري بردي[3] بقوله :" وأمن الناس وتردّد المسلمون إلى بلاد الفرنج، وجاءوا هم أيضا إلى بلاد المسلمين، وحملت البضائع والمتاجر إلى البلاد".

بعد وفاة صلاح الدين589هـ/ 1193م استمر خلفائه على نفس سياسته في الاعتدال تجاه القضايا الاقتصادية ، فعقدت الكثير من المعاهدات بين الامراء والصليبيين لا سيما مع البيازنة والبنادقة خاصةٍ في عهد الملك العادل (596-612هـ / 1199- 1215م)[4] والتي تضمنت المحافظة على ارواح الحجاج

---

(1) Thompson , Economic and social history of the middle ages, P312.
ويبدو ان السبب الذي دفع صلاح الدين الى التكتم حول استئناف التجارة مع الفرنج في صلح الرملة ؛ هو عدم اثارة الخلافة العباسية والرأي العام الاسلامي ضده بتعاونه مع الصليبيين والذي يؤدي الى ان تنقلب الامور ضده خاصة انه كان يطمح الى اقصى غايته لتكوين مملكة صلاحية في اعقاب الخلافة الفاطمية والعباسية ، والدليل على ذلك ان الخلافة العباسية اتهمته بأنه يسعى الى الانقلاب ضدها واستنكرت منه تشببه بالخليفة بعد ان نعت نفسه بلقب "الناصر" . ينظر: ابي شامة ، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ج3 ، ص419.

(2) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ج1 ، ص349؛ ابن واصل ، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، ج2 ، ص406.

(3) النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص48.

(4) السلطان العادل : أبو بكر محمد بن أبي الشكر أيوب ، الملقب بالملك العادل سيف الدين ، اخو السلطان صلاح الدين ، كان ينوب عن اخيه في حكم مصر ، ثم ملك مدينة حلب سنة = = 579هـ/ 1183م، واستقر في مصر وتولى عرشها 596هـ/1199م ، وخطب له بحلب 598هـ/1201م وملك معه البلاد الشامية والشرقية ثم ملك اليمن سنة 612هـ /1215م، توفي 615هـ/1218م . ينظر: ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج5 ، ص74-78.

المسيح في ارض السلطان ، ورعاية التجار وعدم زيادة الضرائب عليهم ، ونتيجة لهذه الاتفاقيات حملت القوافل التجارية القادمة من الداخل الاسلامي من السلع ما ملأت به ارصفة عكا وبيروت[1] ، وبلغت هذه الامتيازات حداً جعلت السلطان يعامل البندقية في مصر معاملة طيبة بإعتبارهم "رعايا أمة صديقة" ، كما وعد دوق البندقية بييترو زياني بمنح مدينته امتيازات تفوق اي مدينة كانت[2] ، ويتحدث كرد علي[3] عن اتخاذ الايوبيين هذه السياسة في التجارة فيقول في ذلك:" ومبدأُ اشتداد صلات الشام مع الغرب منذ الحروب الصليبية وقد أخذ تجار الفرنج أنفسهم بفضل صلاح الدين ثم أخلافه من بعده يغدون ويروحون في هذا القطر، والحرب ناشبة بين الفريقين لا يمس أحدهم بأذىً، ولا يعتدي على حقوقه، حتى اضطر الصليبيون أن يعاملوا تجار العرب على هذه الصورة في الأرض التي بقيت في أيديهم إلى آخر مدة الحرب مثل صور وعكا وإنطاكية لا ينال التجار منهم كبير اذى" .

وفي عهد المماليك(648-923هـ/ 1250-1517م) وحينما ضعفت قوة الصليبيين وقلت عدتهم اخذ الغزاة يرجون المسالمة ويفضلون الموادعة بعقدهم المعاهدات والتي تضمن سلامة القوافل وتوفير بيئة آمنة للتجار لممارسة نشاطهم التجارية ، فازداد النشاط التجاري في القرن7هـ/ 13م، ولنضرب على ذلك مثلا : المعاهدة التي عقدت في عهد السلطان بيبرس(658- 676هـ /1260-1278م)[4] مع الاستبارية سنة 665هـ/ 1267م ، كذلك في عهد السلطان المنصور قلاوون

---

[1] رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ، ص 193 ؛ العريني ، الشرق الادنى في العصور الوسطى ، دار النهضة ، القاهرة ، ص203.

[2] هايد ، تاريخ التجارة ، ج2 ، ص55.

[3] خطط الشام ، ج4 ، ص145.

[4] السلطان بيبرس : مملوك تركي الاصل ، نشأ في دمشق ، اشتراه الصالح نجم الين ايوب ، ولمّا رأى فيه من لياقة بدنية واستعداد ذهني ، الحقه بجنده الخاص " البحرية " ، فاستدعاه قطز لمساعدته في قتال المغول واظهر جدارة كبيرة في المعارك معهم ، وفي الطريق الى مصر تمكن بيبرس وجماعة معه من قتل قطز وحرمه من التنعم بثمرة انتصاره ، وتولى عرش مصر بدله. ينظر: ابن عبد الظاهر ، ابو الفضل عبد الله محي الدين (ت692هـ) ، الروض الزاهر في سيرة

(679-689هـ/ 1281-1290م)، حيث تم عقد معاهدة مع حكام طرابلس سنة680هـ/ 1281م وعكا سنة682هـ/ 1283م[1] ، ووجدت هذه المعاهدات ترحيباً في المدن الاسلامية خاصة دمشق واصبحت تزخر بتجارعكا الغربيين خاصة البنادقة منهم[2].

وعلى الرغم من ان العلاقات التجارية مع المسلمين كانت تتأثر بالقرارات البابوية التي تحرم التعامل مع المسلمين ، الّا ان تأثيرها يكاد يكون لفترة قصيرة ؛ وذلك حينما تطغى المنافع الاقتصادية وتطفوا في تعامل التجار مع القضية الصليبية ، وهذا ما لاحظناه على سياسة المدن الايطالية ، فهي لم تتورع عن بيع السلع المحرمة الى المسلمين على الرغم من رفض الكنيسة الاشتغال بهذه التجارة المحرمة الاسلحة والمتضمنة مواد بناء السفن من خشب ومعادن[3] ، وهذا ما اثار الرأي العام الاوروبي ، ودفعت البابا انوسنت الثالث سنة 594هـ/ 1197م الى اصدار مرسوماً حظر فيه بيع السفن والمواد الحربية لمصر ، وهذا نصه:" كل من يتجاسر على ان يبيع للمسلمين الحديد او الخشب او الاسلحة التي يجري استخدامها في العمائر الحربية او بناء السفن ، وكل من يدخل في خدمة المسلمين قائدا لسفينة او مرشدا له سوف يتعرض للحرمان من الكنيسة ، ولا يكون جزاؤه الّا مصادرة متاعه وضياع حريته الشخصية"[4] ، لكن القرار لم يطبق ولم يذعن له التجار خاصة البنادقة الذين

الملك الظاهر ، تح : عبد العزيز الخويطر ، ط1 ، الرياض ، 1396هـ / 1976م ، ص46 – 47 ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج15 ، ص306 ؛ المقريزي ، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي (ت845هـ) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تح: محمد عبد القادر عطا ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1418هـ/ 1997م ، ج1 ، ص520.

[1] ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تح: مراد كامل ، الشركة العربية للطباعة ، 1961م ، ص209 ، ص212.

[2] هايد ، تاريخ التجارة ، ج2 ، ص21؛ Grousset , The sum of history, p183

[3] كاهن، العلاقة بين الشرق والغرب ، ص172؛ رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ، ص413.

[4] العريني ، الشرق الادنى في العصور الوسطى ، ص205.

اعلنوا انهم تضرروا كثيراً من قرار الحرمان هذا وانهم تلقوا خسائر كبيرة كونهم لا يملكون من مصادر الربح غير التجارة البحرية ، فرفعت الحكومة في البندقية تخوفها الى البابا انوسنت الثالث مؤكدة له بانها لو طبقت حظر التجارة مع المسلمين فأنها سوف تفقد سوقاً ذات اهمية كبيرة ومن ثم يعني فقدانها لرخائها ، فاضطر البابا الى السماح لها والأذن بالمتاجرة مع المسلمين مستثنياً منها المواد الحربية والتي تدخل في صناعة السفن مثل الحديد ، والخشب، والقار ، والكتان ، ودفة السفينة[1] ، كذلك الامر بالنسبة الى بيزا التي تمردت ايضاً على قرارات البابا واستمرت في توريد السلع المحرمة الى بلاد المسلمين وعقدت المعاهدات مع المسلمين ومنها معاهدة563هـ/1173م والتي تتضمن صراحة توريد المواد الممنوعة لهم خاصة الحديد والصلب والتي كانت تتميز بهما الصناعات في بيزا[2].

ولم تكن المدن الايطالية هي وحدها التي خانت قضيتها الدينية في نصر المسيحية بل ان البعض من المسلمين من كان له دور مشابه ومنهم الملك صالح اسماعيل[3] الذي تعاون مع الفرنج بحيث وصل به الحد الى سماحه للفرنجة بالحضور ليس فقط للتجارة وإنما حتى لشراء الاسلحة ، وشجع اهل دمشق على بيع السلاح لهم ، مما اثار غضب اهل الدين الذي طالبوا من علماءهم اصدار فتوى لتحريم تلك الاعمال ،

---

[1] Mack , The Merchant of Genoa ,P95

؛ الطحاوي ، القانون البحري ، ص494؛ ديل ، البندقية جمهورية ارستقراطية ، ص58.

[2] هايد ، تاريخ التجارة ، ج2 ، ص37-38.

[3] الملك صالح اسماعيل ، عماد الدين اسماعيل ابن الملك العادل، تملك بصرى وبعلبك ، واستولى على دمشق وتملكها مرتين ، فبقي فيها الى سنة 542هـ/1147مـ ، اذ تمكن الملك نجم الدين ايوب من خلعه من ملكها ، واصبح يحكم بعلبك وبقي هناك الى ان قتل سنة =

= 548هـ/1153م . ينظر: ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج3 ، ص169 ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج16 ، ص131-132.

وهذا ما حدثنا به المقريزي[1] في حوادث سنة 638هـ/1240م حينما قال : " أذن الصالح اسماعيل للفرنج في دخول دمشق وشراء السلاح فأكثروا من ابتياع الأسلحة وآلات الحرب من اهل دمشق ، فأنكر المسلمون ذلك ، ومشى اهل الدين منهم الى العلماء واستفتوهم ، فأفتوهم بتحريم بيع السلاح الى الفرنج" .

المبحث الرابع : اثر المتغيرات الاقتصادية في سواحل بلاد الشام على ضعف الكيان الصليبي وانهائه

عشية القرن7هـ/ 13م كانت احوال المملكة الصليبية قد وصلت الى درجة كبيرة من التدهور والاضمحلال ، إذ تعرض الوضع الداخلي والخارجي فيها الى مجموعة

[1] السلوك ، ج1 ، ص407. والسبب الذي دفع الملك صالح ايوب الى فتح ابواب دمشق للصليبين ؛ هو لغرض تأييدهم في معركته ضد المللك نجم الدين ايوب . ينظر: ابن العميد ، المكين جرجس (ت 672هـ) ، أخبار الايوبيين ، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية ، مصر ، ص33.

من التحديات والمخاطر الكبيرة التي لم تستطيع معها النهوض والوقوف على قدميها ، فتضافرت عوامل سياسية واقتصادية في رسم الواقع المزري الذي كانت تعيشه حتى اصبحت كأنها تبدو اثر بعد عين ، فعلى الصعيد السياسي وعلى اثر التنافس الحاد بين اصحاب السلطة الشرعية وبين نبلاء المملكة والتنظيمات الدينية ، وفشل الحملات الصليبية على بلاد المسلمين ورحيل الملك لويس التاسع عن بلاد الشام عام652هـ/ 1254م ان اصبحت مملكة القدس خاوية دون ملك مقيم عليها[1] ،وفي الكفة الاخرى نرى الدول الاسلامية في موضع لا يحسد عليها فالخلاف على اشده بين الايوبيين بعد وفاة مؤسس دولتهم صلاح الدين الايوبي[2]، وبروز المماليك كقوة ولدت من الواقع السياسي المرير للأسرة الأيوبية ، فورثوا دولتهم وتغلبوا على اسيادهم وتولوا امر الدفاع عن قضايا المسلمين ومنها التصدي لخطر المغول[3] والانتصار عليهم في معركة عين جالوت[4] وذلك سنة 658هـ/ 1260م[1] .

---

[1] رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ، ص269 ؛ غروسيه ، موجز تاريخ الحروب الصليبية ، ص77؛ ماير ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص475 ؛ رحيل ، نهاية الصليبيين ، ص133.

[2] ومن هذه الخلافات ما كانت بين الملك الكامل وأخيه المعظم صاحب دمشق ، مما دفع بالملك المعظم الى الاستنجاد بالخوارزمية على اخيه الملك كامل وكاد الخلاف يتحول بينهما الى قتال لولا اتخاذ المعظم سياسة اللين وكان ذلك سنة 624هـ / 1226م . ينظر: ابن العميد، أخبار الايوبيين ، ص14 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص122.

[3] المغول : يطلق عليهم التتر وهم قبائل سكنت الصين والاقاليم الممتدة من اواسط آسيا الى الجنوب الشرقي من اوروبا ، وهي قبائل تعتاش على الرعي وعلى السلب والنهب ، ديانتهم المسيحية ، ظهرت دولتهم بظهور احد قادتهم " جنكيز خان " في القرن 6هـ/12م . ينظر: سليمان ، احمد عبد الكريم ، المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس ، ط1 ، دار = = النهضة ، القاهرة ، 1984م ، ص13؛ شبور ، برتولد ، العالم الاسلامي في العصر المغولي ، ترجمة : خالد اسعد ، ط1 ، دار حسان ، دمشق ، 1982م ، ص21-22.

[4] عين جالوت : قرية تقع غربي بيسان بالغور الشامي . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص527 ؛ الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، ج3 ، ص288.

وكان تأثير الانتصار المملوكي على المغول كبيراً في نفوس الصليبيين، فلا شك انهم ادركوا بعد هذه المعركة ان ايامهم باتت معدودة ، وانهم يجب ان يتعاملوا مع الواقع الجديد بكل حذر ودقة خاصة وانهم امام عدو عنيد فيه من المزايا والمؤهلات ما يخشى منه على دولهم ، وهذا ما دعاهم الى التودد والتقرب الى المماليك بعقد الاتفاقيات والهدن .

اما العامل الآخر الذي عجل بنهاية الصليبيين واضعف قوتهم فهو العامل الاقتصادي ، فكان كالقشة التي قصمت ظهر البعير ، ذلك ان التنافس بين المدن الايطالية على المنافع المادية ادت الى حروب طاحنة اودت بالبقية الباقية من الدولة اللاتينية في الساحل الشامي وسهل انقضاض المسلمين عليهم ، وهذا ما اكده هايد[2] حينما القى جزءاً كبيراً من مسؤولية فشل الكيان الصيبي وانهياره على عاتق الكيانات التجارية وبخاصة الايطاليين ، وكانت عكا مصدر هذه الخلافات ، ففيها من التكتلات الدينية والاقتصادية ما جعل المملكة اللاتينية تنقسم انقساما كبيراً واصبحت كما يصفها اسقفها جاك دو فيتري " وحش له تسعة رؤوس كل راس تقاتل الاخرى"[3].

كانت بداية الخلاف بين المدن التجارية في الازمة التي حدثت خلال الحملة الصليبية الثالثة عام 585هـ / 1189م بين الملك السابق على العرش اللاتيني جاي لوزجنان[4] وبين كونراد مونتفرات سيد صور وتنافسهما حول زعامة العرش

---

[1] ابو الفداء ، المختصر في تاريخ البشر ، ج3 ، ص205؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص526 .

[2] ينظر: تاريخ التجارة ، ج1 ، ص361. كذلك قال بهذا القول الباحث كندر "Conder" حينما القى مسؤولية فشل الكيان الصليبي الى التنافس الشرس بين المجتمعات التجارية الايطالية. ينظر: The Latin kingdom of Jerusalem ,p300.

[3] بالار ، الحملات الصليبية والشرق ، ص176.

[4] جاي لوزجنان : احد البارونات الفرنسيين الذي تولى حكم يافا وعسقلان ، زوجته سبيلا ابنة الملك عموري واخت المللك بلدوين الرابع ، اصبح وصياً على العرش بعد وفاة الملك بلدوين

اللاتيني[1] ، ولتقوية جبهتهما أخذ كلا منهما يعملان على كسب القوى التجارية الى صفهما ، فنجح كونراد مونتفرات في كسب الجنويين الى جانبه في حين ظاهر البيازنة جاي لوزجنان ، ووصلت الامور بينهما الى نشوب حرب انتهت بقيام الجنويين بالسيطرة على مقاليد الامور في عكا ومحاولة تسليم عرشها الى حليفها كونراد ، لكن هذه المحاولة احبطت بتدخل الملك الانكليزي "ريتشارد" وبمعاونة البيازنة الذين أعفائهم الملك من الضرائب على بضائعهما[2] .

ظلت المدن التجارية تستغل الخلافات بين الامراء لكسب المزيد من الامتيازات ، فكانت هذه المرة بين جاي لوزنجيان حاكم قبرص ، وبين هنري شمباني الذي اصبح حاكم صور، فانفجر النزاع بين الاثنين عام608-610هـ/ 1193-1195، ووقف الجنويين الى جانب هنري في حين وقف البيازنة الى جانب جاي لوزنجيان بعد ان وعدها بزيادة في امتيازاتها ، وفي النهاية فشلت محاولات بيزا في تنفيذ سياستها الرامية في الاستيلاء على تجارة الشرق وذلك حينما خسر حليفها مرة اخرى جاي لوزجنان امام خصمه هنري شمباني الذي فاز بعرش عكا ، وامام هذه التحديات طرد هنري البيازنة من مملكة بيت المقدس كلها ، فخسر البيازنة ممتلكاتهم ولم يفلحوا في استرجاعها الّا بعد الاتفاق بين هنري وجاي عام610-611هـ / 1194-1195وتصفية خلافاتهما[3].

الخامس ابن سبيلا من زوجها الاول عام 582هـ/1186م ، وقع اسيراً في معركة حطين وتم اطلاق سراحه من قبل صلاح الدين ، فهجم على مدينة عكا وقام بمحاصرتها أملاً في استرجاع عرشه مرة اخرى. ينظر: عاشور ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص821-823؛ رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج2 ، ص507؛ باركر ، الحروب الصليبية ، ص81.

[1] غروسيه ، موجز الحروب الصليبية ، ص69.

[2] رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ، ص101؛ هايد ، تاريخ التجارة في الشرق الادنى ، ج1 ، ص320؛ عاشور ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص850.

[3] هايد ، تاريخ التجارة ، ص322؛ عاشور ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص868 .

في القرن 7هـ/13م وصل الخلاف بين المدينتيين جنوة وبيزا اشده وتحول على اثره الى نزاع عنيف في شوارع عكا ، ففي عام638هـ/ 1222م اقدمت بيزا على اشعال الحرائق في الاملاك الجنوية الامر الذي ادى الى اثارة غضب جنوة وامتناعهم عن دخول المدينة ورفضهم استئناف اعمالهم التجارية الّا بوساطة الامبراطور فردريك الثاني(591-648 هـ/ 1194-1250م)[1] الذي تمكن من انهاء تلك الخلافات بين الطرفين[2].

استمرت الخلافات تنخر بجسم الدولة اللاتينية المتهالك وتنذر بأوخم العواقب ولم تكن المدينتيين تنوي ان تتخلى عن صراعتهما ، ففي عام 647هـ /1249م وخلال اقامة الملك لويس التاسع ملك فرنسا في ميناء عكا ، وبينما هذا الملك يعقد صفقات تجارية مع الايطاليين لأستئجار السفن الاستكشافية الى مصر وذلك للتحضير للحملة الصليبية السابعة المتوجهة الى مصر[3] ، اندلع شجار دموي بين المدينتيين التجاريتيين استمر احدى وعشرين يوماً ادى الى قتل قنصل جنوي وقنصل قبرصي ، وواجهه الملك صعوبة كبيرة في تهدئة الاضطرابات ، وانقاذ المملكة من عثرتها

---

[1] فردريك الثاني : امبراطور المانيا وملك صقلية ، ولد من اب الماني وأم صقلّبة المولد سنة591هـ/ 1194م ، اختير على عرش المانيا سنة 609هـ/ 1212م من قبل البابا واعداً اياه بالقيام بحملة صليبية في بلاد الشام ، وبعد ان تمكن من العرش الامبراطوري قاد حملة الى عكا عام626هـ/ 1228م . ينظر : عاشور ، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى ، ص351-354؛ احمد ، عزيز ، تاريخ صقلية الاسلامية ، الدار العربية ، 1980م ، ص97؛

Kantorowics , Ernst ,Frederick the second ,New york , p11.

[2] هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص348.

[3] الحملة الصليبية السابعة : سبب هذه الحملة وقوع القدس مرة اخرى بيد المسلمين ، فخرج الملك لويس التاسع بجيش جرار نحو مصر ، باعتبارها اغنى مقاطعات الامبراطورية الايوبية، فإذا ما تم الاستيلاء عليها ، اصبح بالامكان مبادلتها بالقدس ، الّا ان تلك الحملة باءت =

= بالفشل. ينظر: عاشور ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص1008-1017؛ رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ، ص310-318.

الدامية ، الى ان توسط امير ارسوف جون الابيليني بين المدينتيين فنجح في اخذ هدنة استمرت ثلاث سنوات[1].

في عام648هـ / 1250م حدث قتال كبير في عكا ايضاً لكن هذه المرة كان بين سكان جنوة والبندقية ، وسببه قتل احد البنادقة تاجرا من ابناء جنوة[2] ، وظلت الامور قلقة منذ ذلك الحين حتى عام654هـ/ 1256م ، ففي هذه السنة إذ خرجت الاوضاع عن السيطرة وتحولت الى حرب اهلية ، حينما ادعت الجاليتين الجارتين حقهما في امتلاك دير مسيحي قائم على تل يسمى "مونجوا " يفصل بين الحيين البندقي والجنوي في مدينة عكا ، ويسمى هذا الدير " دير القديس ساباس القديم" ، والذي يمتاز بأهميةٍ استراتيجية تفوق ميزته القدسية ؛ وذلك لأن المرتفع الذي يقع عليه يطل على ميناء عكا وبذلك يمكن القائمين عليه ان يتحكموا مباشرةٍ على اغلب نشاطاته الاقتصادية[3] ، هذه الميزات جعلت الجنويين يفكرون اولاً في الاستيلاء عليه ، وحينما بدأوا بتنفيذ خطتهم تلقفهم البنادقة واحتجوا على تصرفهم هذا ، ثم تطورت الامور بينهما وتحول الاحتجاج البندقي الى معركة سميت "حرب سانت ساباس"[4].

---

[1]Hill, George, Ahistory of Cyprus ,Cambridge Library collection voll 2 , p141

؛ رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ، ص334-335 ؛ زيتون ، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص148.

[2] هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص349. ويعطي "Thompson " سببا آخر لهذا العداء بين جنوة والبندقية فيقول ان جنوة كرهت البندقية لانها ابعدتها عن البحر الاسود . ينظر: Economic and social history of the middle ages,p421. والباحثة تميل الى الرأي الذي يقول ان التنافس على تجارة البحر المتوسط كانت من اهم اسباب صراع المدن الايطالية في هذه الحرب.

[3] عاشور ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص1055.

[4]Benvenisti , The crusaders in the holyand , p90.

هذه الحرب كانت لها انعكاسات خطيرة على بنيان المملكة الصليبية ، إذ عملت على تشتيتها الى كيانات عدة واصبحت كل مدينة تؤيد طائفة ضد الاخرى ، فمثلاً فيليب مونتفورت صاحب صور وقف الى جانب الجنوية ؛ لأنه كان يعتقد ان هذه هي فرصته الثمينة لتقليص نفوذ البنادقة في مدينته واستقلاله عن مملكة عكا وبالتالي استئثار التجارة فيها ، فعمل اولا على سلب امتيازات البنادقة وطردهم من ثلثي مدينة صور[1] وانضمت اليه الاسبتارية واسرة امبرياكو حاكمة جبيل دفاعا عن اصلها الجنوي ، اما البندقية فقد وقفت الى جنبها تجار مدن بيزا ومرسيليا[2] ومملكتي انطاكية وطرابلس والتي دفع عداوة اميرها بوهيموند السادس (649-673هـ/ 1251-1275م)[3] لأسرة امبرياكو الى الوقوف معها[4].

لقد كانت تلك الحرب شاملة في كل ميادين البر والبحر ، فبالاضافة الى الاشتباكات الدموية على الارض كان هناك نزاع بحري ايضاً ، فلقد ارسلت البندقية اسطولا بقيادة لورنزو تيبولو تمكن من الاستحواذ على الميناء برمته[5] ، والنتيجة النهائية لهذه الحروب خسائر هائلة في الانفس والمعدات ، وليس ادل على ذلك عدد

؛ زيتون ، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص149.

[1] هايد ، تاريخ التجارة في الشرق الادنى ، ج1 ، ص350.

[2] رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ، ص333.

[3] بوهيموند السادس : آخر الحكام اللاتين الذين حكموا انطاكية وطرابلس بعد وفاة ابيه بوهيموند الخامس ، وكان عمره لا يتجاوز الرابعة عشر ، امتاز بذكاءه وقوة شخصيته. ينظر: نسيم ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص303-307.

[4] Depping , Histoire Du cmerce Le levant et Europe, p92

؛ Hill, Ahistory of Cyprus ,p150 ؛

رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ، ص334- 335. وترجع اصل العداوة بين امير طرابلس بوهيموند السادس واسرة امبرياكو الى نجاح الاخيرة في اعلان استقلالها عن طرابلس وتخلصهم من تبعية حاكمها. ينظر: عامر ، الصليبيون في فلسطين، ص122.

[5] عطية ، امارة انطاكية الصليبية ، ص398.

القتلى الذين قدروا بعشرين الفاً ، وحرق 32 سفينة جنوية[1] ، اضافة الى خسائر اقتصادية هائلة نتجت عن اغلاق ميناء عكا امام تجارات السلع المهمة ذات الارباح العالية والتي كانت من اهمها تجارة التوابل[2] واستمرت هذه الحرب الاهلية حتى عام669هـ/ 1270م ، وذلك بعد عقد المدينتين جنوة والبندقية هدنة طويلة الامد وتحت رعاية البابا كليمنت والملك القديس لويس ملك فرنسا[3]، ومنذ ذلك الحين هيمنت البندقية على اوضاع التجارة في عكا بعد ان أُجبر الجنويين على الجلاء عن حيهم في عكا والمغادرة الى صور، لكن ذلك لا يعني حرمانهم من المتاجرة في ميناء عكا بشرط عدم رفع أي سفينة جنوية علم مدينتها[4].

كشفت هذه الحروب الصليبية عن تفكك كبير يعاني منه النظام الصليبي ؛ والسبب في ذلك افتقارهم الى حاكم قوي قادر على ادارة ملف الازمات المحيطة بالمملكة الصليبية بالشكل الجيد ، كما اثرت هذه الحروب كثيرا على اوضاع التجارة في البحر المتوسط فضعف امرها وأمر الملاحة فيه ، وانهارت الاستثمارات فيما وراء البحار ، فأخذ التجار يبحثون عن ملاذ آمن بديل لتجارتهم ، فكانت ارمينيا الصغرى او ضفاف البحر الاسود من اهم الوجهات المقصودة في تلك المدة[5].

---

(1) Thompson , Economic and social history of the middle ages, p421 ؛ مؤنس ، الحروب الصليبية دراسات في التاريخ المقارن ، ط1 ، دار العالم ، القاهرة ، 2010م ، ص173.

(2) هاو ، في طلب التوابل ، ص43.

(3) هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، 357؛ ماير ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص479. وكان الملك لويس قد وصل الى عكا سنة648هـ/ 1250م لتنظيم احوال الصليبيين فيها. ينظر: عاشور ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص1042.

(4) Benvenisti, The crusaders in the holy land, p91 ؛
Archer and charles lethbridge, The Crusader, the story of the latin kingdom of jerusaleam, p412.

(5) بالار ، الحملات الصليبية والشرق ، ص310.

استغل الحاكم المملوكي الظاهر بيبرس(658- 676هـ / 1260- 1278م) الخلافات الصليبية وادرك ان هذه هي فرصته الثمينة التي يجب عليه ان لا يضيعها دون ان يصفي حساباته معها فبدأ في رسم سياسة سياسية ذي حدين ، ففي الوقت الذي كان يقاتل الفرنج على جبهات متعددة كان يترك الباب مفتوح للمفاوضات معهم ؛ وذلك لتفتيت جبهتهم وتفريط قوتهم وفقد الثقة فيما بينهم وكان حريصا على ان يكون هو الطرف الاقوى في المفاوضات ؛ وذلك لأملاء شروطه التي يرى فيها صلاح دولته ، ففي سنة 663هـ/ 1265م شرع في عمليات تحرير كبرى لضرب معاقلهم في الساحل الشامي ، فتمكن من تحرير قيسارية وارسوف[1] ، وفي سنة 666هـ/ 1268م اخضع يافا[2] ، ثم فتح انطاكية وفيها قسم جيشه على ثلاثة اقسام ، قسم اتجه الى ميناء السويدية لحصار المدينة من جهة البحر ، وقسم سد الممرات بين آسيا الصغرى والشام ، والثالث تحت قيادته بنفسه[3]حتى تم اخضاع المدينة ، فوجد المسلمون فيها من الغنائم ما يعجز المرء عن حملها حتى قال عنها المقريزي[4] :" فاحضر الناس الاموال والمصاغ الذهب والفضة حتى صارت تلاً بها ، وقسمت في الناس ، وطال الوزن فسمت النقود بالطاسات" ، وهذا النص يعطينا اشارات واضحة على الرفاهية الاقتصادية والثراء التي كان يتمتع بها سكانها ، فكان سقوطها ايذانا بانهيار البناء الصليبي ببلاد الشام بأكمله[5] ، فلم يبق من المدن الكبرى سوى

---

[1] ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، ص230- 242؛ عباس ، شافع بن علي (730هـ) ، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية ، تح : عبد العزيز بن عبد الله ، ط2 ، الرياض ، 1989م ، ص183؛ المقريزي ، السلوك، ج2 ، ص20- 21.

[2] اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج2 ، ص376 ؛ بدر الدين العيني ، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى (855هـ) ، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ، تح: محمد امين ، ط1 ، جامعة القاهرة ، ج1 ، ص114.

[3] عاشور ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص1094.

[4] السلوك ، ج2 ، ص50.

[5] وترجع اهمية انطاكية بالنسبة الى الصليبيين الى انها المملكة الثانية التي قامت لهم في بلاد الشام والتي استمر بقاءها قرنين من الزمان من الحكم المسيحي فيها ، كما ان لها تأثير كبير في

عكا وطرابلس ، وحتى لا يستفيد منها الفرنجة في اية عمليات قادمة ، اتبع بيبرس سياسة الارض المحروقة في المدن الساحلية المحررة وتدميرها تدميراً كاملاً[1]، وفي سنة 669هـ/ 1271م توجه بجنده للاستيلاء على طرابلس ، فاستولى اولاً على حصن الاكراد ، وحصن عكار[2] وانقطع اتصال المدينة في الساحل الفرنجي بين طرابلس واللاذقية ، ولما اصبحت المدينة محاصرة استعد الملك لمهاجمها والاستيلاء عليها لولا وصول الاخبار بوصول الحملة الصليبية الانكليزية والتي انقذت المدينة من السقوط[3] ، وازاء هذه الانتصارات رضخ الصليبيون للأمر الواقع وطلب ملكهم الجديد هيو الثالث ملك قبرص (1267- 1284م / 665-682هـ) توسط حاكم صور جون مونتفور[4] في عقد هدنة مع السلطان تقرر فيها مصير الممالك الباقية،

حركة التجارة العالمية خلال العصور الوسطى وذلك بوقوعها على طرق التجارة التي تربط بين الشرق والغرب. ينظر: عاشور ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص1095؛ عطية ، امارة انطاكية والمسلمون ، ص107.

[1] ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص28؛ بدر الدين العيني ، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ، ج2 ، ص384 ؛ وينظر: عاشور ، مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ، ص182؛ ماير ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص488. ويشرح لنا صاحب سيرة الملك الظاهر بيبرس كيف ان الملك بنفسه كان يهدم هذه المدن ويتبعه الناس بذلك ، ومن هذه المدن هي قيسارية ، ويافا ، وقلعة عثليت التابعة للداوية جنوب حيفا . ينظر : ابن عباس ، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية ، ص231-234.

[2] ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج4 ، ص6 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج2 ، ص69-70 ؛ ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص150-152؛ وينظر: ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، تح: ميخائيل خوري ، الجامعة الامريكية ، بيروت ، 1961م ، ج6 ، ص190.

[3] Stevenson , The crusaders in the East ,p343

؛ سالم ، طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي ، ص269.

[4] وهذا الرجل له علاقات طيبة مع ملك قبرص هيو بكونه زوج اخته ، كما انه مرتبط بمعاهدة مع السلطان بيبرس. ينظر: اديوري ، بيتر ، قبرص والحروب الصليبية ، ط1 ، دار الملتقى للطباعة والنشر ، بيروت ، 1997م ، ص85.

وان تكون مدتها عشر سنين وان لا ينقضها تدخل الغرب بحملات او مدد يأتي من الغرب وكان ذلك سنة 666هـ/ 1225م[1] ، وفي سنة 670هـ/ 1271م جددت الهدنة بين بيبرس وملك عكا وقبرص على ان تكون لمدة عشر سنوات وعشرة اشهر وعشرة ايام وعشرة ساعات[2] ، واستمرت الاوضاع على تلك الحال حتى كانت وفاة الظاهر بيبرس عام 676هـ/ 1277م[3] بعد ان اصبح نفوذ الفرنج قاصراً على مدن عكا ، وصور ، وصيدا ، وطرابلس ، وجبيل ، وطرطوس مع مدينة اللاذقية[4] .

استلم المنصور سيف الدين قلاوون (679-689هـ/ 1281-1290م) السلطة بعد ان قاد تمرد ضد الملك السعيد بركة ابن الملك الظاهر بيبرس(676-677هـ/1277-1278م) ، فاخذ على عاتقه جهاد الصليبيين وتطهير بلاد المسلمين منهم خاصة وان المهمة الموكولة له قد اصبحت جدا سهلة مع ضعف العدو وانهياره ، فأخذ يراقب الاحداث عن كثب ويعمل اولا على التخلص من المغول وينهي بقاياهم حتى يتفرغ هو لجبهة الصليبيين ، فعمل اولا على مهادنة الفرنج حتى لا يتفاجأ بخروجهم وهو يحارب المغول[5] ، فجدد الهدنة بينه وبين الاسبتارية سنة 680هـ/1281م كما عقد هدنة اخرى ايضا مع امير طرابلس لمدة

---

[1] وكانت بنود هذه الهدنة اعتراف السلطان بملكية الفرنج لمملكة عكا وما يتبعها من البلاد وهي احدى وثلاثين قرية ، وبقية بلادها مناصفة ، وان تكون ثلاث قرى من حيفا لهم والبقية للمسلمين ، وان تكون مرتفعات صيدا للمسلمين والمنخفضات للفرنج مما اتاح للمسلمين مراقبة الاوضاع ورصد أي تحركات مشبوهة قد تؤدي الى نقض الهدنة . ينظر: ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، ص332.

[2] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، ص398

[3] ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص274؛ ابن ايبك ، ابي بكر ابن عبد الله (ت بعد 376هـ) ، كنز الدرر ، تح: صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، 1961م ، ج8 ، ص209.

[4] رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ص401.

[5] اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج4 ، ص8 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج2 ، ص117؛ وينظر: سرور ، دولة بني قلاوون في مصر ، مطبعة الاعتماد ، مصر ، ص232.

عشر سنوات ايضا، ثم تفرغ اخيراً الى المغول الذين احتشدوا في حمص ، فانزل الهزيمة بهم وكان نصرا كبيرا للمسلمين[1] ، ولم يحافظ الصليبيون على الهدن الموقعة مع المسلمين وذلك حينما تعرضت قافلة من التجار المسلمين الى هجوم من قبل الاسبتارية ، فتوجه السلطان على اثرها الى حصار حصنهم المرقب مدة ثمانية وثلاثين يوما الى ان اضطر الفرنج الى تسليمه ، وكان هذا الانجاز اثره في المدن الصليبية الاخرى فأضطر امير طرابلس ان يسلمه حصن مرقية[2] ، كما اشترى امير صور الصلح مع المسلمين مقابل تنازله عن نصف دخل المدينة السنوي ومتعهدا بعدم تجديد حصونها[3] .

استمر العامل الاقتصادي يساهم في اضعاف الحكم الصليبي للسواحل الشامية وانهائه المرة بعد الاخرى ، ففي عام686هـ/ 1287م ايقظت الخصومات بين المدن التجارية الفتنة من جديد وكانت بمثابة اعلان النهاية لمملكة الفرنج والى الابد ، إذ نشبت الحرب في ايطاليا بين بيزا وجنوة فامتد تأثيرها الى بلاد الشام ، حيث اتى اسطول جنوي لمهاجمة البيازنة ومستعمراتهم ، وتمكن ابناء جنوة من محاصرة الساحل كله ومنع أي سفينة من الابحار ، وقد حرص قائد الاسطول الجنوي على المرور بالاسكندرية للحصول على رضا السلطان قلاون وتأييده في حين اخذت بقية سفنه تنزل جام غضبها بالبيازنة وسفنهم عند عكا ، فانتهز السلطان فرصة انشغال

---

[1] ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج4 ، ص14-15 ؛ النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج31 ، ص73-74 ؛ ابن ايبك ، كنز الدرر ، ص241-246 ؛ وينظر: ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، مج 7 ، ص204-205.

[2] مرقية : قلعة حصينة في سواحل حمص . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص105.

[3] اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج4 ، ص241؛ تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص315 ؛ وينظر: المعاضيدي ، خاشع وآخرون ، تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي ، ط2 ، 1986م ، ص240 ؛ سرور ، دولة بني قلاوون في مصر، ص238؛
Stevenson , The crusaders in the East , p349.

الاساطيل الايطالية بالحروب فيما بينها فارسل حملة نجحت في الاستيلاء على اللاذقية ، وكانت آخر ما تبقى من امارة انطاكية[1] .

واثناء انشغال الفرنج بهذه الفتن توفي بوهيموند السابع امير طرابلس686هـ/ 1287م وكان ذلك سببا في خسارة الصليبيين لهذه المدينة ، إذ بقي العرش فارغا ولم يكن هناك وريث يشغله ، مما حدى بفرسان المدينة وتجارها تكوين قوميون يتولى حكمه صاحب جبيل امبرياتشي طالبين مساعدة جنوة في امرهم هذا ، على ان يضمنوا لها ثلث ايرادات المدينة ، فابدت جنوة استعدادها لقبول هذا العرض ، فدبت الغيرة في نفوس البنادقة الذين كانوا يريدون الاستحواذ على تجارة طرابلس ، فأخذوا يخوفون السلطان بانهم إذ سيطرت جنوة على المدينة فسوف تهيمن على الشرق كله ولسوف تغدو تجارة الاسكندرية تحت رحمتها طالبين منه التدخل[2] فما كان من السلطان الّا ان هجم على طرابلس سنة688هـ/ 1289 م فسقطت المدينة بيده[3].

---

[1] عاشور ، الحركة الصليبية ج2 ، ص1114. ويقول رانيسمان ان سبب فتح ميناء اللاذقية كانت من الشكوى التي قدمها تجار حلب الى السلطان وادعائهم من ان هذا الميناء هو الوحيد الذي تخرج منه بضائعهم الى البحر ، وأنهم لا يرضون ان يكونوا تحت رحمة القوانين اللاتينية . ينظر : تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ص465. في حين يؤكد هايد بأن فتح اللاذقية جاء ارضاء لتجار الاسكندرية الذين كانوا ينظرون بعين الحسد الى ازدهار تجارة هذه المدينة. ينظر : تاريخ التجارة ، ج1 ، ص358.

[2] رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ص467-468 ؛ هايد ، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص359.

[3] المقريزي ، السلوك ، ج2 ، ص211. وذكر ابن تغري بردي ان السبب الذي دفع السلطان الى فتح طرابلس ان صاحب جبيل قد عرض على السلطان المنصور قلاوون ان يساعده على تملك طرابلس على ان تكون بينهما مناصفة ، فعندما ساعده على ذلك خانه ولم ينفذ وعده للسلطان ، فعزم السلطان على قتاله ، وتجهز للمسير الى طرابلس ونصب عليها المجانيق وضايقها مضايقة شديدة إلى أن ملكها بالسيف . ينظر: النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص321.

من الواضح ان المدن اللاتينية كانت تحت يد السلطان ورحمته ، وكانت كل مدينة من المدن المتبقية تعمل بصورة منفردة عن الاخرى ، فقد غاب التعاون بينهم بكل صوره وانعدمت الثقة بينهم مما سهل على المسلمين القضاء عليهم .

حاول البابا نقولا الرابع استصراخ اوروبا لأنقاذ الوضع السيء في مملكة عكا ، لكن نداءاته لم تلق صدى ، الملك فيليب ملك فرنسا تنصل من كل مسؤولية ، اما ملك انجلترا فيبدو انه غير متحمس لأي عمل عسكري ، ولم ينجح البابا الّا في اقناع مئات من الحجاج الى العبور بأتجاه عكا ، وكان وجودهم مثل الكارثة التي سارعت بأنهاء الكيان الصليبي برمته[1] ، فهؤلاء اشبه بجيش من الرعاع المتطرفين دينياً ، جاءوا الى عكا وتفاجأوا بوجود حشود كبيرة من التجار المسلمين يمارسون نشاطهم بكل سهولة ويسر ، فاستثاروا غيضاً وغضباً واجهزوا عليهم بدمٍ بارد ، ثم توجهوا الى القرى وكان نصيب الفلاحين المسلمين من القتل كبيراً[2] .

اشتدت نقمة السلطان قلاوون بعد الاحوال المأساوية للمسلمين في عكا ، فتوجه اليها وهو عازم على انهاء معاناتهم وضرب معاقل عدوهم، لكنه القدر لم يدعه يكمل مهمته إذ الم به المرض وتوفى عام 689هـ/ 1290م وهو في طريقه اليها ،

---

[1] المقريزي ، السلوك ج1 ، ص223-224 ؛ وينظر:

Stevenson , The crusaders in the East , P351

[2] بردج ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص327؛ عاشور ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص1121. ويقول ابن الفرات :" ان السلطان المنصور بلغه ان بعض التجار من المسلمين كان معهم مماليك قصدوا بهم باب الملك المنصور فلما وصلوا الى ميناء عكا قتلهم الفرنج واخذوا ما =

= معهم من المماليك والبضايع فانزعج لذلك وتألم ثم بلغه ان اهل عكا ثاروا على جماعة من تجار المسلمين فقتلوهم بها فصمم على قصدهم لأنتقاص الهدنة التي كانت قد تقررت بوقوع هذه الحادثة منهم وارسلوا له يعتذرونه فلم يقبل منهم" . ينظر: تاريخ الدول والملوك ، ص 96-97. ونفهم من رواية ابن الفرات بأن هناك حادثتين تعرض لها التجار المسلمين الاولى في الميناء وقد تكون محاولة قرصنة ، واما الثانية فوقعت في ارض عكا والتي كانت من قبل هؤلاء الشرذمة المتطوعين الذين جاءوا لقتال المسلمين .

فتولى ابنه الاشرف صلاح الدين خليل الملك بعده (689- 693هـ/ 1290-1293م)[1] والذي اصر على اكمال ما بدأ به والده واعلن عن حملته الكبرى لتطهير الساحل من الصليبيين ، وكان امل الفرنج ان يعدل عن رأيه فطلبوا منه السماح والعفو ، الّا ان السلطان يبدو انه مصمم على اقتلاع جذورهم هذه المرة فاعلن عن حرب تحرير لا هوادة فيها ونودي في جامع دمشق بالغزاة الى عكا ، فتجمعت العساكر الشامية من كل صوب، وعسكروا قبالة عكا في الخامس من نيسان سنة690هـ/ 1291م وجاءت القوات الاسلامية بأعداد كبيرة تفوق القوات الصليبية الموجودة داخل المدينة التي يقدر عدد سكانها باربعين الف نسمة ، كما أُحضرت مع الجيش مئة آلة حصار تقريبا بعضها كان ضخماً[2] ، وتم محاصرة عكا فاستنجد اهلها بملوك البحر من الفرنج ، واتوهم من كل مكان ومنهم ملك قبرص هنري فاستجاب لأستصراخهم بمعية مائة خيال وألفا راجل في اربعين سفينة، لكن كل ذلك لم يجد نفعاً ، إذ تمكن المسلمون منها ودخلوا اليها وقاموا بهدم اسوارها واحرقت الكنائس ، وكان المستوطنون من التجار اول من فروا منها وآثر الملك هنري الانسحاب تاركاً المدينة لمصيرها، واخذت المدن الباقية في السواحل الشامية تفتح ابوابها للمسلمين من غير قتال وهي صور وصيدا وحيفا وبيروت بعد ان اوقع الله في قلوب اهلها الرعب[3].

---

[1] ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج4 ، ص23-24؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص320 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج2 ، ص216 ؛ ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص325 .

[2] ابن ايبك ،كنز الدرر، ج8 ، ص307 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج2 ، ص223 ؛ وينظر: بردج ، الحروب الصليبية ، ص328 ؛ رالي سمث ، الاسبتارية ، ص194.

[3] ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج4 ، ص25؛ وينظر: ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، ج8 ، 112-113؛ ؛هايد، تاريخ التجارة ، ج1 ، ص 361-362؛ رانيسمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ج3 ، ص478؛

Stevenson , The crusaders in the East , p354-355

الخاتمة

اولت الدولة الاسلامية منذ فجر العصور الاسلامية الاولى اهتماما كبيرا في بسط سلطانها على بلاد الشام ، وخاضت من اجل تحريرها معارك عديدة مع الروم البيزنطيين، فتمكنت وبجهود مضنية من قبل قادة التحرير الاسلامي من ضم هذا الاقليم الى مملكتها ، وعلى اثر ذلك فرضوا سيادتهم الكاملة على الملاحة في البحر المتوسط فاصبح هذا البحر وبفضل تلك الجهود بحيرة اسلامية ، وبمرور الوقت بدأ واضحاً ان البيزنطيين لا يمكنهم التخلي بأي حال من الاحوال عن مصالحهم الاسترتيجية في هذه البلاد ، فوضع اباطرتهم سياسة عسكرية تقوم على بعث الحملات اليها الواحدة تلو الاخرى لعلهم بذلك يستعيدون نفوذهم فيه مرة اخرى ، وما ان حاولت هذه الدولة ان تخلع عنها ثياب الضعف والفوضى وتستعيد قوتها العسكرية ، حتى وجدت لها خصما عنيدا تمثل بالفاطميين وقيام دولتهم في مصر والشام ، فبدأ صراع سياسي بين الدولتين كانت نتائجه وخيمة على المشهد السياسي ، وظلت الامور على هذا المنوال الى ان ظهر السلاجقة وتمكنوا من تغيير معادلة الصراع ، وبظهور هذه العصبة خسرت الدولتان اراضي عزيزة عليهما بعد شل قدرتهما القتالية.

امام هذه الاوضاع القلقة استغلت الكنيسة استصراخ بيزنطة اثر هزيمتها في معركة ملاذكرد وقامت بتسخيرها خدمة لقضيتها الدينية وذلك بدعوة شعوبها لحرب صليبية لا هوادة فيها ، فجاء الالاف من الاوروبيين افراداً وجماعات الى بلاد الشام لغرض استعماره وسلب خيراته ، وما ان ثبت هؤلاء الغزاة اقدامهم في تلك البلاد حتى وجهوا اهتمامهم نحو مدنها الساحلية فاستطاع الصليبيون وبالتعاون مع المدن التجارية الاوروبية احداث تغييرات اقتصادية كبيرة في الساحل الشامي ، ومن خلال دراستنا لأهم تلك المتغيرات خرجنا بنتائج اهمها:

– صحة الفرضية التي اعتمدنا عليها وهي ان الحروب الصليبية كانت دوافعها اقتصادية ، خاصة بعد ذوبان العامل الديني في زحمة الاطماع المادية والتجارية للصليبيين ، فتم أستعمار الارض الشامية واستغلال خيراتها لصالح الشعوب الاوروبية .

– من اهم المتغيرات الاقتصادية ابان تلك الحروب انتقال مركز التجارة العالمي الى اقليم الساحل الشامي، فبعد ان وضع تجار المدن الايطالية اسس اقتصادية قوية تمكنوا بها من قبض مفاتيح تجارة الشرق بيدهم ، أصبحوا هم سادتها بدلا من العرب مع قيام نمو مطرد للروابط التجارية مع اوروبا ، فاخذت اساطيلهم تجوب البحر المتوسط في حركة كبيرة لربط ضفتيه في مشاريعها التجارية ، وحل ميناء عكا وطرابلس ، وبيروت ، وصور محل المراكز التجارية الكبرى في المنطقة ومنها القسطنطينية .

– شهدت اسواق مدن السواحل الشامية زيادة كبيرة في اعدادها ، فاستحدثت انواعاً جديدة تعود اغلبها الى مدن تجارية وهيئات دينية واخرى الى الملوك اللاتين ، وقد كان التنافس بين هذه الاسواق هي الصفة الغالبة عليها ، اما فيما يخص عمليات البيع والشراء في الاسواق فقد ظلت كما هي لم تتغير كذلك الحال فيما يخص وحدات المكاييل والموازين اضافة الى الهيئة المشرفة عليه والمتمثلة بالمحتسب.

– ازداد الطلب في الاسواق الاوروبية ابان الحروب الصليبية على السلع التجارية التي كانت تصل السواحل الشامية بشكل لم يسبق له مثيل في السابق ، ومن اهم تلك السلع التوابل .

– لغرض تسهيل المعاملات التجارية اسس الصليبيون سياسة نقدية تقوم على اصدار نقود مقلدة للنقود الفاطمية تشبهها من حيث الشكل لكن نسبة الذهب كانت اقل ، وهو ما اثر سلباً على اقتصاد الدول الاسلامية وتدهور قيمة العملة وحدوث الغلاء لأسعار السلع فيها.

– ابتعدت الهيئات الدينية المسيحية عن ادوارها المكلفة بها فاصبحت تخوض في غمار الملذات والبحث عن الارباح حتى لو كلفها ذلك خسارة سمعتها وقضيتها المقدسة ، فسيطرت على الاراضي والممتلكات واصبح كل همها جمع الاموال بأي طريقة واخذت تمارس اعمال كانت تعدها خطيئة ومنها اقراض النقود بفوائد مشروطة وهو ما عرف بالربا واصبحت من اكبر الداعمين لها .

– القطاع الزراعي لم يسلم من ذلك التغيير فعانى في بداية الامر وعلى اثر هجمات الصليبيين واعتداءاتهم تدهورا كبيراً انعكس سلباً على احوال الريف والفلاحين فيه، مما اضطر قادة الصليبيين ليوائموا بين ما كان عليه وبين المتغيرات الجديدة ، فقاموا بأستحداث القرى الزراعية التي كان المسلمون هم عماد القوة العاملة فيها ، وفرضوا الضرائب على عائدية الارض وما تنتجه من خيرات وادخال وحدات زراعية جديدة لقياس مساحة الارض مثل الكاريوكا والمحراث ، اما الصناعات فقد اصبحت محتكرة ومستغلة من قبل الغزاة وذلك بزيادة أنتاج السلع الموجهه لأشباع حاجات السوق الاوروبية .

– نتج عن تلك المتغيرات ادخال وظائف اقتصادية جديدة لم تكن معروفة من قبل، منها وظيفة الرئيس المتولي على القرية الزراعية ، ووظيفة القنصل المشرف على الامور التجارية في البلدان الخارجية.

– على الرغم من فشل الحروب الصليبية الّا انها اثبتت تأخر اوروبا بالنسبة الى العرب المسلمين في ميادين اقتصادية عديدة منها افتقارها الى النظام النقدي الذي يحظى بقبول عالمي مثل عملة الذهب والذي تسرب اليها عبر المعاملات التجارية ، كذلك تعلم الاوربيون النظام المصرفي من المسلمين والذي اسهم في بناء اسس النظام الراسمالي في اوروبا ، فاستفاد الغرب كثيراً من هذه الحروب في قيام نهضة اقتصادية كبيرة شهدتها اوروبا كانت بداية لقيام الثورة التجارية فيها.

– التغيير الاقتصادي اتصف بشموليته لكل الفعاليات الاقتصادية في المدن الساحلية ، وعلى الرغم من انه كان تحولاً نحو الاحسن خاصة فيما يتعلق بتوسع الحركة

التجارية في المدن الساحلية ونمو اقتصادها وتوسع اسواقها وتضاعف انتاج السلع وتسويقها الّا ان كل ذلك كان يجري خدمة لأغراض الكيان الصليبي ومشاريعه الاستعمارية.

– شهدت السواحل الشامية ابان الحروب الصليبية تفاعل العوامل الاقتصادية مع الاجتماعية مما ساهمت الى حداً ما في تكوين بنية استيطانية للمدن الايطالية عبر اقامة الاحياء التجارية (القوميونات) ، مع الحفاظ على طابعها الغربي ، ثم ما لبثت هذه الاحياء ان مثلت عامل تهديد للكيان الصليبي واجتثاث جذوره من الارض العربية عبر الحروب الاهلية التي خلفتها المنافسات التجارية.

– انعكست المتغيرات الاقتصادية على توسع حركة الملاحة في البحر المتوسط وزيادة حركة السفن في اساطيل تجارية وظهور انماط جديدة من السفن قادرة على زيادة حمولات التجار وتنظيم ملاحتها في قوانين بحرية للتعامل مع مشاكل البحر.

– من خلال المتغيرات الاقتصادية في السواحل الشامية اخذت العلاقات بين الصليبيين والمسلمين تأخذ منحى آخر ، فحاجة المسلمين الى موانئ السواحل الشامية لتصريف تجارتهم ، وحاجة الصليبيين الى الاموال والغذاء الذي توفره المدن الاسلامية ، ان اتفق الطرفان عبر المعاهدات استئناف التجارة واعادتها الى ما كانت في سابق عهدها فاصبحت القوافل التجارية تتردد بين موانئ السواحل الشامية والمدن الاسلامية .

– المتغيرات الاقتصادية لعبت دوراً كبيراً في انهاء الاحتلال الصليبي واضعاف شوكته من خلال احتدام المنافسة التجارية بين المدن الايطالية واشعال فتيل الازمات والحروب في الساحة الصليبية.

الخرائط

خريطة رقم(1) اجناد الشام نقلاً عن كتاب منطلق تاريخ لبنان لكمال الصليبي

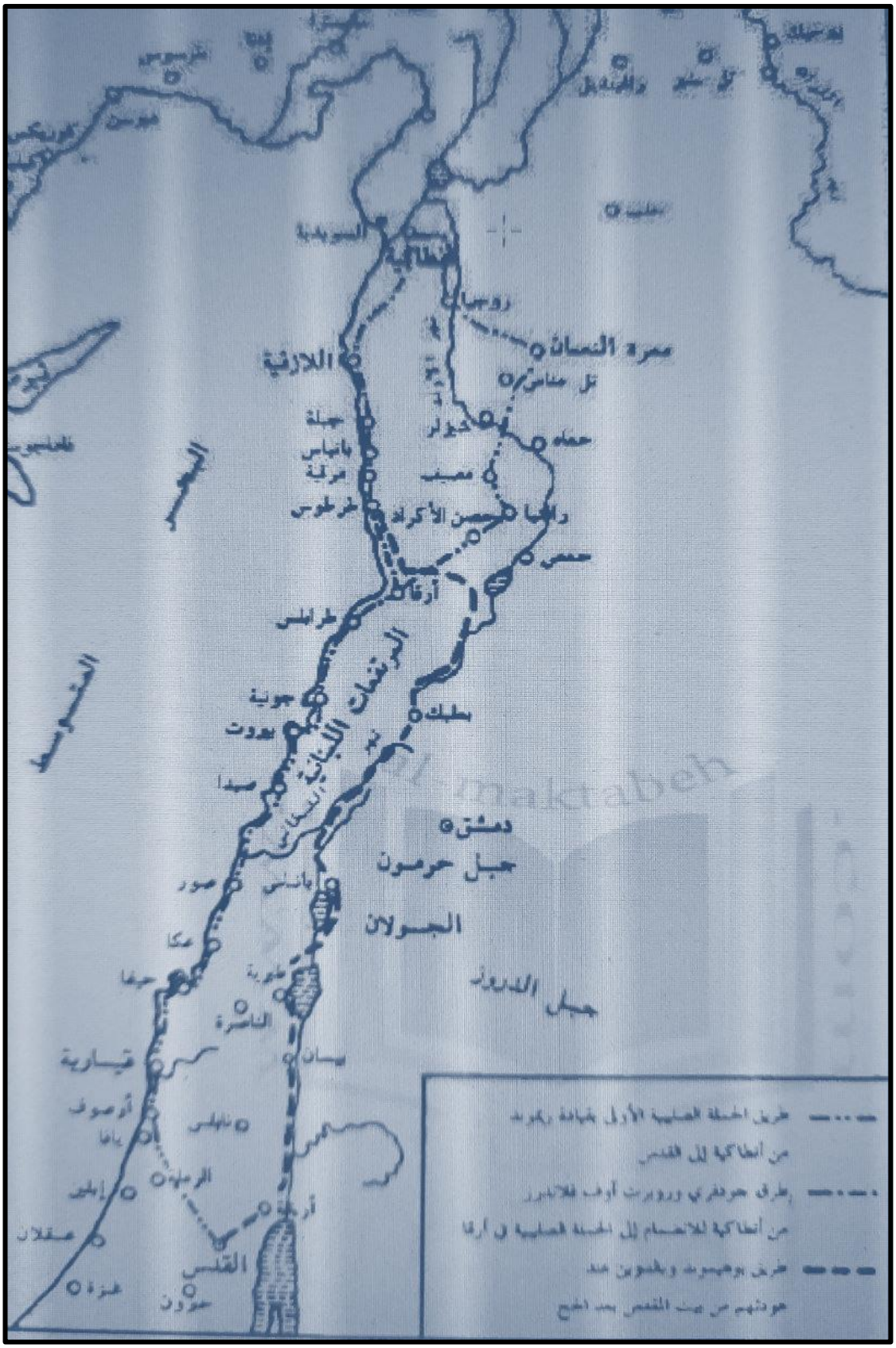

خريطة رقم (2) يظهر سير الحملة الاولى في بلاد الشام ومن ضمنها مدن السواحل الشامية نقلاً عن كتاب تاريخ الحملات الصليبية لرانيسمان

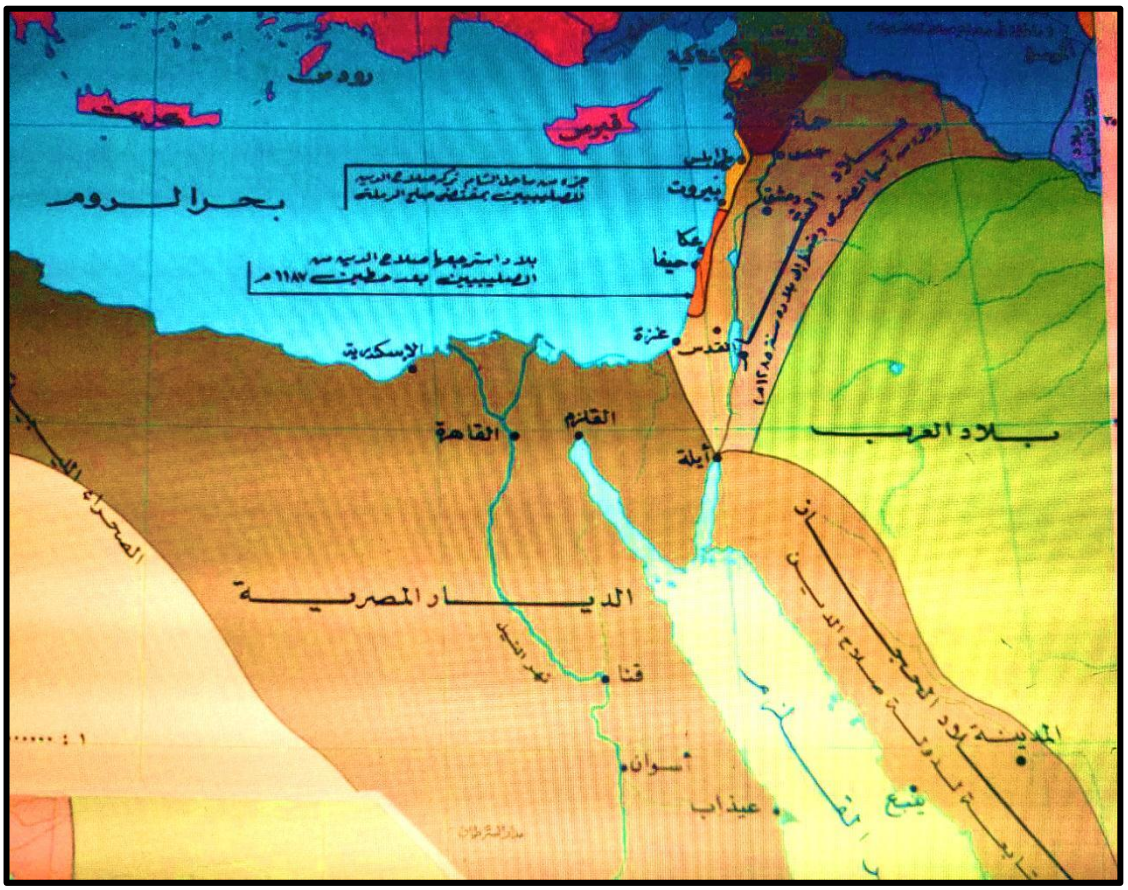

خريطة رقم (3) دولة مصر والشام ايام صلاح الدين الايوبي ويظهر فيها مدن سواحل الشام بعد معركة حطين وصلح الرملة نقلا عن اطلس تاريخ الاسلام لمحمد مؤنس.

خريطة رقم(4) تظهر فيها سير الحملة الصليبية الرابعة . نقلاً عن اطلس الحملات الصليبية على المشرق الاسلامي في العصور الوسطى لسامي بن عبد الله.

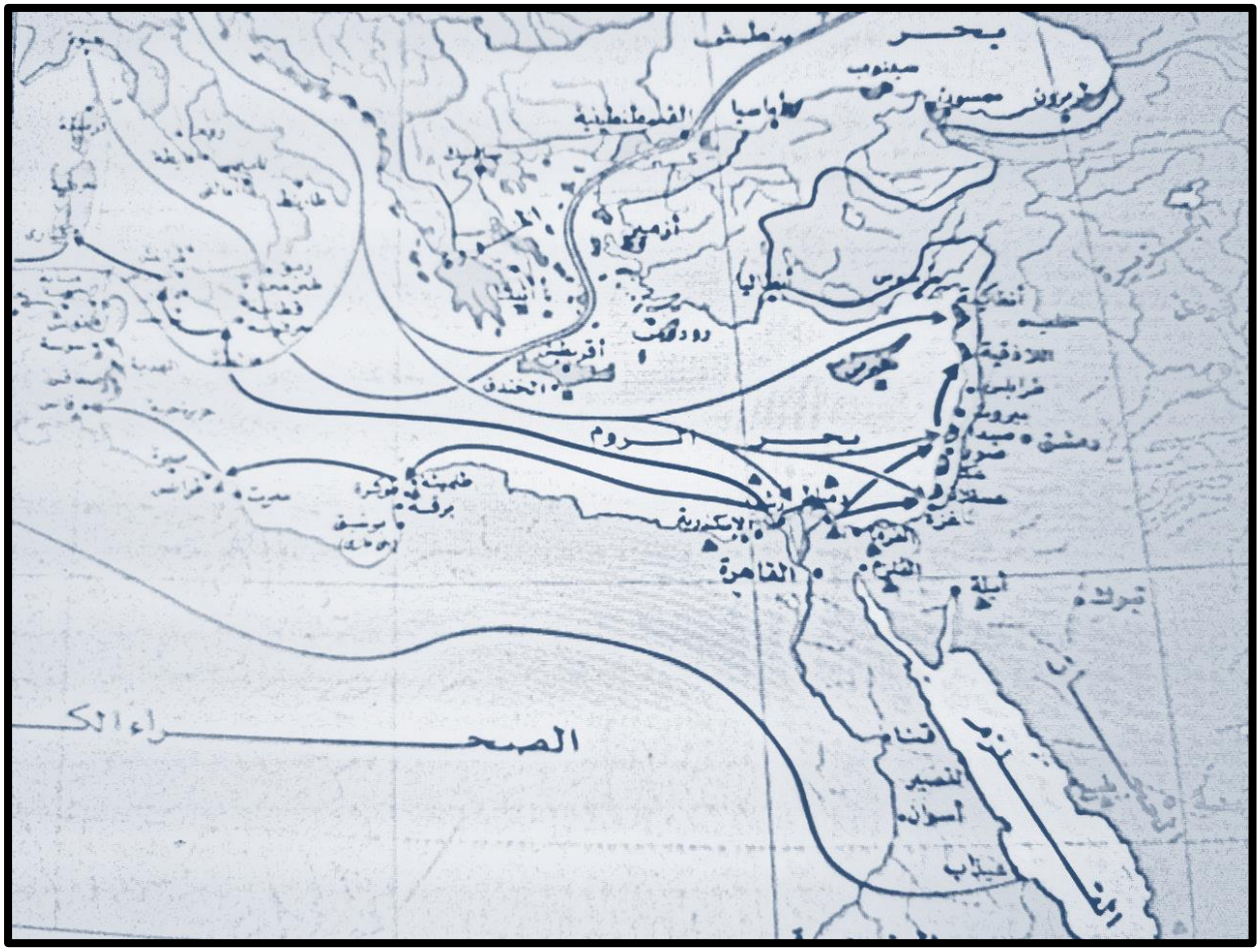

خريطة رقم (5) تبين الملاحة في البحر المتوسط في العصور الوسطى نقلا عن اطلس التاريخ الاسلامي لمحمد مؤنس

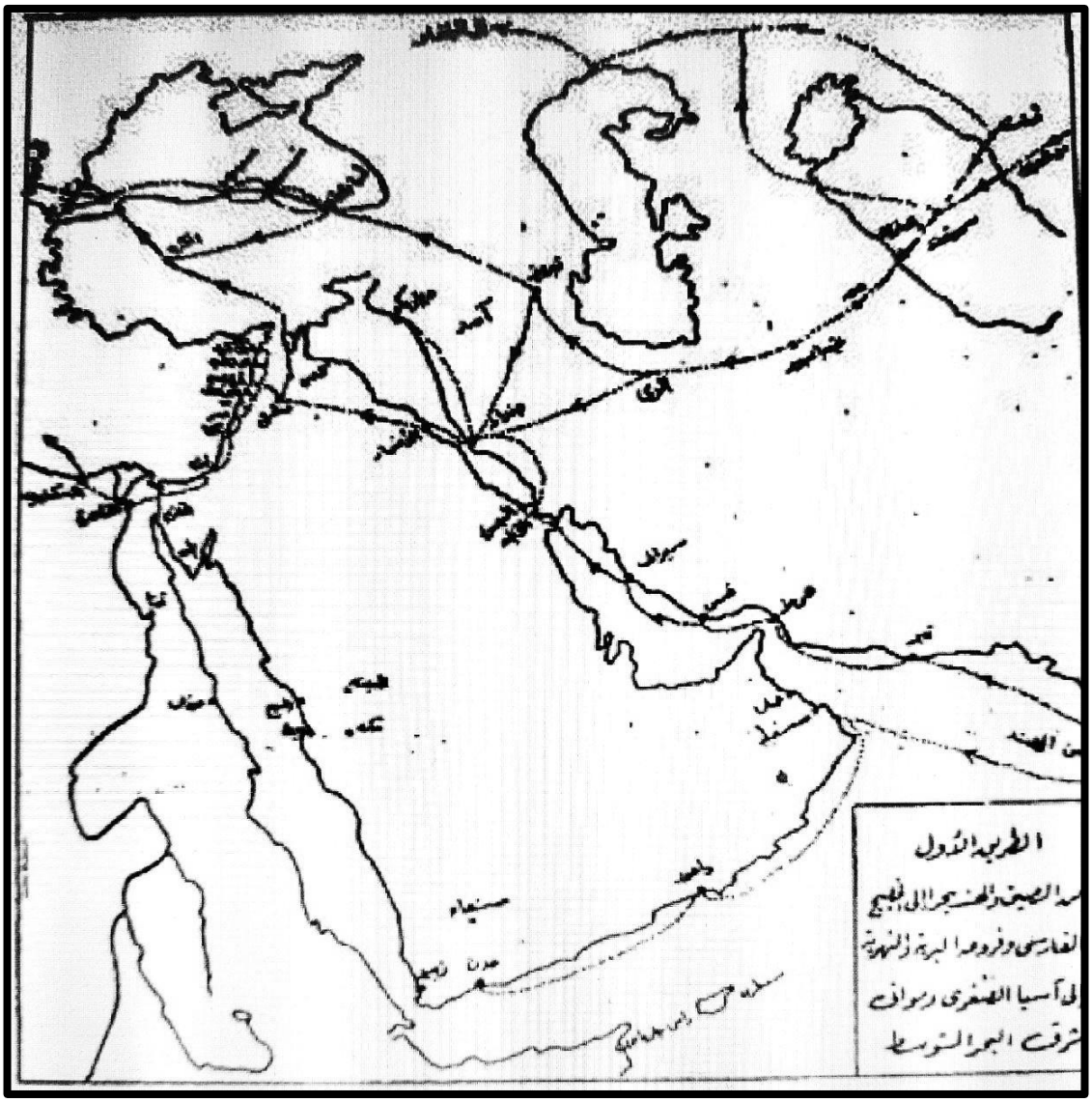

خريطة رقم (6) طريق التجارة الدولية من الصين والهند الى الخليج العربي والى موانئ السواحل الشامية نقلاً عن طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب لنعيم زكي فهمي.

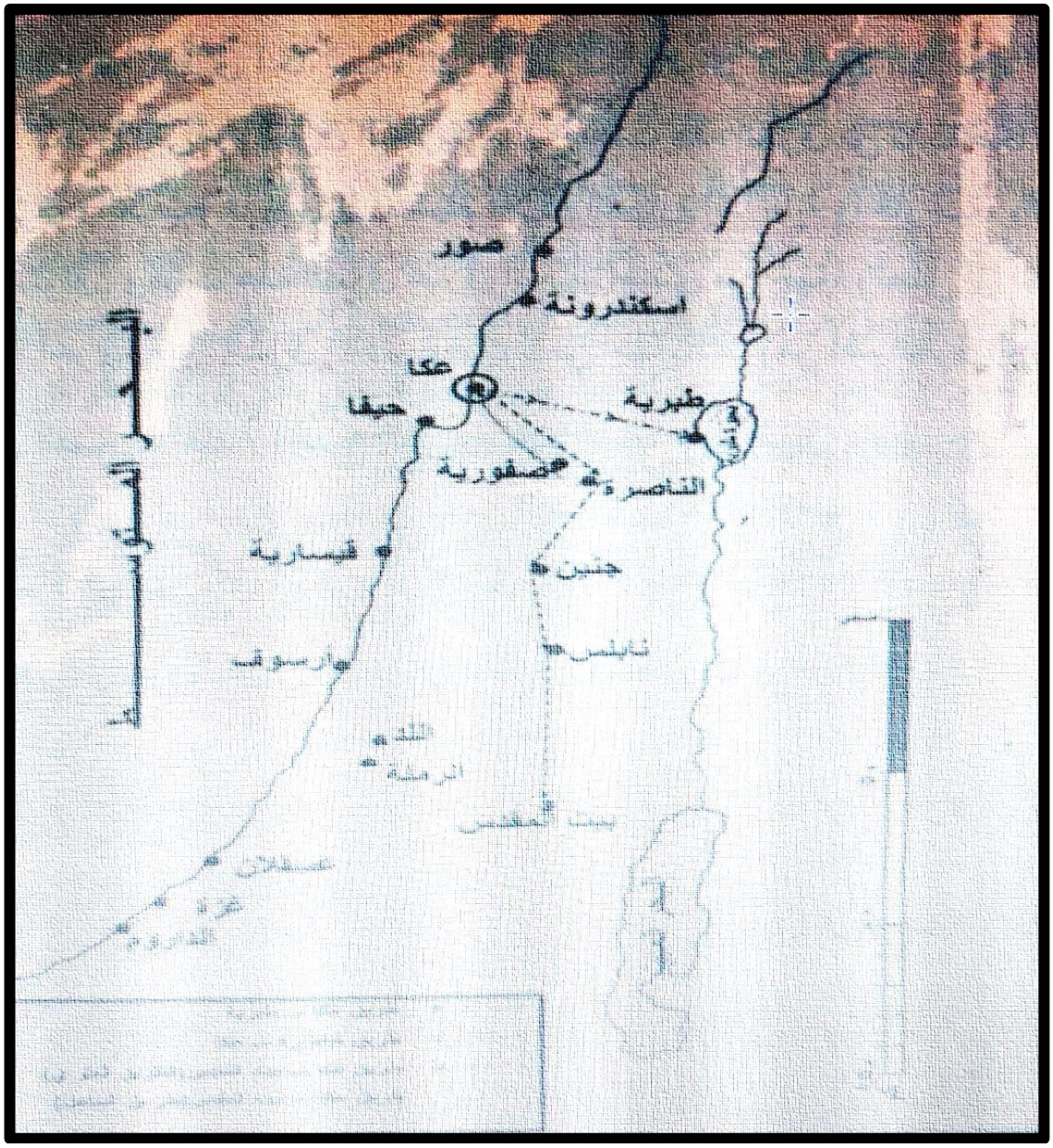

خريطة رقم(7) تبين الطرق التجارية التي تربط عكا بالمدن الصليبية نقلاً عن الاسواق في عكا لفاطمة بكر عبد ربة

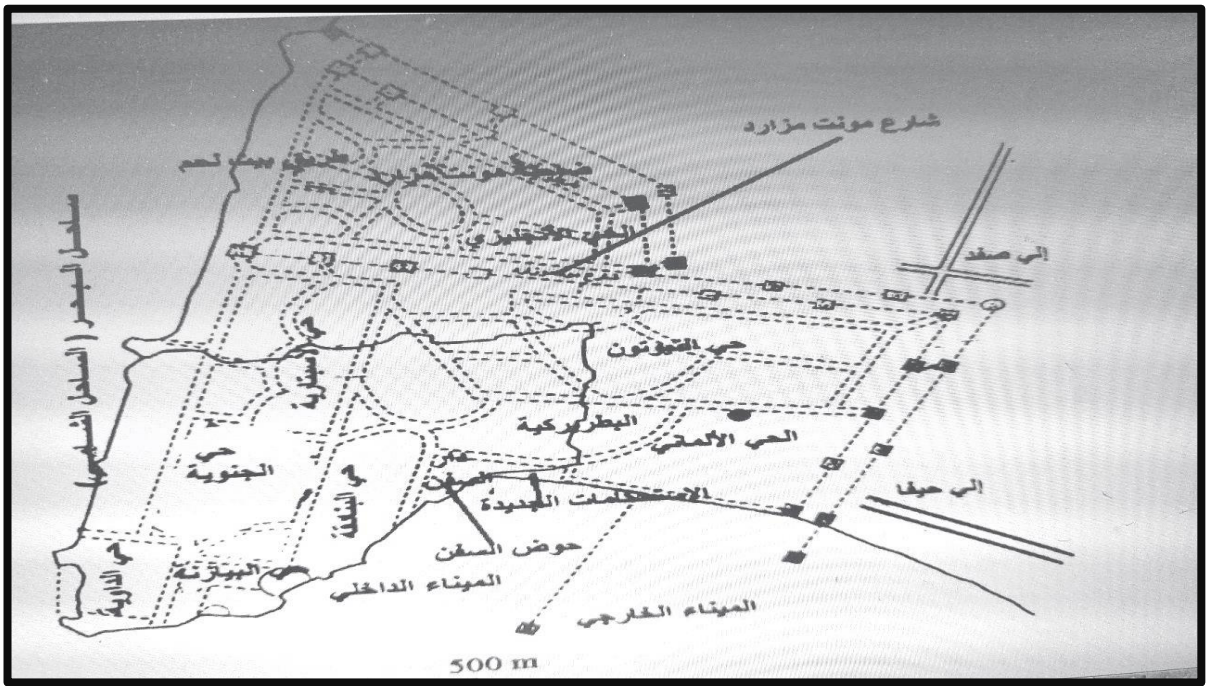

خريطة رقم (8)الاحياء الايطالية في عكا(القوميونات) نقلاً عن

Benvenisti , The crusaders in the holyand.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

القرآن الكريم

***ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت630هـ)**

1- التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ، تح: عبد القادر احمد طليمات ، ط1، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، 1382هـ/ 1963.

2- الكامل في التاريخ ، تح : عمر عبد السلام ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1417هـ/ 1997م.

***ابن الاخوة ، محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد(729هـ)**

3-معالم القربة في طلب الحسبة ، دار الفنون ، كمبردج .

***الادريسي ، محمد بن محمد (ت560هـ)**

4-نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ط1 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1409هـ.

***اسامة بن منقذ ، أبو المظفر مؤيد الدولة (ت584هـ)**

5-الاعتبار، مكتبة الثقافة ، مصر.

***الاصطخري ، ابو اسحاق ابراهيم (ت346هـ)**

6-المسالك والممالك ، دار صادر ، بيروت ، 2004م.

*** الانصاري الدمشقي ، شمس الدين ابي عبد الله (ت727هـ)**

7- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، الاكاديمية الامبراطورية ، كوبنهاكن ، 1281هـ .

***الانطاكي ، يحيى بن سعيد (ت458هـ)**

8- تاريخ الانطاكي ، تح : عمر عبد السلام، جروس برس ، طرابلس ، 1990م.

***ابن ايبك ، ابي بكر ابن عبد الله (ت بعد 376هـ)**

9-كنز الدرر ، تح: صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، 1961م .

***بدر الدين العيني ، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى (855هـ)**

10- عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ، تح: محمد امين ، ط1 ، جامعة القاهرة .

***ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله (ت779هـ)**

11- رحلة ابن بطوطة المعروفة بتحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، دار الشرق العربي.

***البلاذري ، احمد بن يحيى (ت279هـ)**

12- فتوح البلدان ، ط1 ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1988م.

***البلوي ، ابي محمد عبد الله بن محمد(ت 340هـ)**

13- سيرة احمد بن طولون ، تح : محمد كرد ، مطبعة الترقي ، دمشق ، 1358هـ.

***البنداري ، الفتح بن علي (ت643هـ)**

14- تاريخ دولة آل سلجوق، طبعة الموسوعات ، مصر ، 1318هـ / 1900م.

***ابن البيطار ، ضياء الدين ابي محمد عبد الله (646هـ)**

15-الجامع لمفردات الادوية والاغذية ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

***التطيلي ، بنيامين (ت 569هـ)**

16-رحلة بنيامين التطيلي ، ط1، 2002م.

***ابن تغرى بردي (ت874هـ)**

17-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب ، مصر .

***ابن جبير ، محمد بن أحمد أبو الحسين (ت 614هـ)**

18-رحلة ابن جبير ، ط3 ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1907م.

***ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج (ت 597هـ)**

19-المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، تح : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1412 هـ /1992م.

***سبط ابن الجوزي ، شمس الدين ابي المظفر (ت654هـ)**

20- مرآة الزمان في تواريخ الاعيان ، تح : محمد بركات، ط1، دار الرسالة العالمية ، سوريا ، 1434هـ / 2013م.

***ابن حبان ، محمد بن حبان(354هـ)**

21-الثقات ، ط1، 1393هـ/ 1973م .

***ابن الحريري ، احمد بن علي بن المغربي (ت 926هـ)**

22-الاعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين ، تح: سهيل زكار، 1981م.

*** ابن حزم**

23- أبو محمد علي بن أحمد(ت456هـ) ، جمهرة أنساب العرب ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1983م.

***الحسيني ، صدر الدين علي بن ناصر (ت بعد 622هـ)**

24-اخبار الدولة السلجوقية ، لاهور ، 1933م .

***الحميري ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت900هـ)**

25- الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط2 ، دار السراج ، بيروت ، 1980م .

***ابن حوقل ، ابو القاسم محمد (ت 367هـ)**

26-صورة الارض ، دار صادر ، بيروت ، 1938م.

*** ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله(280هـ)**

27-المسالك والممالك ، دار صادر ، بيروت ، 1889م ،

***خسرو ، أبو معين الدين (ت 481هـ)**

28-سفر نامة ، تح : يحيى الخشاب ، ط3 ، بيروت ، 1983م.

***ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت808هـ)**

29- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح : خليل شحادة ، ط2 ، دار الفكر، بيروت ، 1408 هـ / 1988 م.

***ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681هـ)**

30- وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، ط1 ، تح : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت.

***خليفة بن خياط ، ابو عمرو (ت240هـ)**

31- تاريخ خليفة بن خياط ، تح: اكرم العمري ، ط2 ، دار القلم ، بيروت ، 1397هـ .

***الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (748هـ)**

32- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، 2003م .

33-سير اعلام النبلاء ، تح : شعيب الأرناؤوط ، ط3 ، 1405 هـ / 1985م.

34-العبر في خبر من غبر ، تح: أبو هاجر محمد السعيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

***الراوندي ، محمد بن علي بن سليمان (ت 601هـ)**

35-راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ترجمة : ابراهيم أمين وفؤاد عبد المعطي ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، 1379هـ / 1960م .

***الزهري، ابي عبد الله بن ابي بكر (المتوفي في اواسط السادس الهجري)**

36- كتاب الجغرافية ، تح : محمد حاج صادق ، المركز الاسلامي للطباعة ، القاهرة .

***ابو زيد ، حسن بن يزيد (ت بعد 330هـ)**

37- رحلة السيرافي ، د . ط ، ابو ظبي ، 1999م .

***ابن سعد ، أبو عبد الله محمد (ت230)**

38-الطبقات الكبرى ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1410 هـ / 1990م.

***السمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت562هـ)**

39- الانساب ، تح: عبد الرحمن بن يحيى ، ط1 ، حيدر آباد ، 1382هـ/ 1962م.

***السمهودي ، نور الدين أبو الحسن(911هـ)**

40-وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1419هـ

***ابي شامة ، ابو القاسم شهاب الدين(ت665هـ)**

41-عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تح : ابراهيم الزيبق ، ط1 ، بيروت ، 1418هـ/ 1997م.

***ابن شداد ، عز الدين ابو عبد الله (ت684هـ)**

42-الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تح : يحيى زكريا ، ط1، 1991م.

***ابن شداد ، يوسف بن رافع بن تميم (632هـ)**

43- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تح: جمال الدين الشيال ، ط2 ، 1415هـ /1994م.

*** ابن شمائل القطيعي صفي الدين (ت739هـ)**

44- مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1412هـ.

*** شمس الدين ، محمد بن ابي الفتح (ت709هـ)**

45-المطلع على الفاظ المقنع ، تح: محمود الارناؤوط ، ط1، 1423هـ / 2003م ، ج1 ، ص339.

***الشهرستاني ، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت548هـ)**

46- الملل والنحل ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1413هـ/ 1992م .

***الشيزري ، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله (ت590هـ)**

47-نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، 1365هـ .

***الصوري ، وليم (ت570هـ)**

48- الحروب الصليبية ، ترجمة : حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1998م.

***ابن الصيرفي ، علي بن منجب بن سليمان (ت542هـ)**

49- الاشارة الى من نال الوزارة ، تح : عبد الله مخلص ، د . ط ، المعهد العلمي الفرنسي ، القاهرة ، 1934م .

***الطبري ، محمد بن جرير (ت310هـ)**

50- تاريخ الرسل والملوك ، ط2 ، دار التراث ، بيروت ، 1387هـ.

***ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت 709هـ)**

51-الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، تح: عبد القادر محمد مايو ، ط1 ، دار القلم العربي ، بيروت ، 1418هـ / 1997م .

*** ابن عبد الظاهر ، محي الدين ابو الفضل عبد الله (ت692هـ)**

52-تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تح: مراد كامل ، الشركة العربية للطباعة ، 1961م

53-الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تح : عبد العزيز الخويطر ، ط1 ، الرياض ، 1396هـ / 1976م .

***عباس ، شافع بن علي (730هـ)**

54-حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية ، تح : عبد العزيز بن عبد الله ، ط2 ، الرياض ، 1989م.

***ابو عبيد ، عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ)**

55-معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، ط3 ، 1403هـ.

***ابن العديم ، عمر بن أحمد بن هبة الله (ت660هـ)**

56- بغية الطلب في تاريخ حلب ، تح : سهيل زكار ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق، 1408هـ / 1988.

57- زبدة الحلب في تاريخ من حلب ، ط1 ، تح : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1417هـ/ 1996.

***العزيزي، الحسن بن احمد (ت380هـ)**

58- المسالك والممالك ، ط1 ، دمشق ، 2006 .

***ابن عساكر ، ابو القاسم بن الحسن (ت571هـ)**

59-تاريخ دمشق ، تح: عمرو بن غرامة ، ط1 ، دار الفكر ، بيروت ، 1415هـ / 1995م.

*** ابن العليمي ، عبد الرحمن محمد مجير الدين (ت 928هـ)**

60-الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، تح : عدنان يونس ، ط1 ، عمان .

*** عماد الدين الاصفهاني ، محمد بن محمد (ت597هـ)**

61-الفتح القسي في الفتح القدسي ، المطبعة الخيرية ، مصر.

***عمر ، سيف(ت200هـ)**

62- الفتنة ووقعة الجمل ، تح: أحمد راتب ، ط7 ، دار النفائس ، بيروت ، 1413هـ/1993.

***ابن العمراني ، محمد بن علي بن محمد (ت580هـ)**

63- الانباء في تاريخ الخلفاء ، تح : قاسم السامرائي، ط1، 1421هـ/ 2001م.

***ابن العميد ، المكين جرجس(ت672هـ)**

64- أخبار الايوبيين ، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية ، مصر.

***ابو الفداء ، عماد الدين إسماعيل(732هـ)**

65- تقويم البلدان ، ط1 ، دار صادر ، بيروت .
66- المختصر في اخبار البشر ط1 ، المطبعة الحسينية المصرية ، القاهرة .
***الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (170هـ)**
67- كتاب العين ، تح: مهدي المخزومي ، دار الهلال .
***فضل الله العمري ، احمد بن يحيى (ت 749هـ)**
68- مسالك الابصار في ممالك الامصار ، ط1 ، المجمع الثقافي ، ابو ظبي ، 1423هـ.
***ابن الفقيه ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (365هـ)**
69- البلدان ، تح : يوسف الهادي ، ط1 ، بيروت ، 1416هـ / 1996م.
***ابن قدامة ، قدامة بن جعفر ابو الفرج (ت337هـ)**
70- الخراج وصناعة الكتابة ، ط1 ، دار الرشيد ، بغداد ، 1981م .
***القزويني ، زكريا بن محمد (ت682هـ)**
71- آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت .
***ابن القلانسي ، حمزة بن أسد بن علي بن محمد (ت555هـ)**
72- ذيل تاريخ دمشق ، تح: سهيل زكار ، ط1، دار حسان ، دمشق ، 1403 هـ /1983 م.
***القلقشندي ، احمد بن علي (ت821هـ)**
73-صبح الاعشى في صناعة الانشاء، دار الكتب العلمية ، بيروت .
74-قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تح: إبراهيم الإبياري ، ط2 ، دار الكتاب المصري ، 1402هـ / 1982م
***ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل (ت774هـ)**
75-البداية والنهاية ، دار الفكر ، 1407هـ/ 1986م .
***الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب(355هـ)**
76-كتاب الولاة وكتاب القضاة ، تح : محمد حسن محمد ، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1424 هـ /2003 م .
*** الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت450هـ)**
77-الاحكام السلطانية ، دار الحديث ، القاهرة .
***المسعودي ، أبو الحسن على بن الحسين (ت 346هـ)**
78-التنبيه والاشراف ، دار الصاوي ، القاهرة .
***مسكويه ، ابو علي احمد بن محمد (ت421هـ)**
79-تجارب الامم وتعاقب الهمم ، تح : ابو القاسم إمامي ، ط2 ، د . م ، 2000م .
***المقدسي ، ابو عبد الله محمد (ت 380هـ)**

80- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط3 ، دار صادر ، بيروت ، 1411هـ/ 1991م.

***المقريزي ، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي (ت845هـ)**

81-اتعاظ الحنفاء بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء ، تح: جمال الدين الشيال ، ط1 ، جامعة الإسكندرية ، مصر.

82-اغاثة الامة ، تح : كرم حلمي فرحات ، ط1 ، عين للدراسات ، الاسكندرية، 1427هـ/ 2007.

83- السلوك لمعرفة دول الملوك ، تح: محمد عبد القادر عطا ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1418هـ/ 1997م.

84-المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1418هـ .

***ابن المماتي ، ابو المكارم الاسعد بن المهذب (ت606هـ)**

85-قوانين الدواوين ، تح: عزيز سوريال عطية ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1411هـ/ 1991م.

*** ابو منصور الثعالبي ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت429هـ)**

86- يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ، تح: مفيد محمد ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1403هـ/ 1983م .

***ابن منظور ، محمد بن مكرم أبو الفضل (ت711هـ)**

87- لسان العرب ، ط3 ، دار صادر ، بيروت ، 1414هـ.

***ابن ميسر ، تاج الدين محمد بن علي (677هـ)**

88- اخبار مصر ، تح: ايمن فؤاد سيد ، المعهد العلمي للآثار ، القاهرة .

***النوبختي ، الحسن بن موسى (ت في القرن الثالث)**

89- فرق الشيعة ، ط1 ، منشورات الرضا ، بيروت ، 1433هـ / 2012م .

***النويري ، أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ)**

90- نهاية الارب في فنون الادب ، ط1 ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ، 1423هـ .

***ابن هشام ، عبد الملك جمال الدين (ت213هـ)**

91-السيرة النبوية لأبن هشام ، تح : مصطفى السقا وابراهيم الابياري ، ط2 ، 1375هـ / 1955م.

*** ابو الهلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت نحو 395هـ)**

92-التلخيص في معرفة اسماء الاشياء ، تح : عزة حسن ، ط2 ، دار طلاس ، دمشق ، 1996م.

***ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت697هـ)**

93- مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، تح: جمال الدين الشيال ، القاهرة ، 1973م.

***الواقدي ، محمد بن عمر(ت207)**

94- فتوح الشام ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، 1417 هـ /1997م.

***ابن الوردي ، سراج الدين عمر بن المظفر (ت852هـ)**

95- خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، تح: أنور محمود زناتي ، ط1، 1428 هـ / 2008 م.

***ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله (ت626هـ)**

96- معجم البلدان ، ط2 ، دار صادر ، بيروت ، 1995م .

97- معجم الادباء ، تح : احسان عباس ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1414هـ / 1993م.

***يحيى ، صالح (ت850هـ)**

98-تاريخ بيروت واخبار الامراء البحتريين من بني الغرب ، ط2 ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1927هـ.

***اليعقوبي ، احمد بن اسحق (ت بعد 292هـ)**

99- البلدان ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1422هـ.

***اليونيني ، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد(ت726هـ)**

100- ذيل مرآة الزمان ، ط2 ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، 1413هـ/ 1992م.

المراجع العربية والمعربة

***آرشيبالد ، لويس**

1-القوى التجارية والبحرية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة : احمد محمد عيسى ، النهضة العربية ، القاهرة .

***اباضة ، فاروق عثمان**

2- اثر تحول التجارة العالمية الى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط اثناء القرن السادس عشر ، دار المعارف ، ط2 ، القاهرة .

***ابراهيم ، ابراهيم خميس وحسن عبد الوهاب حسن**

3- معالم التاريخ البيزنطي ، دار المعرفة ، الاسكندرية ، 2003م.

*** احمد ، عزيز**

4- تاريخ صقلية الاسلامية ، الدار العربية ، 1980م

*** ابن الاخوة ، محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد(729هـ)**

5- معالم القربة في طلب الحسبة ، دار الفنون

***اديوري ، بيتر**

6- قبرص والحروب الصليبية ، ط1 ، دار الملتقى للطباعة والنشر ، بيروت ، 1997م.

***اسماعيل ، عادل**

7- لبنان في تاريخه وآثاره ، ط1 ، بيروت ، 1993م.

***اشتور**

8- التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الاوسط في العصور الوسطى ، ترجمة : عبد الهادي عبلة ، دار قتيبة ، دمشق ، 1985م.

***أمين ، حسين**

9- تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، د . ط ، مطبعة الرشاد ، 1385هـ / 1965م.

*** امين ، عبد الامير محمدومحمد توفيق**

10-التاريخ الاوروبي في العصور الوسطى ، مطبعة جامعة بغداد ، 1980م

***بارتولد**

11- تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة احمد سعيد سليمان ، د . ط ، الهيئة المصرية العامة ، 1996م .

***باركر، ارنست**

12- الحروب الصليبية ، ترجمة : باز العريني ، ط2 ، دار النهضة ، بيروت.

***بالار ، ميشيل**

13- الحملات الصليبية والشرق اللاتيني ، ترجمة : بشير السباعي ، ط1 ، عين للدراسات ، مصر ، 2003م.

***البرازي ، نوري خليل وابراهيم خليل المشهداني**

14- الجغرافية الزراعية، ط1 ، دار الكتب ، جامعة الموصل ، 1980م

***براور ، يوشع**

15- الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ترجمة : عبد الحافظ عبد الخالق البنا ، ط1 ، عين للدراسات والبحوث الانسانية ، مصر ، 2001م.

16-عالم الصليبيين ، ترجمة : قاسم عبده قاسم ، ط1 ، عين للدارسات، القاهرة ، 1999م

***البراوي ، راشد**

17-حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، ط1 ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1368هـ / 1948م .

***بردج ، انتوني**

18- تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : نبيل الجزوري ، ط1.

*** ابن بعرة ، منصور الكاملي**

19-كشف الاسرار العلمية بدار الضرب المصرية ، تح : عبد الرحمن فهمي ، القاهرة ، 1966م.

***البعيني ، حسن اميني**

20- بيروت وصيدا وجبل لبنان الجنوبي في العصور القديمة والوسطى ، الدار التقدمية.

***البهنسي ، عفيف**

21-الشام الحضارة ، ط1 ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 1986م.

***البهوتي ، منصور بن يونس**

22-كشاف القناع عن متن الإقناع ، ط1 ، دار الكتب العلمية .

***البنا ، عبد الحافظ عبد الخالق**

23- اسواق الشام في عصر الحروب الصليبية ، ط1 ، عين للدراسات ، 1427هـ / 2007 .

***بوس ، ادريان**

24- مدينة بيت المقدس زمن الحروب الصليبية ، ترجمة : علي السيد علي ، ط1 ، القاهرة ، 2010م .

*** بولس ، جواد**

25- لبنان والبلدان المجاورة ، ط2 ، مؤسسة بدران ، بيروت ،

***بوول، ستانلي لين**

26- صلاح الدين وسقوط مملكة القدس ، ترجمة : فاروق سعد ، ط1 ، مطبعة الاهرام ، القاهرة ، 1416هـ/ 1995م.

***بيداني ، ماريا بيا**

27- البندقية بوابة الشرق ، ترجمة : حسين محمود ، ط1 ، ابو ظبي ، 2017م.

***بيرين ، هنري**

28- تاريخ اوروبا في العصور الوسطى (الحياة الاقتصادية والاجتماعية) ، تح : عطية القوصي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1996م.

***البيشاوي ، سعيد عبد الله**

29- الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية ، ط3 ، دار الشيماء ، فلسطين ، 1437هـ / 2016م .

***بيشوب ، موريس**

30- تاريخ اوربا في العصور الوسطى ، ترجمة : علي السيد علي ، ط1 ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، 2005م .

***بينز ، نورمان**

31-الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة : حسين مؤنس ومحمود يوسف ، ط1 ، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، 1950م.

***توفيق ، عمر كمال**

32-الدبلوماسية الاسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 1986م.

33- مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي ، ط2 ، 1967م .

***جب ، هاملتون**

34- صلاح الدين الايوبي ، تح: يوسف ايبش ، ط2 ، د. م ، 1996م ، ص23.

***الجنابي، خالد جاسم**

35- تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الاموي ، الدار الوطنية ، بغداد .

***الجنابي ، صبار**

36-امارة انطاكية دراسة في علاقتها السياسية بالقوى الاسلامية ، دار نينوى ، دمشق ، 1434هـ / 2014م.

***الجوهري ، نهى فتحي**

37-امارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري، ط1 ، دار العالم العربي ، القاهرة ، 2008م.

***الجوهري، يسرى**

38-جغرافية البحر المتوسط ، المعارف ، الاسكندرية ، 1984م .

***الحائك ، منذر**

39-العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية ، ط1 ، الاوائل ، دمشق ، 2006م.

***حبشي ، حسن**

40-الحرب الصليبية الاولى ، ط1 ، مطبعة الاعتماد ، مصر.

41- نور الدين والصليبيون، دار الفكر العربي ، دمشق .

***حتي ، فيليب**

42- تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة : جورج حداد ، ط1 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1950م.

***الحريري ، ابو موسى**

43-العلويون النصيريون ، ط1، بيروت ، 1400هـ/ 1980م .

***حسن ، ابراهيم حسن**

44- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط14 ، دار الجيل ، بيروت ، 1416هـ / 1996م.

***الحسني ، علي**

45-تاريخ سوريا الاقتصادي ، ط1 ، بدائع الفنون ، دمشق ، 1923.

***حسنين ، عبد النعيم محمد**

46-ايران والعراق في العصر السلجوقي ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1402هـ/ 1982م.

***حسين ، حسن عبد الوهاب**

47-تاريخ قيسارية الشام في العصر الاسلامي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1990 م.

***حسين ، طه**

48- الفتنة الكبرى ، ط1 ، دار المعارف ، الاسكندرية ، 2002م.

***حسين ، فاطمة بكر**

49- الاسواق في عكا زمن الحروب الصليبية ، ط1 ، مركز جمعة للتراث دبي ، 1442هـ/ 2020م.

* **حسين ، محمد كامل**

50- طائفة الاسماعيلية تاريخها . نظمها وعقائدها ، ط1 ، مطبعة التأليف والنشر ، القاهرة ، 1959م

* **حلمي ، احمد كمال الدين**

51- السلاجقة في التاريخ والحضارة ، ط1 ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، 1979م .

***الحلو ، عبد الله**

52- تحقيقات تاريخية لغوية في الاسماء الجغرافية السورية ، ط1 ، 1999م .

***حمادة ، محمد**

53- تاريخ الشيعة في لبنان وسورية والجزيرة في القرون الوسطى، دار بهاء الدين العاملي ، بيروت ، 2013م.

***الحموي ، محمد ياسين**

54- دمشق في العصر الايوبي ، دار النشر العربية ، دمشق ، 1396هـ/ 1946م .

***الحناوي ، مصطفى محمد**

55- عصر الحروب الصليبية الفرسان الاسبتارية ودورهم في الصراع الصليبي الاسلامي ، المهتدين ، الرياض ، 1425هـ / 2004م .

56- العلاقات بين جمهورية أمالفي والمسلمين في مصر والشام ، مكتبة الرشيد ، الاسكندرية ، 2005م.

***الحويري ، محمود محمد**

57- الاوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، دار المعارف ، القاهرة ، 1979م .

58- بناء الجبهة الاسلامية واثرها في التصدي للصليبيين ، ط1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1992م.

***الحيارى ، مصطفى**

59- القدس في زمن الفاطميين والفرنجة ، المعهد الدبلوماسي الاردني ، الاردن ، 1998م.

***الخانجي ، محمد أمين**

60- منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان ، ط1 ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1325هـ / 1907م .

***خماش ، نجدت**

61- الشام في صدر الاسلام ، ط1 ، دار طلاس ، دمشق ، 1987م.

***الخوري ، منير**

62- صيدا عبر حقب التاريخ ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ، 1966م.

***الدباغ ، مصطفى مراد**

63- بلادنا فلسطين ، ط1 ، دار الهدى ، بيروت ، 1991م .

***الدبس، يوسف**

64-تاريخ سوريا الدنيوي والديني ، دار نظير عبود ، 1994م .

*** دخيل ، محمد حسن**

65- الدولة الفاطمية الدور السياسي والحضاري للأسرة الجمالية ، ط1 ، مؤسسة الانتشار ، بيروت ، 2009م

*** الدوري ، عبد العزيز**

66- مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ط1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2007م .

***ديل ، شارل**

67- البندقية جمهورية ارستقراطية ، ط1 ، ترجمة : احمد عزة عبد الكريم ، دار المعارف .

***رانيسمان ، ستيفن**

68- تاريخ الحملات الصليبية من كليرمونت الى اورشليم ، ترجمة : نور الدين خليل ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1994م .

69- الحضارة البيزنطية ، ترجمة : عبد العزيز توفيق ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2002م.

***رايلي سمث ، جوناثان**

70- الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص ، ترجمة : صبحي الجابي ، ط1 ، دار طلاس ، 1989م .

***الربيعي ، عبد الله بن عبد الرحمن**

71- اثر الشرق الاسلامي في الفكر الاوروبي خلال الحروب الصليبية ، ط1 ، الرياض ، 1415هـ / 1994

***رحيل ، محمد فوزي**

72- نهاية الصليبيين ، ط1 ، عين للدراسات ، 2009م.

***رفلة ، فيليب واحمد سامي**

73- جغرافية الوطن العربي ، ط4 ، القاهرة ، 1970م .

***رفيق ، محمد ومحمد بهجت**

74- ولاية بيروت ، ط3 ، دار لحد خاطر ، بيروت ، 1987م.

***رمضان ، احمد**

75- المجتمع الاسلامي في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، ط1، 1397هـ/ 1977م.

***رمضان ، عبد العظيم**

76- الصراع بين العرب واوربا من ظهور الاسلام الى انتهاء الحروب الصليبية ، دار المعارف ، القاهرة .

***ريموناجيل**

77- تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ترجمة : حسين محمد عطية ، ط1 ، دار المعرفة ، 1989م.

***زابوروف ، ميخائيل**

78- الصليبيون في الشرق ، ترجمة : الياس شاهين ، دار التقدم ، موسكو ، 1986م .

***زكار ، سهيل**

79- الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق ، 1418هـ/ 1998م .

***زهيراتي ، متوديوس**

80- الاسكندر الكبير ، ط1 ، دار طلاس ، دمشق ، 1999م .

***الزيباري ، محمد صالح**

81- سلاجقة الروم في آسيا الصغرى ، ط2 ، 2009م.

***زيتون ، عادل**

82- العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى ، ط1 ، دار دمشق ، 1400هـ / 1980م.

83- العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ط1 ، دار دمشق ، 1400هـ/ 1980م .

***زيد ، اسامة زكي**

84- الصليبيون واسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، 1980م.

85- صيدا ودورها في الصراع الصليبي الاسلامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، 1980م.

***زيدان ، جرجي**

86- تاريخ التمدن الاسلامي ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة ، 2012م .

***زيود ، محمد احمد**

87- العلاقات بين الشام ومصر في العهدين الطولوني والاخشيدي ، ط1، دار احسان ، دمشق ، 1409هـ / 1989م.

***سالم ، عبد العزيز**

88-دراسات في تاريخ الدولة العربية ، مؤسسة شباب الناشر ، الاسكندرية .

89- دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الاسلامي ، جامعة بيروت ، 1970م.

90- طرابلس الشام تاريخها وآثارها في العصر الاسلامي ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، 1963م.

91- طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي ، مؤسسة الناشر ، الاسكندرية ، 1966م.

***السرحان ، موضي عبد الله**

92- بيروت تحت الحكم الصليبي وعلاقتها بالمسلمين ، ط1 ، الرياض ، 1422هـ / 2001م.

***سرور ، محمد جمال الدين**

93- دولة بني قلاوون في مصر، مطبعة الاعتماد ، مصر .

94- سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر ، القاهرة ، 1994م.
95- النفوذ الفاطمي في مصر والشام ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1957م.
***سلامة ، ابراهيم خميس**
96- دراسات في تاريخ الحروب الصليبية (جماعة الفرسان الداوية) ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة .
***سليمان ، احمد عبد الكريم**
97-المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس ، ط1 ، دار النهضة ، القاهرة ، 1984م .
***سهيل ، عقلة وعصام مصطفى**
98- الناوكية في بلاد الشام ، بحث مقدم الى المجلة الاردنية للتاريخ والآثار ، مجلد 6 ، العدد 2 ، 2012م .
سميل ، ر . سي
99- فن الحرب عند الصليبيين ، ترجمة : محمد وليد ، ط1 ، دمشق ، 1985م.
*** سو**ريال **عطية ، عزيز**
100-الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ، ط2 ، دار الجيل ، القاهرة .
الشارتري ، فوشيه
101- تاريخ الحملة الى القدس ، ترجمة : زياد جميل العسلي، دار الشروق .
102- الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ترجمة : قاسم عبدة ، ط1 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1422هـ / 2001م.
***شامي ، يحيى**
103- موسوعة المدن العربية ، ط1 ، دار الفكر ، بيروت ، 1993م.
***الشامي ، صلاح الدين علي ومحمد الصقار**
104-جغرافية الوطن العربي الكبير، ط1 ، دار المعارف ، الاسكندرية ، 1970م.
***شبارو ، عصام محمد**
105- تاريخ بيروت ، دار صباح الفكر ، بيروت ، 1987م .
***شبور ، برتولد**
106- العالم الاسلامي في العصر المغولي ، ترجمة : خالد اسعد ، ط1 ، دار حسان ، دمشق ، 1982م.
*** الشربيني , محمود**

107-القضاء في الاسلام ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، 1999م
***شريف، حكمت بك**
108- تاريخ طرابلس الشام ، ط1 ، دار الايمان ، لبنان ، 1407هـ/ 1987م .
*** الشعراوي ، احمد ابراهيم**
109- الاقطاع واوروبا في العصور الوسطى، القاهرة ، 1970م ،
***شلبي ، احمد**
110-المسيحية ، ط10 ، القاهرة ، 1998م.
***شيخو ، لويس**
111- بيروت تاريخها وآثارها ، مطبعة الآباء ، بيروت ، 1925م .
***الصليبي ، كمال**
112- منطلق تاريخ لبنان ، ط2 ، بيروت ، 1992م .
***الطحاوي ، حاتم عبد الرحمن**
113- الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام ، ط1 ، عين للدراسات والبحوث ، 1999م.
***طرخان ، ابراهيم علي**
114-النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى ، ط1، دار الكتاب العربي ، 1388هـ / 1968م .
***طقوش ، محمد سهيل**
115- تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والانجازات السياسية ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1420هـ/2000م.
116- تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ، ط3 ، دار النفائس ، بيروت ، 1430هـ/ 2009م.
117- تاريخ الطولونيون والاخشيديون والحمدانيون ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1429هـ/ 2008م .
***عارف الزين ، احمد عارف**
118- تاريخ صيدا ، مطبعة العرفان ، 1331هـ / 1913م.
***عاشور ، سعيد عبد الفتاح**
119- اوروبا النظم والحضارة ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، 1959م .
120- بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، 1977م .
121- تاريخ اوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة ، بيروت ، 1976م.

122- الحركة الصليبية ، ط2 ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1971م .
123- قبرص والحروب الصليبية ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2002م.
124- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، دار النهضة، القاهرة ، 1992م.
125- مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ، دار النهضة ، بيروت ، 1972م.
***عاشور ، فايد حماد**
126- العلاقة بين البندقية والشرق الادنى الاسلامي في العصور الوسطى ، دار المعارف ، الاسكندرية ، 1980م .
***عامر ، سامية**
127- الصليبيون في فلسطين ، ط1 ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، 2002م.
***العبادي ، احمد مختار**
128- في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية ، بيروت .
***العبادي ، احمد مختار وعبد العزيز سالم**
129- تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ، ط1 ، بيروت ، 1972م .
***عثامنة ، خليل**
130- فلسطين في العهدين الايوبي والمملوكي ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 2006م.
***عثمان ، شوقي عبد القوى**
131- تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية ، عالم المعرفة ، 1990م.
***عثمان ، فتحي**
132- الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية ، القاهرة .
***عثمان ، محمد عبد الستار**
133- المدينة الاسلامية ، الكويت ، 1988م.
***عثمان ، هاشم**
134- الابنية والاماكن الاثرية في اللاذقية ، ط1 ، دمشق ، 1996م.
***عدوان ، احمد**
135- الدولة الحمدانية ، ط1 ، ليبيا ، 1981م.
***العدوي ، ابراهيم احمد**
136- الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، البيان ، مصر .
137- الامويون والبيزنطيون ، مكتبة الانجلو ، القاهرة .
***العريني ، الباز**

138- الحضارة والنظم الاوربية في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1963م.
139- الدولة البيزنطية ، دار النهضة ، بيروت .
140- الشرق الادنى في العصور الوسطى ، دار النهضة ، القاهرة.
***العش ، محمد ابو الفرج**
141- النقود العربية الاسلامية ، ط3 ، الدوحة ، 2003م.
*** عصفور ، محمد ابو المحاسن**
142- المدن الفينيقية ، دار النهضة ، بيروت ، 1981م
*** عطية ، محمد حسين**
143- امارة انطاكية الصليبية ، ط1 ، دار المعرفة الجامعية ، 1989م.
***علي ، احمد اسماعيل**
144- تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الاموي ، ط3 ، جوهرة الشام ، دمشق ، 1994م .
***علي ، جواد**
145- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط4 ، دار الساقي ، 1422هـ / 2001م.
***علي ، علي السيد**
146- العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين ، ط1 ، عين للدراسات ، 1417هـ / 1996م.
***عبد العليم ، انور**
147- الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، الكويت ، 1979.
*** العمر ، فؤاد عبد الله**
148- مقدمة في تاريخ الاقتصاد الاسلامي وتطوره ، ط1 ، جدة.
***عمران، محمود سعيد**
149- الامبراطورية البيزنطية وحضارتها ، ط1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1422هـ.
150- تاريخ الحروب الصليبية ، دار المعرفة ، بيروت ، 2000م .
151- حضارة الامبراطورية البيزنطية ، دار المعرفة، الاسكندرية ، 2011م.
152- حضارة اوروبا في العصور الوسطى ، دار المعرفة ، بيروت ، 1998م.
153- معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، دار المعرفة ، القاهرة ، 2000م.
***ابو العينين ، حسن احمد**
154- لبنان دراسة في الجغرافية الطبيعية ، دار النهضة ، بيروت ، 1980م.

*غالب الطويل ، محمد امين
155- تاريخ العلويون ، مطبعة الترقي ، اللاذقية ، سوريا ، 1924م.
*غانم ، محمد الصغير
156- التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط ، ط1 ، ديوان المطبوعات ، الجزائر ، 1979م .
*غروسيه ، رينيه
157- موجز تاريخ الحروب الصليبية في المشرق الاسلامي وشرقي حوض المتوسط ، ترجمة : أحمد أيبش ، ط1 ، دار الكتب الوطنية ، ابو ظبي ، 1435هـ/ 2014م .
*الغزي ، كامل بن حسين
158- نهر الذهب في تاريخ حلب ، ط2 ، دار القلم ، حلب ، 1419هـ .
*غنيم ، اسمت
159- الحملة الصليبية الرابعة ومسؤولية انحرافها ضد القسطنينية ، ط1، دار المعارف ، مصر ، 1982م.
*فايد ، يوسف عبد المجيد
160- مناخ لبنان بين البحر والجبل ، ط1 ، دار الاحد ، بيروت ، 1972م.
*ابن الفرات ، ناصر الدين محمد عبد الرحيم
161- تاريخ الدول والملوك ، تح: ميخائيل خوري ، الجامعة الامريكية ، بيروت ، 1961م.
*فرح ، نعيم
162- الحضارة الاوربية في العصور الوسطى ، ط2 ، مطبعة دمشق ، 1420هـ / 1999م.
*فشر ، هـ . ا . ل
163- تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، ترجمة : محمد مصطفى زيادة وباز العريني ، ط6 ، دار المعارف ، 1950م.
*فهمي ، نعيم زكي
164- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1393هـ / 1973م.
* فينر ، القلاع ايام الحروب الصليبية
165- ترجمة ، محمد وليد ، ط2 ، دار الفكر ، دمشق ، 1984م.
*قاسم ، قاسم عبدة
166- الحملة الصليبية نصوص ووثائق ، ط1 ، 2001م .
* القاسمي ، محمد سعيد وخليل العظم

167- قاموس الصناعات الشامية ، ط1 ، دار طلاس ، دمشق ، 1988م ،

***القرماني ، احمد بن يوسف**

168- اخبار الدول وآثار الاول في التاريخ ، تح : فهمي سعيد ، ط1 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1412هـ/ 1992م.

***القطار ، الياس**

169- لبنان في القرون الوسطى ، بيروت ، 2003م.

***القوصي ، عطية**

170- اليهود في ظل الحضارة الاسلامية ، مركز الدراسات الشرقية ، القاهرة ، 1422هـ.

***كاهن ، كلود**

171- الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ترجمة : احمد الشيخ ، ط1 ، القاهرة ، 1995م.

***كرد علي ، محمد بن عبد الرزاق بن محمَّد**

172- خطط الشام ، ط3 ، مكتبة النوري ، دمشق ، 1403 هـ /1983م .

***كفافي ، زيدان عبد الكافي**

173- بلاد الشام في العصور القديمة ، دار الشروق ، الاردن ، 2011م .

*** كلير ، كولن**

174- التوابل والاعشاب الطبية ، ترجمة : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ،

***الكناني ، مصطفى حسن محمد**

175- العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الادنى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، 1981م.

*** كوبلاند**

176-الاقطاع والعصور الوسطى في غرب اوروبا ، ترجمة : محمد مصطفى زيادة ، ط2 ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، 1958م

***كولتون**

177-عالم العصور في النظم والحضارة، ترجمة : جوزيف نسيم ، ط3، دار النهضة ، بيروت ، 1981م.

***لسترنج ، كي**

178-بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، الرابطة ، بغداد ، 1954م .

***ماجد ، عبد المنعم**

179- ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر ، ط4 ، دار الفكر ، القاهرة ، 1414هـ/ 1994م.

180- نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، مطبعة البيان العربي ، القاهرة ، 1953م.

***ماير ، هانس ابرهارد**

181- تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : عماد الدين غانم .

*** مجلي ، يوسف**

182- فلسطيين والمظهر الجغرافي لمشكلتها ، ط1 ، 1948.

***محمد ، عبد الرحمن فهمي**

183-النقود العربية ماضيها وحاضرها ، دار القلم ، مصر ، 1964م .

***محمدين ، محمد محمود وطه عثمان**

184- المدخل الى علم الجغرافيا والبيئة ، ط4 ، دار المريخ .

***محمود ، حسن احمد واحمد ابراهيم**

185-العالم الاسلامي في العصر العباسي ، ط5 ، دار الفكر العربي ، بيروت .

***مرسي الشيخ ، محمد محمد**

186- تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ط1 ، دار المعرفة ، الاسكندرية ، 1994م .

187- عصر الحروب الصليبية في الشرق ، ط1 ، 2004م.

188- الامارات العربية في بلاد الشام ، ط1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، 1980.

***مسفر بن سالم**

189-الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الاسلامي ، ط1، دار المطبوعات ، الطائف ، 1406هـ/ 1986م.

*** مصطفى ، شاكر**

190- فلسطين ما بين العهدين الفاطمي والايوبي ، الموسوعة الفلسطينية ، مج2 .

***المطوي ، محمد العروسي**

191- الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، دار الغرب الاسلامي ، 1982م.

***المعاضيدي ، خاشع وآخرون**

192- تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي ، ط2 ، 1986م .

***المغلوث ، سامي بن عبد الله**

193- اطلس الحملات الصليبية على المشرق الاسلامي في العصور الوسطى ، الرياض ، 1429هـ.

***مقامي ، نبيلة ابراهيم**

194- فرق الرهبان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، مطبعة جامعة القاهرة ، مصر ، 1994م.

***مكسيموس**

195- تاريخ الحرب المقدسة في المشرق المدعوة حرب الصليب ، اورشليم ، **1865م.**

***عبد الملك ، عبد المجيد**

196-ساحل بلاد الشام والصراعات الدولية ، ط2 ، بيسان ، 2002م.

***مناوي ، محمد حمدي**

197-الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، دار المعارف ، القاهرة .

***مهران ، محمد بيومي**

198- المدن الفينيقية القديمة ، دار النهضة ، بيروت ، 1994م.

***مؤنس ، محمد**

199- اطلس تاريخ الاسلام ، ط1 ، القاهرة ، 1407هـ/ 1987م .

200- الامبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الاسر البيزنطية ، ط1 ، عين للدراسات ، الاسكندرية ، 1427هـ/ 2007م .

201- تاريخ المسلمين في البحر المتوسط الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، الدار المصرية اللبنانية ، 1993م.

202- الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ، ط1 ، عين للدراسات ، 1995م.

203- الحروب الصليبية دراسات في التاريخ المقارن ، ط1 ، دار العالم ، القاهرة ، 2010م.

204- الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب ، ط1 ، عين للدراسات ، القاهرة ، 1999م .

205- الرحالة الاوروبيون في مملكة بيت المقدس ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1992م.

***مولر ، فولفغانغ**

206- القلاع ايام الحروب الصليبية ، ترجمة : محمد وليد ، ط2 ، دار الفكر ، دمشق ، 1404هـ / 1984م .

***النبراوي ، رأفت محمد**

207- النقود الصليبية في الشام ومصر ، دار القاهرة ، مصر.

***النقاش ، زكي**

208- العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1957م

***نوار ، صلاح الدين محمد**

209-العدوان الصليبي على العالم الاسلامي ، ط1 ، دار الدعوة ، الاسكندرية.

***نوري ، دريد عبد القادر**

210-سياسة صلاح الدين الايوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، 1976م .

***هاملتون**

211- صلاح الدين الايوبي ، تحرير : يوسف ايبش ، ط2 ، بيسان ، بيروت ، 1996م.

***هاو ، سونيا**

212- في طلب التوابل ، ترجمة محمد عزيز ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، 1957م.

***هايد**

213- تاريخ التجارة في الشرق الادنى في العصور الوسطى، ترجمة : احمد محمد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ، 1985م .

هنتس ، فالتر

214- المكاييل والاوزان الاسلامية ، ترجمة : كامل العسلي ، 1955م.

*** نسيم ، جوزيف**

215- تاريخ العصور الوسطى الاوروبية وحضارتها ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 1984م.

216- دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 1988م.

217- العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ط3 ، دار الكتب الجامعية ، الاسكندرية ، 1971م.

***وجدي ، محمد فريد**

218- دائرة معارف القرن العشرون ، دار الفكر ، بيروت .

*** يعقوب ، الفيتري**

219-تاريخ بيت المقدس ، ترجمة : سعيد البيشاوي ، ط1 ، دار الشروق ، فلسطين .

الرسائل والاطاريح

***احمد ، اسامة سيد علي**

1- الساحل الشامي في القرن الثاني عشر / السادس الهجري ودوره في الصراع الاسلامي الصليبي ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب / جامعة عين شمس ، 1992م.

***الاسدي ، عقيل جبار**

2- عكا في ظل الحكم الصليبي ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب / جامعة البصرة ، 1431هـ/ 2010م

***تسعديت ، عداد**

3- علاقة البندقية بالامبراطورية البيزنطية منذ القرن 12 الى غاية سقوطها في 1204م ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى جامعة ابو القاسم ، الجزائر ، 1436هـ/ 2014م.

*** جواد ، حسن حمزة**

4- نشوء الدولة السلوقية وقيامها ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب / جامعة بغداد ، 1429هـ/2008م ،

***ابو دمعة ، امين**

5- الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الايوبي ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب / جامعة دمشق ، 1409هـ/ 1988م.

***الخادم ، سمير علي**

6- الشرق الاسلامي والغرب المسيحي عبر العلاقات بين المدن الايطالية وشرقي البحر المتوسط في المدة 1450-1517م ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى الجامعة اللبنانية ، 1988م .

*** الصافي ، محمد حسين**

7- العلاقات التجارية بين الشرق والغرب عبر البحر الاحمر ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب / جامعة صنعاء ، 2008م .

***الطوفي ، يوسف جرجيس**

8- التنظيمات التجارية في بلاد الشام بين الغزو المغولي والتيموري ، 2022م ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب ،جامعة بغداد ، 1403هـ / 1983.

***ابو عون ، عبد الرحيم حسين**

9- اقطاعية حيفا ودورها في الصراع الاسلامي الفرنجي ، رسالة ماجستير منشورة مقدمة الى جامعة النجاح ، فلسطين ، 2004م

***الغامدي ، علي محمد علي**

10- بلاد الشام قبل الغزو الصليبي ، رسالة ماجستير مقدمة لنيل درجة الماجستير مقدمة الى جامعة ام القرى ، 1402هـ/ 1982م .

***الرويظي ، محمود محمد**

11- أمارة الرها الصليبية ، اطروحة دكتوراه منشورة مقدمة الى كلية الدراسات الانسانية ، الجامعة الاردنية ، 1997م .

***الزيدي ، مصعب حمادي**

12- الاستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت القدس انموذجاً، اطروحة دكتوراه مقدمة الى جامعة الموصل ، 1426هـ / 2005م.

***الفراني ، عبد الحميد جمال**

13-المقاومة الشعبية للاحتلال الصليبي في بلاد الشام ، رسالة ماجستير مقدمة الى الجامعة الاسلامية / غزة ، 1426هـ/ 2005م.

***قطب ، حسين كاظم**

14-أمارة طرابلس ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى جامعة بغداد ، تربية ابن رشد ، 1425هـ / 2004م.

***مارس ، كمال**

15-الظهير الشامي في عصر الحروب الصليبية ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى جامعة الامير عبد القادر ، الجزائر ، 1424هـ / 2003م.

***مسعود ، مبروك**

16-النشاط الاقتصادي مملكة بيت المقدس ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى جامعة الجزائر ، كلية العلوم الانسانية ، 2019م/ 1440هـ.

البحوث

***تدمري ، عمر عبد السلام**

1- الفتح الاسلامي وسياسة الاسكان لساحل دمشق ضمن اعمال المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ، المجلد الثاني ، تحرير : محمد عدنان البخيت واحسان عباس ، عمان ، 1987م.

***الجبارات ، محمود محمد هملان**

2- النشاط التجاري والحرفي في الموانئ الشامية في خلال العصر المملوكي 649-9 22هـ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، مج 38 ، 2010م.

***حسين ، عبد الوهاب**

3- الرشوة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام منذ الحملة الصليبية الاولى وحتى سقوط بيت المقدس ، كلية الآداب ، جامعة المنوفية ، مج17 ، العدد67 ، 2006م.

***حمودي ، امام محمد واشرف صالح**

4- القراصنة في البحر المتوسط خلال عصر الحروب الصليبية ، بحث مقدم الى مجلة كان التاريخية ، السنة 11 ، العدد 42 ، 2018م .

***حميدة ، عبد الرحمن**

5- طريق الحرير بين ابن بطوطة وماركو بولو ، مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة دمشق ، العدد 39 ، 1991م.

***زكي ، عبد الرحمن**

6- القلاع في الحروب الصليبية ، المجلة التاريخية المصرية ، مج15 ، 2019م.

***سلامة ، جلال حسني**

7- التهجير القسري لسكان فلسطين في العهد الصليبي في المدة الواقعة بين (492-551 هـ/1099-1156م)، مجلة جامعة القدس ، العدد 13 ، 2008م.

***صالح ، رباب عادل**

8- القديس مرقس مؤسس الكنيسة القبطية ، المجلة المصرية للدراسات السياحية ، مج9 ، العدد1-2 ، 2010م

***الطحاوي ، حاتم عبد الرحمن**

9- القانون البحري لمملكة بيت المقدس قراءة في مجموعة قوانين بيت المقدس ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مج 58 ، عدد 4 ، 1998م

***عزب ، خالد محمد**

10- العلاقات الاقتصادية بين العالم الاسلامي والغرب ، الاجتهاد ، دار الاجتهاد ، بيروت ، العدد 33 ، 1417هـ/ 1996م.

***فرزات ، محمد فرات**

11- حوار الحضارات على طريق الحرير بين الصين والشام ، مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة دمشق ، العددان 39-40 ، 1991م.

***القوصي**

12- اضواء جديدة على تجارة الكارم ، المجلة التاريخية المصرية ، مج 22 ، 1975م .

***عبد المنعم ، صلاح**

13- طبوغرافية مملكة القدس الصليبية وعلاقتها بنشأة القلاع ضمن كتاب بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى لمحمد مؤنس ، ط1 ، دار العالم العربي ، القاهرة ، 2013م.

*** المفرجي ، فضيلة حسن**

14- اسرة مونتفرات وأثرها في الحروب الصليبية ، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ، مجلد 7 ، عدد 21 ، 2015م.

***النشار ، محمد محمود**

15- نشأة جماعتي الفرسان الاسبتارية والداوية في المماليك المسيحية الاسبانية والبرتغالية ودورها في الصراع الصليبي الاسلامي خلال القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري ، المجلة العلمية في كلية الآداب ، جامعة طنطا ، مج : 94 ، العدد : 7 ، 1994م.

***نجم ، مصعب حمادي**

16-قلعة المرقب ودورها العسكري في عصر الحروب الصليبية ، مجلة آداب الرافدين ، العدد 55 ، 1430هـ/ 2009م .

المراجع الاجنبية

***Adisson**

1-the knights Templars , Global gray , 1852 .

*** Ali ,Wijdan**

2-Islamic coins during the Umayyad ,Abbasid, Andaiusian and Fatimid dynasties , the American University in Cairo , 1999.

***Archer and charles lethbridge**

3-The Crusader, the story of the latin kingdom of jerusaleam , USA , 1894.

***A shtor , great brisein**

4- Social and Economic history of the near east in the middle ages ,1976.

***Ashtor ,Elihayu**

5-Investments in levant trade in the period of the crusade, University of **Jerusalem** .

6-Social and Economic history of the near east in the middle ages ,1976.

* **Baul**

7-History of the Dirhem in Egypt from the Fatimid conquest until the collapse of the Mamluk Empire ,2018. Balog,

***Benvenisti , Meron**

8-The crusaders in the holy land , New york , 1970.

***Beugnot**

9-Assises de Jerusalem Recueil des histories de croisades , Paris.

***Brehier, Louis**

10-LEglise et lorient au moyen age les croisades , Paris , 1907

***Byrne , Eugene**

11-Genoese Trade with Syria in the Twelfth Century , 1920 .

***Chalandon , Ferdinand**

12-Histoire premiere Croisade l 'election De Godefroi De bouillon , paris , 1925 .

***Conder , ,Lieut**

13-The Latin kingdom of Jerusalem , Hanover , London, 1897.

***Day ,clive**

14-History of commerce , London ,1914.

***Depping , Par**

15-Histoire Du commerce Le levant et Europe , Royal , Paris , 1925.

***Grousse, Rene**

16-Le Royaume de Jerusalem , p1, Universitaires de France , 1953.

17-The sum of history , Church army press , Greeat Britain,1951,

***Heaton , Herbert**

18- Economic history of Europe , London .

***Hill , George**

19- Ahistory of Cyprus ,Cambridge Library collection, voll 2.

*** Hover , Calvin**

20-The sea Loan in Genoa in the Twelfth Century , The Quarterly Journal of Economice ,Vol. 40 , No.3, 1926

***James , Brundage**

21-The crusades motives and Achievement ,printed in the U.S.A , 1964.

*** Joachim ,Wesshkm and Ursula Hagen**

22-Gold coins of the middle ages printed by Giesecke ,1983.

***John ,Porteous**

23-Crusder coinage with Greek or Latin Inscriptions, vol6 ,1969.

***Kantorowics , Ernst**

24-Frederick the second ,New york.

***King,Colonel**

25-The kinghts hospitallers in the holy land , London , 1931.

***Lammens**

26- La Syrie précis historique , Berouth , 1921.

***Lane , Poole**

27- Saladin , and the fall kingdom of Jerusalem , London ,1898.

***Lavoix, Henrix**

28-Monnales alegendes Arabes frappes en Syrie par les croises , Paris , 1877.

***Lopez , Robert**

29- The Commercial Revolution of the Middle age 950-1350 ,Cambridge University Press , 1976.

***Ludlow , james**

30- Age of crusades , New york .

*Mack

31-The merchant of Genoa ,The crusades , The Genoa and the Latin East , 1187-1220, University of Cambridge , 2003.

*Matthew Paris's

32-English History from the year1235 to1273, translated from the Latin by Rev .j .A. Giles,1852 , London , Vol 1

*Meludi,James

34-The age of the crusades , 1914.

Mawer , Allens

35- The Vikings , New york, 1913.

*Mohamed ,Ahmed

36- Demographic ,socio-economic and architectural structure of Tibnin in the age of the crusades , Universitat Gottingen.

*Nicholson, Helen

37-The Knights Hospitaller the boydell ,Britain , 2001.

*Oman

38-The Byzantine Empire , New york , 1908.

*Orton

39-Previte , Outlines of medival history , Cambridge at the University press, 1916.

*Pirenne, Henri

40- Medieval cities , Princeton University ,1980.

*Prawer , Joshua

41-Crusader insitutions , oxford university press , New york ,1980.

42-The Latin Kingdom of Jerusalem, keter press , Israel ,1972.

*Preston , Helen Gertrude

43-Rural condition in the kingdom of jerusalen during the twelfth and thirteenth centuries , Athesis Presented to the Faculty of the Department of the University of Pennsylvania , 1903.

***Puga diego and Daniel**

44-International trade and institutional change medieval venices response to globalization.

***Rey**

45-Les colonis franques de syrie , Paris , 1883 .

***Richard , jean**

46-Royaume Latin de Jerusalem , paris , 1983,

47-Agricultral conditions in the crusader state in setton ,history of the crusader'Agricultral conditions in the crusader state ' in setton ,history of the crusader ,vol 5 .

***Riley ,Smith**

48- "The feudal nobility and the kingdom of Jerusalem , 1174-1277", 1974 .

49-Government in latin Syria and the commercial trivileges of foreign merchant in Relations between East and West in the middle age edinburge , 1973, London , 1973.

***Ruddock ,Alwyn**

50-The merchants of Venice and their shpping in southampyon in the fifteenth and sixteenth centuries.

***Schiumberger**

51-Numismatique Lorient Latin ,Paris ,1877.

***Stevenson**

52-The crusaders in the east , University Cambridge, 1907.

***Tacchella , Cludia**

53-The Genoese ships in the 12th and and 13th centuries, 2019.

***Tanner and Brooke**

54- The Medievai Al history , Vo1, University Cambridge , 1923.

*Thompson , james westfall

55-Economic and social history of the middle ages , v1, U.S.A , 1959.

*Weschke and Ursula Hagen

56-Gold middle ages, 1983.

*Willim

57 -Ahistory of deeds done beyond the sea ,New york , 1943, vol 1.

Abstract:

Levant Land Coasts enjoys a significant strategies location that made it aspiration for the invasion states which search for money and fortune. Due to its overlooking on the Mediterranean Sea, it was considered as a linking point between the East and West, as well its lands enjoy with richness and fertility. Crusaders realized this significance through their wars with Muslims.

Therefore, they could, through many campaigns in cooperation with the Italian cities (Genoa, Venice, and Pisa) take it from them and added to their kingdom. After their settlement in it, they succeeded in exploiting it and making great changes in it where the economic one was the most important one, especially that Aka city became the political and economic capital of Crusaders kingdom after Hattin battle in 583 instead of Al Quds.

Thus, they annexed on the coastal ports, the trade roads were paved for them, trade movement was changed, and headed towards the east, agriculture was bad exploited, and it was directed to their greediness; so, the interest with production used in industry as sugar cane, olive, cotton, and grapes increased where its money went to the princes' and feudals' pockets.

These changes in the Levant coast have many influences particularly on the cultural level especially settlement structure change of this part in Levant Land which was followed by creating commercial cities as the European cities. They have also a great impact on wars cease with Muslims and establishment of sound relation with them. Though those relations served the Crusaders regime and made it control over money sources, they played a great role in weakening and destroying the Crusaders regime by competition among Italian commercial cities.

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Kerbala University

College of Education for Human Sciences

Department of History – Higher Studies

The Economic Changes of Levant Land Coasts during the Crusade wars

by:

Hena' Khudair Hussein Al Shemmeri

A Dissertation Submitted to the Council of College of Education for Human Sciences / Kerbala University as a Partial Fulfillment for the Requirements of Doctorate Degree in Islamic History.

The supervisor:

Prof. Dr. Hussein Kadhum Hesoun Al Qutub

2023 A.D. 1445 H.